دراسات في الأدب والشعر

# رحلة التيه في شعر الرابطة القلمية

الأستاذ الدكتور
**محمد فايد هيكل**

دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع
دار الجديد للنشر والتوزيع

810.9
هـ . م

هيكل ، محمد .

دراسات في الأدب والشعر: رحلة التيه في شعر الرابطة القلمية / محمد أحمد فايد هيكل .- ط1.- دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دار الجديد للنشر والتوزيع .

204 ص ؛ 17.5 × 24.5سم .

تدمك : 8- 770 – 308 – 977 – 978

1. الأدب العربي – تاريخ ونقد

أ - العنوان .

**رقم الإيداع** : 14174

**الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع**

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز

هاتف- فاكس : 0020472550341 محمول : 00201277554725-00201097564757

E-mail: elelm_aleman2016@hotmail.com & elelm_aleman@yahoo.com

**الناشر : دار الجديد للنشر والتوزيع**

تجزءة عزوز عبد الله رقم 71 زرالدة الجزائر

هاتف : 24308278 (0) 002013

محمول 661623797 (0) 002013 & 772136377 (0) 002013

E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com



2021

# الفـــهرس

## تقديم

في دراستي لقضايا الشك والإيمان في شعر جماعة الديوان تساءلت عن المؤثرات التي حدت بالشعراء العرب المجددين في العصر الحديث إلي ولوج هذه القضايا في شعرهم ، والعلة الجامعة التي تربط بينهم في هذا الاتجاه .

- أهي سعة الثقافة وما يتلقفه الشعراء من افكار الفلاسفة، وأصحاب المذاهب كالوجودية وغيرها؟!
- أهي الدوافع النفسية الناشئة عن الظروف السياسية والتقلبات العالمية والقومية ، وما استتبعه الكبت السياسي والاجتماعي من إثارة الشباب إلي الأفكار التحررية ،فاختلط الأمر وأشتط من اشتط منهم في استخدامه لمبدأ إطلاق التفكير وحريته ، فذهبوا إلي إثارة التساؤلات والشكوك حول كل شئ حتى حول اقدس المقدسات وهو العقيدة الدينية ؟!
- أهو التأثر بالشعر الغربي واتجاهاته الرومانتيكية المتشائمة ؟
- أم هو التاثر ببعض الشعراء العرب أو الفرس القدامى الذين كانت لهم جرأة علي اقتحام هذه القضايا كالمتنبي والمعري والخيام ؟!

والحق أن كل هذه العوامل مجتمعه كان لها تأثير علي الشعراء المجددين؛ ولكن هناك مؤثراً خاصاً بشعراء المهاجر عامة سواء شعراء الرابطة القلمية أم العصبة الأندلسية

وهو تجربة الهجرة فقد واجه هؤلاء الشعراء حضارة غريبةعلي نفوسهم ، حضارة مادية لا تكاد تؤمن بالقيم الروحية التي ورثوها من الشرق، ولا تكاد تعنى بتقديس عالم غيبي وراء العالم المادي المحسوس، وكانت صدمتهم النفسية قاسية ، وبعضهم كان قد هاجر لطلب العلم مثل ميخائيل نعيمة، ولكن ظروف الحياة الفقيرة في بلادهم الأصليةدفعتهم إلي البقاء لطلب الرزق بعد طلب العلم، وكلاهما

يطلب من صاحبه التفاعل بالحياة الجديدة ، فمن كان منهم يحمل بـذور الشـك في نفسه قبل هجرته ، قوي هذا الشك في نفسه وأتيحت له الفرصة للتعبير عـن آرائـه شعراً أو نثراً بصوت مرتفع بعيدا عن سـيطرة الحكومـات ورجـال الـدين ورقابـة المجتمع في بلاده .

ومن لم يكن يحمل بذور الشك سابقاً بدأت تراوده الشكوك ولكنهم حـاولوا كرد فعـل - أن يلـوذوا بحيـاة روحيـة تلمسـوها - لا في حرفيـة الـدين المسـيحي ونصوصه؛ بل في مزيج كونوه من مشاعر قلوبهم - شأن جميع الرومانتيكيين - ومن تأويلهم أو اقتباسهم لروح المسيحية كما يقولون ثم ما تلقفوه من معتقدات غريبـة توهموا فيها تفسيراً للوجود وحلا لمشكلاتهم كالتناسخ، والحلول، ووحدة الوجود، وألوهية الإنسان .

ومن هنا صح أن نطلق علي رحلتهم الشـعرية في هـذا الاتجـاه هـذا العنـوان **"رحلة التيه "** .

**د/ محمد أحمد فايد هيكل**

# تمهيد

## نظرة عامة:

ينتمي أعضاء الرابطة القلمية العشـرة جميعاً إلي الديانة المسيحية؛ ولهذا اهميته فى تكوين فكرتنا عن الوجدأن الاعتقادى الذي اصطبغت به نفسياتهم، أو علاقتهم الأولي بالكون من حولهم، ومهما بدا لنا من تمردهم علي المبادئ والتعـاليم المسـيحية التي أعلنوها فى شعرهم ، فإننا نستطيع أن نـرى الـروح المسـيحية سـارية حتـى فى البدائل التي اعتنقوها

**وقد كان ثمانية من هؤلاء الأعضاء من الروم الأرثودكس** : واثنان من الموارنة والاثنان هما جبران وباحوط (1).

وكانت المسيحية بعقائدها، وشعائرها، وتعاليمهـا قـارة فى داخـل نفوسـهم بادية فى اخيلتهم الشعرية ، وموضوعات قصائدهم وكتاباتهم النثرية .

ففى شعرهم ونثرهم نستمع التراتيل ،ودقات الأجراس ،ونشاهد الرهبـأن ، و النساك، والأعياد ،وحفلات التعميد، والزواج

ومن المعلوم أن المدارس التي تلقوا فيها تعليمهم الابتدائى إرساليات ترعاها الدول المسيحية فى ذلك الوقت وخاصة روسيا القيصـرية وفرنسا (2).

وقد ساعدت الكراهية التي كان المسـيحيون فى الشـام يضـمرونها للخلافـة الإسلامية التركية علي تأكيد هذه الروح المسيحية، فقد كان للعقيدة الدينية فى الشام شأنها الكبير فى توجية مقدرات الفرد، وصيانة شخصـيته، واختيـار ألـوأن ثقافتـه؛ فليسغريبا إذن أن ينشأ هؤلاء الأدبـاء نشأةمسـيحية ويكـون الكتـاب المقـدس هـو الحقيقة الأولي فى حياتهم (3).

---

1- ميخائيل نعيمة " سبعون " مؤسسة نوفل الطبعة السادسة 1983 صـ 976 المرحلة الثانية.

2 - د. جميل صليبا "الاتجاهات الفكرية فى بلاد الشام واثرها فى الادب الحديث ... القاهرة معهد الدراسات العربية سنة 1958 ص 53، 54 .

3-عبد الكريم الاشقر النثر المهجرى – القاهرة – معهد الدراسات العربية العالمية جامعة الدول العربية سنة 1961 ص 28 .

ولم تكن البيئة الجديدة فى المهجر الشمالي بعاداتها وقيمها الجديدة، ومسيحيتها المنتمية إلي مذاهب أخرى وسائر المعتقدات فلسفية أو دينية بمقتلعة هذة الجذور الوجدانية التي طبعت شخصياتهم بطابعها، مهما بدا من ثورة أو تمرد كما قلنا.

ونلحظ أن هؤلاء الأعضاء العشرة يتفاوتون تفاوتا واضحاً فى مستواهم الثقافى، وقد كفانا ميخائيل نعيمة مشقة التنقيب عن المكونات الفكرية والمستوى الثقافى لكل واحد منهم فهو مستشار الرابطة، ورجلها الثانى ومؤرخها الأول، وأعلي افرادها ثقافة واعمقهم تفكيرا **فيقول** :

" رشيد أيوب، وندرة حداد، ووديع باحوط، والياس عطا الله وإيليا أبو ماضي وعبد المسيح حداد لم يكونوا علي شئ من الثقافة إلاَّ الذى التقطوه لماما من مطالعاتهم العربية، أما اللغة الانكليزية فما كانوا يتقنونها إلي حد يساعدهم علي المطالعة فيها ، وكانو يكتفون منها بما يساعدهم فى تصريف شئون المعيشة ، وفى قراءة الصحف السيارة وترجمة بعض الاخبار والمقالات لنشرها فى الصحف العربية وهذا القليل الذى كانوا يعرفونه ساعد بعضهم مثل أبو ماضي علي اقتباس بعض الموضوعات الشعرية من قصائد كانت تنشر فى بعض الصحف اليومية. أما وليم كاتسفليس فكان يتقن الإنكليزية خيرا من الرفاق الذين ذكرت وقد أسعفته فى ذلك معرفته للفرنسية، ولكن ثقافته بقيت ضمن نطاق ضيق، وأما نسيب عريضة فالذي درسة فى الناصرة ، والمطالعات الواسعة التي قام بها فيما بعد سواء فى الروسية أوفى العربية، يسرت لة نصيباً لا بأس به من الثقافة العامة،وإما جبران فثقافته كانت أوسع بكثير من جميع من ذكرت، وذلك بفضل انشغاله بالفن وشوقهإلي الاطلاع علي تطوراته، وعلي سير البارزين من رجالة وبفضل ميله الفطرى إلي الأدب، والبحث عن عباقرته و مجاريه ولأنه أتقن الانكليزية فقد راح يطالع فيها بنهم كلما يثير اهتمامه فى دنيا الفن و الأدب . (1)

---

[1]- سبعون – المرحلة الثانية صـــ173 ، 174 .

**إما ميخائيل نعيمة** صاحب النص السابق فتدل مؤلفاتة النثرية كما تـدل روح التأمل الفكريالتي اصطبغ بها شـعره عـلي أنهكـان أوسـع هـؤلاء الأعضـاء ثقافـة، وأرسخهم قدما فى المعرفة بالأدب ،وقد كان العقاد ينظر إليه نظرة تقدير خاصة، بل لعلة يراهاأنبغ من جبران نفسه.(1)

– وشهادة العقاد فى مسألة تقويم المستوى الفكرى و الثقـافى لا يسـتهأن بهـا وقد رحل ميخائيل نعيمة إلي الناصرة فى بداية تعليمه ثم استكمل تعليمـه الثـانوي أو ما يزيد علي الثانوي بقليل فى روسيا القيصرية و نال شهادة **" السمنار الروحـي"** ثم رحل إلي الولايات المتحـدة ، ونـال شـهادتين جـامعيتين فى الأداب والحقـوق ، وكان أكثر أعضاء الرابطة اطلاعا علي الفلسـفات و العقائـد و الـديانات وأكثـرهم ميلا إلي التأمل منذ صباه، **يقول عن زمن تعلمه فى تلك الحقبة :**

**" إننى لو سئلت حتى فى ذلك الزمأن عـن أي القصـائد التـي حفظتهـا هـي الأحب إلي قلبي لأجبت دونما تردد أنها :**

**غـــير مجـــد فى ملتـــى واعتقـــادى　　　نـــوح بـــاك ،و لا تـــرنم شــــــــاد**

فقد كنت أميل إلي الشعر الذي يـدفعنى عـلي التأمـل فى مشـكلات الحيـاة و الموت أكثر مني إلي الشعر الذي يدغدغ عاطفتي (2) .

ويبدو لي أن النصيب الذى تلقوة جميعا من الثقافة العربية لم يكن بالذى يكفى لتكوين تصور صحيح لديهم عن التراث العـربي ، أو يمثـل مـددا قويـا فى تكـوين تصوراتهم أو رؤاهم الشعرية؛ بل أن معرفة غالبيتهم بالإسـلام – لم تتعـد الاطـلاع عـلي مـا كـان يصـل إلي أيـديهم،أوما يلتقطونـه التقاطـا عـن بعضـآراء المتصـوفة وأشعارهم، ويظهر لنا أن جبران قد عرف ديوان ابن الفـارض، وعينيـة ابـن سـينا واطلع علي بعض آراء الغزالي،ورياضته الروحية أما ميخائيل نعيمة فمـن الواضـح

1- المرجع السابق صـــــ 21 .
2- سبعون – المرحلة الاولي صـ 144 .

أنه تعمق أكثر من أصحابه نسبيا فى الاطلاع علي أراء ابن عربي والحلاج، فمحاولة اتصالهم بالإسلام كانت عن طريق التصوف أو الفلسفة الإسلامية دون استيعاب كامل لهما، كما أنهم لم يتصلوا بالقرآن الكريم أو الأدب النبوى اتصالا مباشرا فليس يظهر لي من خلال نتاجهم الأدبى شعراً أو نثراً ، أنهم عايشوهما معايشة وجدانية لا أدل علي ضعف معرفتهم بالتراث العربي من أخطائهم اللغوية الفاضحة التي أخذها عليهم النقاد؛ فجبران علم الرابطة الأكبر يجهل نصب المفعول الثانيفي **قوله**:

"وسارق الحقل يدعى الباسل الخطر " ويصر علي رفعة غير مستجيب لنصح ميخائيل نعيمة وجداله [1]وميخائيل نعيمة نفسه لم يكن يعلم أن فى العربية كتابا عظيما اسمه"زاد المعاد فى هدى خير العباد" ولم يسمع بابن القيم نفسه مؤلفه[2] .

- ❖ **ما مدى تأثر شعراء الرابطة القلمية بعضهم ببعض فى رؤاهم الشعرية وخاصة تلك الدالة علي الشك فى العقائد الغيبية أو الإيمان بها ؟**
- ❖ **وهل بلغ هذا التأثر حدا يكون منهم اتجاها فكريا يساوق ما كان بينهم من وحدة فى الاتجاه الفنيأو الأدبي.**

لقد سجلت المقدمة التي وضعها نعيمة لقانون الرابطة صفات الأديب الذي تقبلهالرابطة عضوا فيها، ومن بينها أن يكون متميزا برقة الحس، ودقة الفكر وبعد النظر فى تموجات الحياة وتقلباتها [3] و كان أبرز الأهداف، الخروج بأدبنا من دور الجمود و التقليد إلي دور الابتكار في جميل الأساليب و المعاني [4] وقرر نعيمة فى رده علي خصوم الرابطة أن فى صدر كل عضو من أعضائهاجذوة تختلف عن أختها حرارة وبهاء ولكنها من موقد واحد وإياها .

---

[1]- ميخائيل نعيمة جبران خليل جبران – حياته–موته-أدبه- فنه- الطبعة الخامسة دار صادر و دار بيروت 1964 صـ 164 .

2- سبعون المرحلة الثالثة صـــ 178 .

[3]- المرجع السابق ص 174 .

[4]- نفسه.

ومعنى ذلك أن هناك قدرًا من الاستقلال بين أعضاء الرابطة و قدرا من التشابه،ولابد أن يكون هذا التشابه هو الذى جمع بينهم لتكوين هذه الرابطة ، والأمر الذى لا اختلاف عليه هو التشابه فى المنزع الفنيفمن لم يكن منهم فى منزعة الفني أول الأمر – كإيليا أبياضي – أصبح منهم، و تشرب الروح الفنية الجديدة التي يدعون إليها ، واستطاع أن يشق طريقه بينهم علي مقدار اصالته وقدراته.

أما التشابه فى الرؤى الشعرية فامر آخر وذلك إنا إذا اثبتناه فإنه يسيء إلي الرابطة القلمية، ويسمها بسمة التقليد الذى تعيبه ، وتعيبه مدرسة الديوان علي التقليديين ، لأن الرؤى الشعرية من شأنها أن تكون فردية شخصية .

غير أننا نلحظ قبل أن نناقش مسألة التشابه أو الاستقلال أن هنالك نوعا من التقارب الفكري ضم هؤلاء الاعضاء، وفى هذا التقارب الفكري كثير من الاستجابة و كثير من الايحاء فهناك شخصيات بطبعها مستجيبةأو متجاوبة، وشخصيات بطبعها موحية مؤثرة و بين الحدين درجات متفاوتة ، ولكى يسهل علينا تحديد ذلك بين أعضاء الرابطة القلمية يلفت نظرنا أول ما يلفته هذا التفاوت الواضح فى النتاج الأدبى؛ فمن بين أعضاء الرابطة من كتب فى حياته قليلا ثم انقطع عن الكتابة كل الانقطاع، وبينها من كان لا يكتب إلاَّ فى النادر و بينها من كان لا يقعده عن الكتابة غير قوة فوق قوته (١) .

"فعبد المسيح حداد ليس له غير مؤلف واحد عنوانه:"حكايات المهجر "ووديع باحوط لم يكتب بعد انضامه إلي الرابطة إلاَّ مقالا واحدا بعنوان البرغشة وليم كاتسفليس لم يكتب إلاَّ بعض مقالات فى بعض المناسبات، وإلياس عطاالله نشر بعض المقالات الهزلية فى الصحف قبل أن تكون الرابطة، ولم يكتب أو ينشر شيئا بعدها " فلنستثن هؤلاء الأربعة من بحثنا فى موضوع التأثر و التأثير.

[1]- المرج السابق ص 174 الصفحة السابقة هامش 4 .0

ولرشيد ايوب ثلاثة دواوين شعرية هي "الأيوبيات" و"أغـاني الـدرويش" ، و"هى الدنيا" ولكن رشيدا شاعر غنائى عذب رقيق الشعور ينفث مشاعرها لرقيقة نفث الطائر فى تغريده، فشعره يخلو مـن التـأملات بلـه التفكـير فى قضـايا عويصـة المسالك، كقضايا الشك والإيمان، وهو القائل:-

**خــــل الأمـــــور لربهـــــا لاشـــئ فى الـــدنيا عـــــــرف**

**هيهــــــات تـــــدرك ياءهــــا مـا زلـت تجهـل مـا الألـف (1)**

وندرة حداد شاعر له ديوان واحد هو " **أوراق الخريف** " وشعره يـدل عـلي نفسية هادئة راضية بالأقدار،تميل إلي السكينة ولكنه لا يميل كصاحبه رشيد أيـوب إلي التأمل والتفلسف، أما ما يظهر فى شعره من قصائد قليلة تحمـل شـكا فى الـدين وثورة عليه، فهو ليس إلاَّ انعكاسات تأثر فيها بجبران، أو تنفيسا عن الضغوط التي عاشوها تحت السيطرة الوجدانية لرجال الـدين المسـيحي فى بلادهـم أبـأن النشـأة الأولي. أو كراهية للفتن الطائفية التي أرثها التعصب، ولكنها لا تحمل رؤية شعرية متكاملة الجوانب فهو يقول:

**أن أمـــــر الـــــدين لغـــــــز جعـل النـاس حيــــــارى (2)**

وقد نراه يحاول اللجوء إلي الطبيعة بدلا عن الـدين شـأن جـبران وميخائيـل وإيليا ولكننا نلمح فى شعره قصـر النفس، والنظم النازع إلى التقليـد ، فـلا يحمـل رؤية متغلغلة فى نفسه لدين الطبيعة هذا، شأن أخوانه، بل هو يكتفى بأن يقول بأنـه يهرب إلي الطبيعة حيث لا يسمع أصوات المرائين، ولا يعكر صفوه صياح الـواعظ المكتظة نفسه بالشرور:

**ود غــــيرى الصــــلاة لله فى الجــــامع أو فى كنيســـة أو كنيـــــــــس**

---

[1]-شعراء الرابطة القلمية ص 141 .

[2]- المرج السابق ص 312 .

**وودت الصــــلاة لله فى الـــــــــرو ض بعيدا عن كـل هـذى الطقـوس**

**حيـــث لا أســـمع المرائـــى يصـــلي عاليـا ، يسـتغيث بالقــــديس**

**حيـث لا واعــظ يصـيح ، وفيـــــه مـن شرور مـا لـيس فى إبليـــس**

**أن عشـــبا أشــمه فى البـــــــرارى لهـو خـير مـن الكبـا للنفـــوس**

**وســـماع الطيـــور تنشـــد ، أحـــلي من سـماع الأجـراس والنـاقوس** (1)

واضح ما فى شعره من ضيق الأبعاد، فالمسألة عنده مسألة موازنـة مبـاشرة " **هذا أفضل من ذاك** " وهذا كل ما يقوله .

**إما نفوره من الأديان فيعلله بما بين أتباع الأديان من فتن وحروب طائفية:**

**يـــابن عمـــى أنـــا مـمـــــــــن وجـــدوا الأديـــان علـــــــة**

**كـــل يـــوم بـــين أهـــل الــــدي ن تجهيـــــز وحملـــــــــة**

**ملـــة تطلـــب أن تجتـــاح بـــا ســم الــدين ملـــــــــة**

**فـــذا أحببـــت هـــذا الطفـــــــل أن يحســـــن فعلــــــــه**

**صـــنه مـــن ديـــن انقســــــا مـــات وأوهـــام مضلـــة** (2)

وهــى تعلـيلات مبــاشرة ، ونصــائح لـيس لهــا مــن الشـعر إلاَّ الــنظم ويبــدو لي أنــه الــتقط هــذه الأفكــار ممــا كــان يــدور فى نــدوات الرابطــة عــن جبران،وميخائيل نعيمة، وإيليا أبى ماضي؛ دون أن يتعمق القضايا وجدانيا وفكريا كتعمقهم؛ فتأثره من النوع الانعكاسى المباشر.

1- ندوة حداد - أوراق الخريف – نيويورك 1941 ص 140 .
2- المصدر الاسبق ص 184 ، 185 .

وأما نسيب عريضة ففى ديوانه الضخم الوحيد " **الأرواح الحائرة** " تظل روحه حائرة بين الشك العارم ، والتصوف المعبر عن شوقه إلي حياة روحانية صافية تتحد فيها نفسه بالله ، وقد جمع فى إحدى قصائده بين الشك والتصوف **حين يقول** :

**وقفت وحيدا ضلولا ضعيفا حليف الشجن**
**أريد الصلاة طويلا لمن ؟ كدت أنسى لمن ؟**
**إلي من يصلي فتى تعود غير الصلاة ؟**
**وأشعل قلبا عتا وضل بغير الاله ؟!**
**أيا من سناه اختفى وراء حدود البشر**
**نسيتك يوم الصفا فلا تنسنى فى الكدر**
**أيا غافرا أرحما يرى ذل أمسى وغدى**
**معاذك أن تنقما وحلمك ملء الأبد**
**مراعيك خضر المني هى المشتهى سيدى**
**وجسمى دهاه العنا حنانيك خذ بيدى** [1]

وقد عبرت قصائده، عن رحلته في طلب الوصول إلي الإله لتنتهي حيرته وشكوكه علي طريقة المتصوفة، وكم كانت عوائق الحيرة والشكوك تحاول أن تمنع نفسه من الوصول فى أثناء الرحلة، ولكنه يحث نفسه حثا ويدفعها دفعا إلي مواصلة السير فإن الطريق شاقة وطويلة :-

**لماذا وقفت بخوف وحيرة أيا نفس عند الطريق العسيرة**

1- مناهل الأدب العربي – مختارات من نسيب عريضة – العدد 30 – مكتبة صادر ، بيروت ص 7.

**الا امشـــى ، فـــإن الحيـــاة قصـــيرة الا امشـــــــــــى ..............**

**مقـــر الالــــه بعيــــد ، فســـيرى لكــى تــدركى الله قبــل النشــور**

**وجـــــدى ، ولا تســـألي عن مصـــيرى بــــعيشى**

وهـو يؤنبهـا ويلومهـا فى تعنيـف شـديد مقتبسـا روح المتصـوفة فى تأنيـب نفوسهم وحرصهم علي قهرها.

**عـــلام التفاتـــك نحـــو الطلـــول أشـــاقك تـــذكار مـــاض جميـــل**

**فملـــت إلي العـــود قبـــل الوصـــول الا أمشـــــــــــى ..............**

وهو يغريها بجنى حصاد الآمال قبـل الموعـد اذا جـدت فى المسير وعانـت الجهاد الحقيقى.

**الا أمشـــــى ، وبعـــــد الجهـــــاد الحقيقــــــى**

**سنســــــــبق آمالنـــــــــا فى الطريـــــــــق**

**ونجنـــــــى الأشـــــعة قبـــــــل الشــــــروق**

**الا أمشـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــى** (1)

ويلـــوم نفســـه عـــلي كثـــرة خضـــوعها للشـــك والحـــيرة، فى تســـاؤلات هى نفسها مليئة بالشك والحيرة فلا يكاد صاحبها يفصل فى الأمر.

**يـــا نفـــس مالـــك فى اضـــطراب كفريســـة بـــين الذئــــــاب**

**هـــلا رجعـــت إلي الصـــــواب وبـــدلت ريبـــك باليقيـــــن**

**أحمامـــة بـــين الريـــــــــاح قـــد ســـاقها القـــدر المتـــاح**

[1]-نسيب عريضة – الأرواح الحائرة – نيويورك 1946 ص 60.

**فابتـــل بـــالمطر الجنــــــــــاح		يـــا نفـــس مالـــك ترجفيـــــــن**

ويكثر من مساءلة هذه النفس عن علة اضطرابها ، ووقوعهـا فى أسر الشـك، وهو فى مساءلاته لا يصل إلي جواب يرتاح إليه غير أنه يقرر خلـود الـنفس، وفنـاء الجسد.

**يـــا نفـــس أنـــت لـــك الخلــــــــــــــــــود**

**ومصــــــــير جســــــمى للحــــــــــود**

**ســــيعيث عيثـــك فيــــــــــــــــــه دود**

**فـــــدعى لــــــه مــــا تنخــــــــــــرين**

وهذا ما ردده فى رثاء أخيه " سابا " :-

**قـــد ضـــم قـــبرك مـــا يحـــــــــــــــــــد**

**وأن نفســــــــك لا تحـــــــــــــد (1)**

ويدعوها إلي أن تـدع الجسـم وشـأنه فقـد أرهقتـه بـما حملتـه مـن شـكوكها ومطامحها:

**يـــا نفـــس هـــل لـــك فى الفصـــال		فالجســـــم أعيــــاه الوصـــــال**

**حملتــــه ثقـــل الجبـــــــــال		ورذلتـــــه لا تحفليـــــــــــن**

لقـــد تحمـــل الكثـــير ، فأصـــبح عيشـــه مـــع الـــنفس ونزعاتهـــا العصـــية " لا يطاق ":

**عطـــــش وجــــوع واشتيـــــاق		أســــف وحـــزن وافتـــــــراق**

---

1- المصدر السابق ص 318 .

يـــا ويـــح عيشـــى هـــل تطـــاق نزعـــات نفـــس لا تليـــــــن

إما القلب فهو مغلوب علي أمره لا يجد من يعينه .

والقلـــــب وا أســـــفى عليـــــه كالطفـــل يبســـط لي يديـــــه

هـــــلا مـــــددت يـــــدا إليـــــه كالأمهـــات إلي البنـــــــين (1)

فحـيرة الشـاعر دائمـة بـين نفسـه وقلبـه وعقلـه وجسـمه ، فـما هنـاك إلا تساؤلات ورغبة فى الراحة من هذه التساؤلات يحاول تحقيقها بغيبوبة التصوف تارة ،أوغيبوبة الكأس تارة أخرى ، فإذا اعترته غيبوبة التصوف نشد الراحة فى عالم السماء فقال لسمير نفسه .

قـــــم نتخـــــــذ للمنـــــــي جناحـــــــــــا

يطـــــــير مـــــــن عـــــــالم الحـــــــــدود

عســـى نـــرى فى الســـماء دربـــا نســـير فيـــه ولا نعـــــــــود

نـــؤم خـــدر الـــرؤى ونحظـــــى بـــما حرمنـــاه فى الوجـــــود

قـــم وأتـــرك الجســـم حيـــث يـــبلي فـــالموت خـــير مـــن الجمـــود

ويقلد الصوفية فى رموزهم ويدعى أشواقهم :-

لي كـــل يـــوم هـــوى جديـــــد بـــلا وصـــال ولا لقـــــــاء

حـــــول ميــــــاه حلــــــت وساغـــــــت

لكـــــن قلبـــــى بـــــــلا ارتـــــــواء

1- المصدر السابق ص 87 .

لــو رحــت يومــا لكنــت أجنــى مــن ثمــر الحســن مــا أشــاء

لكـــن هـــوى الـــنفس فى خيـــال قــد لاح للـــروح فى الســـماء [1]

بل يقلدهم فى مصطلحاتهم الخاصة:

احـــن شـــوقا إلي "ديـــــار" رأيتهــا فيهــا "ســنى" الجــمال

"أهبطـــت" منهـــا إلي قـــرار أمســت بــه الــروح فى اعتقـــال

******

هـــل مـــن ســـبيل إلي " رجـــوع " هــل مــن طريــق إلي " وصــول "

تهـــيم نفســـى ولســـــت أدرى "بحاصـل"أو"بمسـتحيل" [2]

وإذا اعترته غيبوبة الكأس ردد فى رباعياته :

شربـــت كأســـى أمـــام نفســـى وقلت يـا نفـس "مـا المـــرام"؟

حيـــاة شـــك ومـــوت شـــــك فلنغمــر الشـــك بالمـــــــدام

آمالنـــــــا شعشـــــــعت فغابـــــــــت

كـــــالآل أبقـــــــــــــــى لنـــــا الأ وام

لا بــــأس ، لـــــيس الحيـــاة إلا مرحلــة بــدؤها ختـــــام [3]

وبسبب هذه الغيبوبة بنوعيها لم ينجح الشاعر فى أن يبرز لنـا رؤيـة واضـحة المعالم ، أو مواقف معينة من قضايا الاعتقاد ، إذ أن كل شئ تساوى عنده .

ســـــيأن أن تصغـــــــــى للنصــــح أو تغضـــــــى

---

[1]- المصدر السابق ص 179.

[2]- المصدر السابق ص 178.

[3]- المصدر السابق ص 83 .

يـــــا نفـــــس ، فالآتـــــــى مثــــل الـــــذى يمضـــــــى
العــــــيش اذ يشفــــــــى كــــــالعيش اذ يضنــــــى
أن الــــــــذى يحيـــــــــى بعــــــض الـــــذى يفنـــــى
الطهـــــــر لا يدنـــــــــي والعهــــــر لا يقصــــــــى
فالكــــــأس أن تطفـــــــح كالكـــــــأس فى الـــــــنقص
الجـــــــوهر السامـــــــى يبقــــى بـــــلا رجـــــس
كــــم مــــــومس تمضــــــى عـــــذراء للرمــــــــس

وفى نهاية هذا التساوى بين القيم ، أو هذه الحيرة السلبية تنبت الدعوة للانطلاق مع الهوى :

فافعــــــل كـــــما تهــــــوى يـــــا قلــــب لا تحـــــــذر
أن كنــــــت مـــــــن تـــــبر مـــــا ضرك المصــــــهر [1]

ولذلك كان نسيب كما يروى عنه أقرب أصدقائه إليه وأقدمهم به صحبة ميخائيل نعيمة. يحب الأكلة الطيبة والكأس المشعشعة، وله ولع بلعب البوكر، وتدخين السيكار وكان يشرب " الويسكى " أكوابا ، ويشربها صرفا " [2] فأي تصوف هذا كان تصوفه ؟!

أن التصوف الذى يطالعنا من شعره إذا جاز أن ننخدع بتقليده فنسميه تصوفا؛إنما هو نوع من الفورات الوجدانية واحتدام الشعور، أو هو هروب باطني ليس له أي مظهر سلوكي من زهد وورع وتقشف ديني.

---
1- مختارات من نصيب عريضة ص 26 .
2- سبعون المرحلة الثانية ص 181 .

وعلي أية حال فالباحث لا يستطيع أن يظفر من شعر نسيب عريضة بموقف متكامل الجوانب، أو رؤية شعرية تمثل تصوراته عن الألوهية والدين والبعث والقدر ،وإنما هى حيرة غامضة لم تتضح رؤاها فهي مترجحة بين الشك الدائم ، والرغبة الدائمة أيضا فى الإستقرارإما الصبغة المتصوفة التي ترتديها هذه الرغبة فهى تأثر واضح بجبران وميخائيل نعيمة، ولكن هذا التأثر لم يكن ليكون لولا توافق مزاجي استعدت له طبيعة نسيب عريضة التي كانت تميل إلي التواضع والاستكانة،أكثر مما تميل إلي الاقتحام والظفر.

بقى لدينا من عمال الرابطة ثلاثة شعراء هم جبران ،وميخائيل نعيمة ، وإيليا أبو ماضي وهؤلاء الشعراء الثلاثة هم الذين لمحنا فى مواقفهم الشعرية من مشكلات الشك والإيمان أصالة ورؤية متكاملة . ولذلك أفردت لكل منهم دراسة خاصة

# الفصل الأول

# الحلم بألوهية الإنسان

# فى شعر جبران خليل جبران

**قل ما أنتجه جبران خليل جبران من "شعر"** وأقصد الشعر ذا الإطار الموسيقى المنتظم بأوزانه وقوافيه سواء أكانت موحدة أم متنوعة؛ ومع ذلك فقد كان اشتهاره بالشاعرية غالبا علي شهرته بالكتابة النثرية . وأشهر عمل فى نتاجه الشعرى قصيدته " **المواكب** " التي عدها النقاد نبراسا تعشو إليهاأبصار الشعراء المهاجريين(1) ومثلا أعلي يتقفون – خطاه ففيها جماع فلسفة جبران ووجهته الروحية، ولا تخلو مقطوعاته القليلة الأخرى من لمحات فلسفية توضح وتكمل ما اشتملت عليه قصيدة " المواكب".

ونثر جبران يسمو فى لغته الموحية ، ودلالاته الوجدانية إلي مرتبة الشعر حتى أطلق عليه مجازا وصف " **الشعر المنثور** "؛ ولعل هذا هو سبب اشتهاره بالشاعرية دون الكتابة علي قلة نظمه بل لقد قال أحد الدارسين " أن أنت أردت جبرانالشاعر فابحث عنه فى أناشيده " **النثرية** " (2)

ولغة جبران الشعرية يكتنفها الغموض الصوفى ولها نصيب من الرمزية الجزئية التي تنشأ من تراسل معطيات الحواس فى استعاراته وكناياته وتشبيهاته ، واعتماده علي الجمع بين المتناقضات فى مقام واحد، وتشخيص الطبيعة فى صورة ممتدة والاستعانة بها فى التعبير عن موضوعات فلسفية موغلة فى التجريد، حتى عده لفيف من الباحثين رائدا من رواد الرمزية والرومانتيكية معا فى شعرنا العربي

1- د. إحسان عباس ، د. محمد يوسف نجم " الشعر العربي فى المهجر " ( أمريكا الشمالية )الطبعة الثانية دار صاد بيروت 1967 ص 41.
2- الكتورانطون غطاس كرم محاضرات فى جبران خليل جبران – معهد الدراسات العربية العالية ص 126.

الحديث (1) وعد آخرون رمزيته من النوع الجزئى القريب المأتى فلم يضموه إلي المذهب الرمزى فى مفهومه الدقيق . (2)

واختلاف الدراسين فى فهم مقاصده من وراء رموزه أمر وارد ونضرب مثالا علي ذلك باختلاف الباحثين حول المقصود من " **الغاب** "" فى **قصيدة المواكب** " فالدكتور إحسان عباس والدكتور محمد يوسف نجم عده كلاهما رمزا للوحدة والانعتاق من الثنائية والانطلاق إلي اللامحدود والمعانقة للمطلق (3) وعده الدكتور شوقى ضيف تارة رمزا للبنأن العزيز الذى اندمجت حياته فيه (4) وتارة رمزا للفطرة والبساطة (5) وهكذا رأته الدكتورة نادرة جميل سراج رمزاً.

للحياة البسيطة الساذجة،أما الدكتور محمد فتوح أحمد فقد رآه رمز حياة مثالية متحررة من الوهم والنفاق، قائمة علي العدالة والحب والجمال والسعادة وقبل كل شئ علي الأخوة (6).

ومن حيث المضامين رأي بعض الدارسين لهذا الشعر أنه محدود المعالم، محدود الأبعاد ،لا يبحر فى أعماق النفس إلا قليلا . ولا تتمثل به فيض الصراعات النفسية التي يصورها علي نحو جميل وروائع نثر جبران (7)

وفى أعقاب صدور " **المواكب** " نقدها العقاد ووصفها بالسطحية ونصح جبران بالتزام النثر الشعرى لأنه ألصق بطبيعته ، والزم بطاقته اللغوية (8).

---

1- مارون عبود جدد وقدماء دار الثقافة بيروت سنة 1954عيسى الناعورى فى أدب المهجر ( دار المعارف – مصر 1909 ص 54 فى عدنأن الذهبى فى تمهيد لدراسة بلاغة الرمزية بمجلة الاديب كانون الثانى 1948 ص 23.
2- د – محمد فتوح أحمد – الرمز والرمزية فى الشعر المعاصر دار المعارف بمصر 1977 ص 189.
3- الشعر العربي فى المهجر ( امريكا الشمالية ص 42 ).
4 -د . شوقى ضيف دراسات فى الشعر العربي المعاصر – دار المعارف الطبعة السابعة ص 226.
5- د . شوقى ضيف فصول فى الشعر ونقده دار المعارف الطبعة الثانية ص 292.
6- د. نادرة جميل سراج – شعراء الرابطة القلمية دار المعارف 1964 ص .161
7- الرمز والرمزية ص 190.
8- د.أنس داود – "التجديد فى شعر المهجر" دار الكاتب العربي للطباعة والنشر لسنة 1960 ص 190.

والاضطراب اللغوى واقع فى كثير من أبنية جبران الشعرية ، ولكن ما سمح به نثره من افاضة فى طرح مشاعره وأفكاره لا يمكن أن يسمح به شعره؛ لما فى طبيعة الشعر من إيجاز يحتاج إلي كثير من التفتيش وإثارة الأفكار ومعاودتها عدة مرات وقراءتها من الداخل أو من الباطن ، ويرجع اتهامها بالسطحية ، وضيق الأبعاد والمعالم ،إلي موازنتها بنثره دون اعتبار للفرق بين طبيعتى النثر والشعر .

وإذ أقصد إلي استنباط رؤاه الشعرية فيما يتعلق بعقيدة الغيب من خلال شعره أجدنى مضطرا إزاء هذا الغموض والايجاز الشديد المحيطين بشعره إلي اللجوء لنثره أحيانا حتى أستوضح الآماد التي يرمى إليها هذ الشعر، ولم تستطع طاقته اللغوية أن تفصح عنها كل الإفصاح .

**ولا تتعدى الموضوعات الغيبية التي طرقها شعر جبران ثلاث مسائل هى :-**

1- نشدان المجهول .

2- الإله والأديان.

3- الخلود.

## 1- نشدان المجهول:-

فى لمحات قصيرة خاطفة من شعر جبران يتكشف لنا موقفه من نشدأن الحقائق والاسرار فهو من طائفة الوجدانيين الحالمين الذين ينشدون المعرفة عن طريق " **التأمل فى الذات** " **والحلم** " لا عن طريق الاستدلال العقلي ، والحلم هو قمة المعرفة والحالم عنده هو " **النبى** " الذى يكشف الغيب ، ويجوب المستقبل ، فهو غريب عمن حوله ، وأن كان أقوى منهم بآماله ورؤاه ، ولذلك فانه عرضة لسخريتهم إذ أنه مستيقظ بحلمه وهم فى الكرى نائمون .

والعلم فى رؤية شاعريته قريب وبعيد، والقريب هو الشائع بين الناس، إما البعيد الذى لا يمكن أن يحاط به ولو قطعت الأشواط الطويلة فهو المعرفة بالدهر، وبالقدر، وكلاهما أبعد من مدارك البشر.

وقد عبر جبران عن هذه الآراء فى الوحدة السابعة من المواكب يقول الصوت الأول :-

**العلم فى الناس سبل بأن أولها أما أواخرها فالدهر والقدر**

**وأفضل العلم حلم أن ظفرت به وسرت ما بين أبناء الكرى سخروا**

**فأن رأيت أخا الأحلام منفردا عن قومه ، وهو منبوذ ومحتقر ذ**

**فهو" النبى " وبرد الغد يحجبه عن أمة برداء الامس تأتزر**

**وهو الغريب عن الدنيا وساكنها وهو المجاهر لام الناس أو عذروا**

**وهو الشديد وأن ابدى ملاينة وهو البعيد تدانى الناس أم هجروا** [1]

وإلحاح الشاعر علي تعظيم الحالم من تكرار " **هو** " مع التعريف بالالف واللام ليقصر الصفات عليه وينفيها عمن لم يتخذ طريقه مع ما فى هذا التكرار من توافق شعورى يدل علي قوة الاعجاب. وهو فى الحقيقة إنما يعنى نفسه. ولـيلحظ التقابل بين حال هذا الحالم وحال من حوله.

فالحالم نبي يحجبه برد الغيب أما أمته فهى متخلفة تأتزر برداء الأمس، ونحن نلمح سلاسة فى العبارة وإبعادا فى الاستعارات. مثل أبناء الكرى" **برد الغد** " **لا رداء الأمس** " .

ومع ذلك فالمقطع يرسم لوحة فنية ذات جانبين جانبها الأول ذلك الحالم المنفرد الغريب المنبوذ المحتقر من قومه وهو فى حقيقته نبى يرى المستقبل، وهو شديد وأن أبدى إهاب اللين، وهو بعيد مترفع لا يبالي قرب الناس منه أو بعدهم. والجانب الثاني من اللوحة مشهد الناس الغافلين أبناء الكرى، يسخرون ويعيشون ولا يدرون عن حقيقة نبيهم شيئا .

---

[1]- المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران قدم لها وأشرف علي تنسيقها ميخائيل نعيمة " المواكب " ص 353 دار صاد بيروت .

ويرى قارئ المواكب أن الشاعر قد بناها علي تجاوب صوتين:أحدهما يقوم برصد الحياة العامة الواقعية ناقدا لها كاشفا عن ضياع البشر في ضلالها، وثانيها صوت يحبذ حياة الغاب التي تزول منها تلك الشرور القائمة فى الحياة الواقعية. وقد اختار الشاعر للصوت الأول إيقاع البسيط الملتزم فى قافيته روى الراء الموصولة بالوأو واختار للصوت الثاني ايقاع مجزوء الرمل وقد اختلفت قوافيه من دور لآخر.

ونلحظ عموما أن مقاطع الصوت الأول تصطبغ بجو من التوتر والحدة الناشئين عن الرغبة فى التحرر، والخلاص، مع العجز عن ذلك فالشاعر أو الإنسان علي الرغم من هذا النقد الذى يوجهه إلي واقع الحياة – مشدود إليه بجواذب من طبيعته وعاداته وغرائزه.

**أما مقاطع الصوت الثانى القصيرة ففيها شعورأن أو انفعالان :-**

1 – اطمئنان وثقة بما يصف به حياة الغاب وإيمان بأن النغم هو التعادل الكوني الذى تلتقى عنده المثل المنشودة .

2 – حث علي ارتياد هذه الحياة والإقبال عليها ، وجاء الوزن القصير مساعدا علي الدافعية والرغبة فى الإسراع، ونلمح أيضا ميل الشاعر إلي الفخامة غير المسرفة فى الصوت الأول، وإلي الرقة والانسياب النغمي فى الصوت الثاني . ليلائم الإحساس بالتناغم في حياة الغاب .

فنحن في الحياة المثالية. أو عند العودة إلي بساطة العيش بعد أن نهجر أساليب الحياة المدنية المتكلفة، وما اصطنعته من قيود نعود إلي الوحدة الأولي التي يرمز إليها بالغاب من حيث لا فرق هناك بين عالم وجاهل ؛ لأن الحقيقة العليا تنكشف للجميع انكشاف ضياء الشمس للمبصرين فتزيل تلك الأفكار الوهمية التي اصطنعوها من علومهم الأرضية وتأتلف المتفرقات في وحدة واحدة، يرمز إليها

بالنأي أو بالموسيقي تلك التي تبقي بعد أن تزول كل مصادر الهدايـة الماديـة ، لأنهـا روحية والروح باقية فالصوت الثانى يتجاوب قائلاً:

| | |
|---|---|
| **لـــيس في الغايــات علـــــــم** | **لا ولا فيهـــا الجهـــــــــول** |
| **فـــإذا الأغصـــان مالـــــــت** | **لم تقـــل هـــذا الجليـــــــل** |
| **أن علـــم النـــاس طـــــــرا** | **كضـــــباب في الحقـــــول** |
| **فـــإذا الشـــمس أطلـــــــت** | **مـــــن ورا الأفـــق يـــــزول** |

**ويأتى القرار :**

| | |
|---|---|
| **أعطنـــــى النـــــأي وغـــــــن** | **فالغنـــــاء خـــــير العلـــــــوم** |
| **وأنـــــين النـــــأي يبقـــــــي** | **بعـــد أن تطفـــأ النجـــــوم** (1) |

ولــنلحظ اهتــزاز الــتمكن اللغــوى عنــد جــبران في طباقــه بــين العلــم والجهول،والأدق أن تكون المطابقة بين العلم والجهل أو بين العليم والجهـول، وفي تكرار التحفف من الهمزة في " **ورا الأفق** " وفي " **تطفا النجوم** ".

وفي محاولاته الدائبـة لكشـف الأسرار البعيـدة، وحقـائق الوجـود الحقيقيـة ترجحبين التأمل في المحيط، والتأمل في الذات ، ولكنه في النهاية ينتصر للـذات، إذ يدرك أن الروح هى المشتملة علي كل الحقائق الخارجية، وكل ما في المحيط ليس إلا صدى لما تضمنته الأرواح ، بل العالم المثالي نفسه هو في هذه الأرواح، ومن الضلال أن ننشده، بالوسائل الماديـة المعروفـةأو بـالعلوم الظاهريـة ففـي قصـيدته " **الـبلاد المحجوبة** " يتطلع إلي الأمل في هذا العالم المثإلي الذى تتحق فيـه المعـارف الروحيـة المتجددة بعيداً عن تلك الحياة الآسنة المتكررة بأنماطها المتشابهة، والتـي تـوهم عـلي

(1) المرجع السابق ص 356.

الرغم من سوادها وقبحها، بأنها مصدر المعرفة الكبرى والهداية الشاملة فهو يخاطب نفسه حاثاً لها علي النهوض.

واتباع هذا الأمل قائلاً :ـ

**هـوذ الفجـر فقـومى ننصـرف    عـن ديـار مالنـا فيهـا صـديق**

**ماعسـي يرجـو نبـات يختلـف    زهـرة عـن كـل ورد وشـقيق ؟!**

**وجديد القلب أنـى يأتلـف    مع قلوب كـل مـا فيهـا عتيـق ؟!**

فهو قد سئم التكرار، ومل الوحدة والانفراد بين قوم آمالهم ومعارفهم ، متشابهة الأمس واليوم والغد : لأنهم يعيشون في محيط المعارف المادية النفعية المحدودة ولا ينشدون المعارف الروحية التي لاحد لمداها ؛ وبذلك أضحى من الضرورى أن يتبع هذا الأمل ويزداد تعلقاً به، بعد أن صار أكثر وضوحاً وجلاء، فلم يعد فجراً بل هو الأن صبح مبين ينادى الشاعر بلسأن فصيح وهو يسمعه ، وأن كانت نفسه لا تزال مشدودة إلي الكرى والظلام :

**هـوذا الصـبح ينـادى فاسـمعى    وهلمـى نقتفـي خطواتـه**

**قـد كفانـا مـن مسـاء يـدعى    أن نـور الصـبح مـن آياتـه**

ولنلحظ دقة التدرج الفنى من الفجر إلي الصبح؛ إذ بدأت بشائر الأمل واهنة أول الأمر، ثم قويت حتى سارت صبحاً مشرقاً.

وقد أبدع الشاعر في اختيار ألفاظ قوية الإيحاء تتمثل في "**هـوذا**"بما يحمله الجمع بين الضمير واسم الإشارة من ترقب وطول انتظار لطلوع هذا الفجر،وفي "**فقومى**" بما تدل عليه من الرغبة الحقيقية في الرحيل متمثلة في الحركة المادية التي يعبر عنها القيام الذى يطلبه من صاحبته المتخليةأو من نفسه، وفيه دلالة علي أنه سبقها إلي القيام متأهباً للرحيل.

**ولنتأمل في تصوير الغربة في هذين البيتين:**

**مــا عســى يرجــو نبــات يختلــف    زهــره عــن كــل ورد وشــقيق؟**

**وجديــد القلــب أنــى يأتلــــــف    مع قلـوب كـل مـا فيهـا عتيـق ؟**

استفهامان يقرران النفي والاستبعاد، بما يحملانه من تمثيل معبر مقنع حـاث، وقد انتقل الشاعر من الخيال المستمد من الطبيعة في النبات المختلف الزهر عن أنواع الورد والشقائق ،إلي معاناة العباقرة في **" جديد القلب"** ليستدل بحـال عـلي حـال، ويدفع عن طريق الموازنةإلي التأمل والإقناع.

وقد وفق الشاعر في اختيار الفعل المؤكد بقـد في (قـد كفانـا) بـما يحملـه مـن مشاعر عديدة يجتمع فيها النفور، والغضب، والسخرية، والعجب من هـذا المسـاء القبيح المنكر الذى يعلن علي الملأ بأن نور الصبح مستمد من نوره .

وما هذا المساء إلا واقع الحياة البشرية في معرفتها المحـدودة التـي لا تتعـدى المنافع المادية المقيدة بمظاهر الحياة اليومية، المقترنة بـالام الـروح وخيبـة آمالهـا؛فهو ومن معه من جماعة البشرـ أسرى هـذه الحيـاة النفعيـة الماديـة؛ وقـد أحاطـت بهـم الأهوال من كل جانب، والمشكلة الكبرى هى في أنهم قنعوا بهـذا المقـام، واعتـادوا علي شقائه ، ورضوا به ، وحسبوه كل شئ ؛والشاعر لذلك يصرخ فيهم منبهاً إياهم إلي أن هذا الوادى ليس بالوادى الذى ينشدون المقام فيه ، فهو واد غريـب مجهـول، عليهم أن يسرعوا إلي مغادرته ، ويبحثوا عن طريق للخلاص منه بعد أن نفد الصبر واحترق، بل غداً الصبر نفسه مصدراً جديداً للآلام والشقاء.

**وقد رسم الشاعر في المقطع التالي صورة فنيـة رائعـة شخصـت هـذه المعـانى التجريدية في لغة تصويرية موحية :**

قــد أقمنــا العمــر في واد تسيـــــر　　بــين ضــلعيه خيــالات الهمــوم

وشــــهدنا اليــأس أسرابــاً تطيـــر　　فــوق متنيــه كعقبــان وبــــــوم

وشربنـــا الســقم مـــن مـــاء الغـــدير　　وأكلنــا الســم مــن فــج الكــروم

ولبســـنا الصـــبر ثوبـــاً فالتهـــــب　　فغــدونا نــتردى بالرمــــــــــاد

وافترشــــناه وســــادا فانقلـــــــب　　عنــدما نمنــا هشــيماً وقتـــــــاد

وقــد جمــع الشــاعر في هــذه اللوحــة بــين روعــة الخيــال ، ودقــة الفكــرة ففي " واد" مجهول، منكر الملامح ، جهم المطـالع ، تعـيش البشـرـية، أنـه واد يعـج بالحركة ، ولكن أي حركة ؟ أنها حركة الأشباح ، أشباح الهمـوم المخيفـة، واسراب الطير، طير اليأس تنعق كالعقبأن والبوم، وقد عمت الأفق بكثرتها ، فلم تعد أعـين البشر تلمح بصيصا من الأمل ، فإذا أرادت البشرية أن تتوافق وهذا الواقع الألـيم ، وترضى به فتطعم من طعامه ، وتشـرب من شرابه ، زادهـا سـوءاًعلي سـوء ، فهـى لا تطعم إلا السقم من كرومه ولا تشرب إلا السم من غديره .

فإليأين تلجأ ؟ ليس لها من ملجأ إلا الصبر، فهو آخر حيلة لها، ولكنها مـا إن تلجأإليه حتى ينقلب هو الآخر مصدراً جديداً للشـرور؛ فما أسرع ما تحـول الصـبر إلي لهيب يحرق النفوس ويزيدها عذابا، بل إنه منها استمد حرارة اشتعاله .

لقد ركنوا إلي الصبر، واتخذوا منه وساداً فلما أطمأنوا إليه، وكـادوايغطون في نومهم ، غدر بهم وتحول أشواكاً ، تخزهم وتمنعهم الراحة والسكينة .

صورة قاتمة لواقع الحياة البشرية، التي يلهث فيها البشـر وراء المطالب المادية، والمنافع العاجلة، ويتبعون فيهـا نـداء الغرائـز، وحاجـات الأجسـام، غـافلين عـن مطالب الروح، وعالم النفس الحقيقي.

لهذا كله يتطلع إلي الحقيقة العليا التي يتحقق بمعرفتها السلام الشامل للنفس، ولكن أين هى هذه الحقيقة ؟ أوتلك البلاد المحجوبة ؟ لقد طالما ابتغاها الهداة والمفكرون منذ القدم، ولكنهم لم يصلوا إلي جواب شامل فالطرق المطروحة أمامهم كثيرة متعددة والأراء والدعوات والمذاهب والأحتمالات متشابكة معقدة ، والعوائق القائمة كثيرة من هوى النفس، وبعد الغاية والمصالح المتعارضة ، وأدعاء كل صاحب رأي أو مذهب أو عقيدة أنه صاحب السبيل الأقوم ، وأنه الأجدر بأن يكون دليلاً للسارين، وأن الشاعر أمام هذه العوائق قد اعترته الريب والشكوك في وجود هذه الحقيقة الكبرى، ولكنه بتدرجه في عودته إلي الذات، وطرح النظر إلي الخارج بعد كل تساؤل، يقترب رويداً رويداً من تلك الحقيقة العليا .

**يابلادا حجبت منذ الأزل** كيف نرجوك ؟ومن أين السبيل ؟

**أي قفر دونها ؟ أي جبل** **سورها العالي ؟ومن منا الدليل ؟**

**أسراب أنت ؟ أم أنت الأمل ؟** **في نفوس تتمني المستحيل ؟**

**أمنام يتهادى في القلوب** **فإذا ما استيقظت ولي المنام ؟**

**أم غيوم طفن في شمس الغروب** **قبل أن يغرقن في بحر الظلام ؟**

وفي الصورة تدرج يناسب تدرج الفكرة؛ فهو حين نظر إلي الخارج رأي البلاد سراباً، ولكنه حين اخذ يعود إلي الذات بدأ وجودها يتضح ويتأكد لديه ، وأن كان مشوباً بالغموض الذى يأخذ في الانقشاع فهو لأول وهلة حسبها أملاً كاذباً، ثم حسبها مناما ورؤى حالم تتبدد في ضوء النهار، ثم حسبها غيوماً تلوح في شمس الغروب، ثم يحتويها الظلام ، ومعنى ذلك أن لها وجوداً حقيقياً، وأن لم يكن ظاهراً.

وما إن تعمق في ذاته، وقصر النظر عليها حتى اكتشف أن الحقيقة العليا قوة محركة للأرواح ، وقلب نابض في صدره.

**يـــا بـــلاد الفكـــر، يامهـــد الألي** **عبدوا الحق ، وصلوا للجمـــال**

**مــــا طلبنـــــاك بركــــب أوعــــلي** **متن سـفن، أو بخيـل ورحـــــال**

**لســت في الشرــق، ولا الغــرب، ولا** **في جنـوب الأرض،أو نحـو الشـمال**

**لسـت في الجـو، ولا تحـت البحـــار** **لست في السـهل، ولا الـوعر الحـرج**

**أنـــت في الأرواح أنـــوار ونـــــــار** **أنت في صدرى فـؤاد يختلــج (1)**

ولكـن كيـف تكـون الحقيقـة موجـودة في الأرواح،أو تكـون قلبـا نابضـاً في صـدره ثـم ينشـدها ؟ والجـواب أنـه إنـما ينشـد الـوعى بهـا ، فكـم في الـذات مــن معــارف لا يعيهـــا صــاحبها، ووصــوله إلي الــوعى أو إلي نصــيب كبــير مــن الــوعى- لأن الــوعى الكامــل بالحقيقــة محــال عــلي الطاقــة البشرــية – لا يتحقق إلا بتهيئة للمعرفة عن طريقين :ـ

- **أولهما** : التعلق بالخلود .
- **ثانيهما** : الانصهار في الآلام .

فهو يقول لنفسه في لغة رقيقة سهلة، ومناجاة خافتة .

**يـــانفس لـــولا مطمعـــــــــــى** **بالخلـــد ، مـــا كنـــت أعـــى**

**لحـــــناً تغـــــنيه الدهـــــور**

**بـــل كنـــت أنهـــى حاضـــرى** **قســــــرا فيغدوظاهـــــــرى**

**ســــراً تـــواريه القبـــور**

**يــــا نفـــس لـــو لم أغتســـــل** **بالـــــدمع أو لم يكتحـــــــل**

**جــــــفنى بأشبـــاح الســقام**

(1) المرج السابق ص 599 ، 596 .

**لعشـــــــت أعمـــــــى وعـــــــلي بصـــيرتى ظفـــر فـــــــــلا**

**أرى ســـــوى وجـــــــه الظـــلام (1)**

**والذات هى القوة الهائلة ،أو هى الجبار الرئبال الـذى تنطـوى فيهـا الحقـائق الكبرى** كلها فمن ينشد الحقيقة ، فلينشدها في ذاته ، وهذا هوما تصوره قصـيدته " **الجبار الرئبال"** حيث تقول الصورة الشعرية الظاهرية للقصيدة، أنه ظهر له في ظلام الليل طيف هائل، يشبه الليل في جبروته وهوله، وقد كان يمشى مبطئـاً وأثقـاً مـن نفسه كان ليس علي الأرض سواه ، وجسمه شفاف اختلط فيه النور بالضباب.

**فسأله الشاعر عن حقيقته أهو جنأم بشر .؟**

**فأجابه هازئاً** : أنا ظل القدر " فينكر الشاعر عليه ذلك لأنه يعتقد أن القضـاء أو القدر قد مات يوم ولد، فأجابه فى حيرة أنا الحب الذى لا يتحقق لأحـد العـيش حق العيش إلاَّ إذا ناله، فيجيبه الشاعر بأن ذلك غير صـحيح لأن الحـب لا يعـيش بعد أن تذبل أزهار الربيع، فيقول الطيف في غضب ،أنا الموت المريع فينكر الشـاعر ذلك أيضاً؛ لأن الموت في اعتقاده صبح و بدء حياة جديدة وليس ظلاماً فأجابـه : " **أنا المجد"** فينكر ذلك عليه أيضاً فيقول له : " **أنا السر** " فينكره؛ لأن السر أن ظهـر تولي كالمنام، فأجابه إجابة أخيرة بأنه ليس إلاَّ ": الشاعر نفسه " **وهو ذاته** " فإذا شاء أن يعرفه، فليرقب المرآة صبحا ومساء ثم أختفي عن ناظريه:

**في ظـــلام الليـــل يمشـــى مبطئـــــــاً وهو مثل الليـل هـولا قـد بــــدا**

**وحـــده يمشـــى كـــان الأرض لــــم تـــبر إلاه عظـــيماً سيـــــــــداً**

**ويـــدوس الـــترب مرفوعـــاً كمـــــا تلمـس الأطـلال أطـراف السحاب**

**فكـــان الجســـم في أثوابـــــــــــه من شـعاع وسـديم وضبـــــاب**

---

(1) المرجع السابق ص 598 .

قلــت يــا طيفــا يعيــق الليــل فـــي | سيره ، هل أنـت جـن أم بشـــر ؟
قـــال مغتاظـــاً وفي ألفاظـــــــــه | رنــة الهــزء : أنــا ظــل القـــدر
قلت : لا يـا طيـف قـد مـات القضـا | يـــوم ضـــمتنى ذراع القابلـــــه
قـال محتـاراً: أنـا الحـب الـــــذى | لا ينـــال العـــيش إلا نائلـــــه
قلــت : لا فالحــب زهــر لا يعــيش | بعد أن تـذبل أزهـار الربيــــع
قـــال غضـــباناً وفي لهجتـــــــه | ضــجة البحــر :انــا المــوت المريــع
قلــت : لا فـــالموت صــبح أن أتــى | أيقـــظ النـــائم مـــن غفلتــــه
قـــال محتـــالاً: أنـــا المجــد فمـــن | لم ينلنـى مـات في علتــــــــه
قلــت : لا فالمجــد ظــل ينثنــــى | مضــمحلا بــين لحـد وكفـــن
قـال مرتابـا : أنـا الســر الـــذى | يتهـــادى بـــين روح وبـــــدن
قلــت : لا فالســـر أن باحــت بـــه | يقظة الفكـر تـولي كالمنــــام
قـــال ملتاعـــا: كفـــي تسألنـــــى | من أنا، قلت:أفي السؤال ملام ؟
قـال محجوبـاً: أنـا أنـت فـــــلا | تســألن الأرضى عنـى والسمـــا
فـإذا مــا شــئت أن تعرفنـــــى | فارقـب المـرآة صـبحاً ومســـا
قـــال هـــذا واختفـــي عـــن نــاظرى | مثلما الدخان تذريـه الـــــرياح
تاركــاً مـــا بي مـــن الفكـــر يهـــيم | بين أشباح الـدجى حتـى الصـباح (1)

(1) المجموعة الكاملة ص 608 ، 609 .

هذه هى الصورة الشعرية الظاهرة .

## فماذا عن الصورة الباطنة ؟

إننا إذا عدنا إلي قراءة القصيدة من الداخل رأينا أن نهاية القصيدة المفسرة للحيرة المنطوية فيها ترتبط أرتباطاً وثيقاً بالمقدمة،أو بأبيات المطلع؛فهي ترينا مدى الاعتداد بالذات حين " **يضخم**" في حجم الطيف وهوله، ويصور ثقته بنفسه؛ حتى إنه ليعيق الليل في سيره بهامته المرفوعة؛ كأنها الأطلال العالية تلمس أطراف السحاب.

ونتساءل لماذا جعل الجسم من شعاع وسديم وضباب ؟ أنه يعني بذلك أن الحجاب نفسه الذى هو الجسم إنما هو حجاب يتلاشى أمام قوة الحقائق الكامنة في الباطن .

وقد ذكر الشاعر أربعة أمور علي لسان الطيف قبل أن ينطق بالحقيقة الأخيرة.

هى القدر والحب والموت والسر أو "**القوة الروحية** " وهذه الأمور الأربعة هى التي تأبي علي التحديد ، ولم تستطع جهود الفلاسفة والمفكرين أن تصل في شانها إلي جواب أخير .

أما إجابة الطيف الختامية فهى تعنى أن هذه الأمور كلها هى من صنع الذات ووحيها، فمن شاء أن يعرف الحقائق، فليرجع إليها وليقصر نظره عليها ، ومن هنا جاء نهى الطيف بألا يسأل الأرض ولا السماء فليس في خارج الذات دليل مرشد،أو هاد يهتدى به .

**ونحن نستطيع أن**نستبط من خلال هذه الصورة الشعرية مدى تأثر الشاعر بالمذهب الأفلاطوني في المعرفة والمثل العليا، وقد كان أفلاطون يرى أن المعرفة ما هى إلاَّ تذكر،أو وعى بما تحتويه النفس منذ كانت موجودة في عالم المثل (1) كما نلحظ تأثره بابن سينا في قصيدته عن النفس، وقد كان جبران معجباً بالفيلسوف

(1) يوسف كرم – تاريخ الفلسفة اليونانية ص 73 ، 74 .

وقصيدته كل الإعجاب ، ونلحظ أيضاً تأثره بالمذاهب الوجودية التي تنطلق جميعها من مبدأ أن وجود الذات سابق علي الماهية (١) وهذه مصادر لأفكار الشاعر، ولكن لا نستطيع أن نغفل مصدراً ذا تأثير راجح ، وهو انعكاسات الرؤى الصوفية التي تذهب إلي أن المعرفة الحقيقية تنبع من القلب،أو من الباطن ولا تستنبط من الخارج عن طريق الاستدلال المنطقى .

وتتجلي هذه النزعة الصوفية في مقطوعته المسماة " **سكوتى إنشاد** " وغموض المتصوفة واضح في مراميها وبنائها الفنى ، ولغتها،إذ يعتمد فيها " **جبران** " علي التقابل الذى يرده إلي الوحدة والإئتلاف في الذات، تلك التي يراها مصدر الحقائق ، بل يرى أنها هى الدهر نفسه ، وإليها ترتد الفاعلية الحقيقية **فيقول** :

**سكوتى أنشاد، وجوعى تخمة** | **وفي عطشئ ماء ، وفي صحوتى سكر**
**وفي لوعتى عرس وفي غربتى لقا** | وفي باطنى كشف ، وفي مظهرى ستر
**وكم أشتكى هما ، وقلبي مفاخر** | **بهمى ، وكم أبكى وثغرى يفتر**
**وكم أرتجى خلا – وخلي بجانبى** | وكم أبتغى امرأً ، وفي حوزتى الأمر
**وقد ينثر الليل البهيم منازعى** | علي بسط أحلامى فيجمعها الفجر
**نظرت إلي جسمى بمرآة خاطرى** | **فألفيته روحاً ، يقلصه الفكر**
**فبي من يرانى والذى مد فسحتى** | **وبي الموت والمثوى وبي البعث والنشر**
**فلو لم أكن حياً لما كنت مائتاً** | **ولولا مرام النفس مارامني القبر**
**ولما سألت النفس ما الدهر فاعل** | **بحشد أمانينا أجابت أنا الدهر** (٢)

---

([1]) الدكتور محمد غلاب " الوجوديه المؤمنة والوجودية الملحدة " سلسلة من الشرق والغرب " الدار القومية للطباعة والنشر 1965 ص 18.

([2]) المجموعة الكاملة ص 594 .

والقصيدة كما نرى تقوم علي الإخبار عن الشئ بنقيضه ، وفي هذا من أثارة الغموض والعجب وإسدال الستر ما فيه – كما نرى معجم المتصوفة في **(الصحوه)** و**(السكر)** و **(اللقاء)** و **(الباطن)** و **(المظهر)** و **(الكشف )** و **(الستر)** وقوله : **( فبي من يراني والذى مد فسحتى )** ولكن هذه المتناقضات ترتد إلي الذات، ولا طريق إلي معرفة حقائقها إلا عن طريق استبطأن الذات ، وإلا الغوص إلي أعماق النفس أو الروح وهو أحياناً يستعملها بمعنى واحد وأحياناً يفرق بينهما **" والحاكم"**أو **" النبي "** هو أكثر الناس تأملا في باطن ذاته ، وأنفذهم بصراً إلي دخيلته، وهو من أجل هذا؛ أكثرهم قرباً من الحقيقة الكبرى .يقول جبران علي لسان خليل الكافر ، النور الحقيقي هو ذاك الذى ينبثق من داخل الإنسان، ويبين سرائر النفس للنفس، ويجعلها فارحة بالحياة مترنمة باسم الروح . أما الحقيقة فهى كالنجوم لا تبدوإلاَّ من وراء ظلمة الليل ، الحقيقة هى مثل جميع الأشياء الجميلة في هذا العالم؛لا تظهر مفاعيلها المستحبة إلاَّ لمن شعر بتأثيرات الباطل القاسية ، الحقيقة هى تلك العاطفة الخفية التي تعلمنا أن نفرح بأيامنا ، وتجعلنا نتمني ذلك الفرح نفسه لجميع الناس (1).

## 2- **الإله والأديان** :

كل ما في الوجود كائن في باطنك ، وكل ما في باطنك موجود في الوجود ، وليس هناك حد فاصل بين أقرب الأشياء وأقصاها ، أو بين أعلاها وأخفضها ، أو بين أصغرها وأعظمها . (2)

بهذا وبأمثاله من العبارات التي تردد علي ألسنة شخوص جبران في قصصه يعلن جبران عقيدته في **"وحدة الوجود "** ، وقصيدته **" المواكب"** يتردد فيها الصوت الثاني بعد كل مقطع شاك من حياة البشر الواقعية معلناً أن حياة الغاب

(1) المرجع السابق ص 131.
(2) المرج السابق ص 585.

تتجلي فيها هذه الوحدة الشاملة ، بعيداً عن تلك المعتقدات التي أوجدتها المدنية المصطنعةالتي قامت علي التفريق بين المادة والروح والجهل والعلم، والظلام والنور، والحياة والموت، إلي آخر هذه الأضداد .

وتتمادى عقيدة جبران في وحدة الوجود : فيرى هذه الوحدة متحققة بين الله والإنسان،بل بين الله وجميع خلقه، وهو يطلق علي " الله" وصف " الروح الكلي الخالد"(١).

لقد أخذ جبران من " **نيتشه** " المبالغة في تقدير قيمة الإنسان ، وأخذ من العقيدة المسيحية علي الرغم من تمرده علي تصورات القساوسة – فكرة الحلول والاتحاد، وقد سهل عليه الجمع بين هذين الرأيين إلي جانب قراءاته في كتب المتصوفة، وتأثره بعباراتهم الموهمة بوحدة الوجود أو الحلول أن يقول " **بألوهية الإنسان**" غير أن أكثر ترديده ، لهذا القول كان في أعقاب قراءته لكتاب نيتشة : هكذا تكلم زارد شت (٢) ويصرح جبران بفكرة ألوهية الإنسان في ختام مقاله عن " **القوة العمياء** " قائلاً:

" علي أننى وجدت بين هذه النكبات المخيفة والرزايا الهائلة :

" **ألوهية الإنسان**" واقفة كالجبار تسخر بحماقة الأرض ،وغضب العناصر ، ومثل عمود نور منتصبة بين خرائب بابل، ونينوى، وتدمر، وبمباي وسان فرانسيسكو، ترتل أنشودة الخلود قائلة : " لتأخذ الأرض مالها فلا نهاية لي " (٣).

**ويقول علي طريقة المتصوفة قاصداً الحلول والاتحاد بالذات الإلهية فيما سبق أن عرضناه:**

**فبي من برانى والذى مد فسحتى** وبي الموت والمثوى، وبى البعث والنشر

---

(1) المرج السابق ص 131 .
(2) يبرز ميخائل نعيمة في كتابه عن " جبران خليل جبران " هذا التحول الفكرى في حياة جبران في الفصل الذى عنوانه " حفار القبور " ص 186 الطبعة الخامسة بيروت عن دارى صادر وبيروت سنه 1964.
(3) المجموعة الكاملة ص 306.

**فلـو لم أكـن حيـاً لمـا كنـت مائتـاً ولولا مرام النفس، مـا رامنـي القـبر**

**ولما سـألت الـنفس مـا الـدهر فاعـل بحشد أمانينا أجابت أنـا الدهـر**

وقد أتخذ جبران من البحر رمزاً للمطلق،أو للأبدية الشـاملة للوجـود كلـه فكل شئ في النهاية يرتد إليه :

**في سـكون الليـل لمـا تنثنـى يقظة الإنسـان مـن خلـف الحجـاب**

**يصـرخ الغـاب : أنـا العـزم الـذى أنبتته الشمس من قلـب التـراب**

**غير أن البـحر يبـقي ساكنـاً**

**قـائلاً في نفـسه : العـزم لي**

**ويقـول الصـخر : أن الـدهر قـد شادنى رمزاً إلي يـوم الحسـاب**

**غـير أن البـحر يبقي صامتـاً**

**قـائلاً في نفـسه : الـرمز لي**

**وتقـول الـريح : مـا أعذبنـى فاصلاً بـين سـديم وسمـا**

**غـير أن البـحر يبقي ساكنـاً**

**قـائلاً في نفـسه : الريـح لي**

**ويقـول النهـر : مـا أعذبنـى مشـرباً يـروى مـن الأرض الظما**

**غـير أن البـحر يبـقي صامتـاً**

**قـائلاً في ذاتـه : النـهر لي**

**ويقـول الطـود : إنـى قائـم ما أقام النجم في صـدر الفـلك**

**غـير أن البـحر يبـقي هادئـاً**

**قـائلاً في نفـسه : الطـود لي**

**ويقـول الفكـر : إنـى ملـك لـيس في العـالم غـيرى مـن ملـك**

**غـــــير أن البــــــحر يبـــقي هاجعــاً**

**قائـــــــــلاً في نومــــــــه : الكل لي** (1)

**ومع أن القصيدة ذات وحدة فنيـة نلحـظ أن**ختامهـا لم يكـن مـن الحـتمفعلي طريقته لا يزال الباب مفتوحاً لعناصر اخرى يمكن أن تمتـد إلي غـير نهايـة ، ويظـل البحر متحدياً لها في نفسه ، ولكن الشاعر أوقف هذا الاسترسال لمجرد التوقـف لا لأن هذه العناصر بعينها هي المطلوبة في هذا المقام ، فـنحن لا نسـتطيع أن نقـول أن كلامنها يرمز إلي قوة محددة لا تقوم غيرها مقامها في الدلالة عليها ، أو أنه لا يمكـن أن تضاف إليها قوى أخرى .

**ونلحظ أيضاً أن الشاعر وضع " الفكر"** بين هذه العناصر مع إنه لـيس مـن جنسها وإثارة هذه القصيدة إثارة ذهنية فكرية أكثر منها إثـارة وجدانيـة شـعورية ، وخلاصتها أن البحر يرجع إليه كل شئ مهما اختلفت الأشـكال والألـوان،والبحر في هذه القصيدة بحر ساكت صامت هادئ هاجع " لأنه يرمز إلي الأبدية أو المطلـق الذى يحتوي كل شئ دون أن يعتريه تغير أو اضطراب والأبـد هنـا لـيس في مقابـل الزمأن كما يعتقد الفلاسفة المتدينون ، الذين يفرقـون بـين وجـود الخـالق ووجـود المخلوق . وإنما الأبد هو مصدر الزمان،وقوام وجوده في عقيدة جبران؛فمنه صدر، وإليه يرتد؛إذ هو يعنى الوحدة المطلقة .

وتصور جبران للدين نابع من هذا المنطق ، فهو ينكـر أديـان البشـــر القائمـة علي الرغم من تعظيمه للأنبياء، مثل عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام – ولكنـه لا يتقبل من الدين مبدأ الثواب والعقـاب . ويـرى أن عبـادة الله طمعـاً في الجنـة أو خوفاً من النار ضرب من التجارة ، وهذه التعاليم التي يقوم عليها رجـال الـدين – وهو يتكلم من منطلق معاناته لتسلط القساوسـة والرهبـان في المسـيحية – مرتبطـة

(1) المجموعة الكاملة ص 606 .

بمنافعهم وتحقيق مصالحهم، وأما في حياة " **الغاب** " – رمز الوحدة المطلقة فلا تمايز بين الأديان ، والدين هو دين القلب، أو دين الطبيعة التي تفيض الحب علي أبنائها .

**والدين في الناس حقـل لـيس يزرعـه — غير الإلي لهـم في زرعـه وطـــــر**

**مـــن آمـــل بنعـــيم الخلـــد مبتشــــر — ومن جهول يخاف النـار تستعـــر**

**والقوم لولا عقاب البعث مـا عبـدوا — ربا ، ولـولا الثـواب المرتجى كفـروا**

**كإنما الـدين ضرب مـن متاجرهـــم — أن واظبوا ربحـوا، أو اهملـوا خســروا**

**فيجيب الصوت الثاني :**

**لـــــيس في الغايــــات ديــــــن — لا ولا الكفــــر القبيــــــح**

**فــــإذا البلبـــــل غنـــــــــى — لم يقـــــل هــــذا الصحيــــح**

**أن ديــــن النــــاس يأتــــــى — مثــــل ظـــل ويــــــروح**

**لم يقــــــم في الأرض ديــــــن — بعـــــد طــــه والمسيــــــح**

**أعطنـــــى النــــأي وغـــــن — فالغنـــــا خـــير الصـــــلاه**

**وأنـــــين النـــــأي يبقــــــــي — بعـــــد أن تفنـــى الحيـــــاه (¹)**

فالثورة علي الثنائية في مواكب جبران ، هى طريق الخلاص للإنسـانية وهـي البديل الوحيد الذي يغنى الناس عن الدين والشـريعة والمقـاييس الموضـوعة ، وفي تحطيم الثنائية تكمن حقيقة الثورة علي تلك الأديان التي حصرت تعاليمها في هـذه القسمة الثنائية بين روح وجسد، وخير وشر، وعدل وظلم ، وثواب وعقاب (²).

(¹) المجموعة الكامله " الكواكب " ص 355 .

(²) الشعر العربي في المهجر – أمريكا الشمالية ص 42 .

ومـا أكثـر التعليقـات السـاخرة التـي صـبها جـبران عـلي الـدين ورجالـه في مقالاته النثرية العديدة .

ويستبدل جبران بالأقانيم الثلاثة في المسيحية (الأب والابن وروح القـدس) أقانيم أخرى تتفرع حتى تنتهى إلي ثلاث ذوات .

- فالذات الأولي الحياة والحب والجمال ثلاثة أقانيم في ذات واحدة مستقلة مطلقة لا تقبل التغيير والانفصال .
- والذات الثانية (الحياة والتمرد والحـق) ثلاثـة أقـانيم في ذات واحـدة لا تقبـل الانفصال ولا التغير.
- والذات الثالثة ( الحياة والحرية والفكر ) ثلاثة أقانيم في ذات واحـدة أزليـة لا تزول ولا تضمحل .

وبــذلك يــرى أن الحــب ومــا يولــده ، والتمــرد ومــا يوجــده ، والحريــة وما تنميه ثلاثة مظاهر من مظاهر الله ، والله هو ضمير العالم العاقل [1]

وهكذا تلتقي في تصور جبران عن الألوهيه والدين عدة تصورات فلسـفية ، وعقائد دينية مختلفة، يمزجها جميعاً برؤيته الخاصة في شعره ونثره.

### 3- **الخلود** :

**يرى جبران أن الموت هو ملاذه ومهربه** ، وانه فاتحة عالم جديـد ، فيـه تتحقـق الأمـانى وتعـم السـعادة ، وهـو يعتمـد في تصـديقه لعقيـدة الخلـود عـلي الخيـال والعاطفة،أكثر مما يعتمد علي مصادر دينية أو عقلية ، ويؤمن بأن مجرد تخيـل الـروح لشئ هو دليل علي وجوده الحقيقي؛ فيقول في مسرحيته النثريـة " إرم ذات العـماد" حين يوجه نجيب رحمة سؤالاً إلي آمنة العلوية قائلاً:

---

([1]) المجموعة المكاملة مقال بعنوأن " رؤيا " ص 415 ، 416 .

"أفي كل خيال حقيقة ياسيدتى وهل في كل تصور معرفة ؟ " فتجيبه العلوية : " أي والحق . أن مرآة النفس لا تعكس سوى ما انتصب أمامها، ولو شاءت لما استطاعت ، أن البحيرة الهادئة لا تريك في أعماقها خطوط جبال ورسوم أشجار، وأشكال غيوم لا وجود لها بالحقيقة؛ولو شاءت البحيرة لما استطاعت، أن خلايا الروح لا ترجع إليك صدى أصوات لم يرتعش بها الأثير حقاً؛ ولو شاءت الخلايا لما استطاعت . أن النورلا يلقي علي الأرض ظل شئ لا كيأن له؛ ولو شاء النور لما استطاع.(1)

وفي إيمانه بالخلود يعتمد علي هذا الخيال ، فالعيش ليل ينتهى بفجر الموت الذى يدوم، ولا دليل عنده علي ذلك إلا ظمأ القلب ،أو تمنيه هذا الخلود الرحيم .

**يا نفس ما العيش سوى ليل إذا جن أنتهى**

**بالفجر والفجر يدوم**

**وفي ظما قلبي دليل علي وجود السلسبيل**

**في جرة الموت الرحوم**

وقد رأينا في مناقشة " **نشدان الحقيقة**" عند جبران أن تعلقه بالخلود مصدر من مصادر معرفته ووعيه (2).

ويعتقد جبران بتوحد الروح والجسم تفريعاً من معتقده بوحدة الوجود فالجسم زهرة والروح بذرة والزهور وأن فنيت فالبذور باقية .

**يا نفس أن قال الجهول الروح كالجسم تزول**

**وما يزول لا يعود**

**قولي له أن الزهور تمضى ، ولكن البذور**

(1) المجموعة الكاملة ص 592 .
(2) أنظر ص 234 .

**تبـــــقى – وذاكـــنه الخـــلود** (1)

ولذلك فإنه يشتاق الموت ويرى فيه شفاءه مـن آلام الحيـاة ، وخلاصـه مـن هموم الواقع ، **ويستعين بالصبر حتى يبلغ هذا الأمل:**

**شـاخت الـروح بجسـمى وغـدت لا ترى غـير خيـالات السنيـــن**

**فـاذا الأميـال في صـدرى فشـت فبعكـاز اصـطبارى تستعيـــن**

**والتـوت منـي الأمـانى وانحنـت قبـل أن أبلـغ حـد الأربعيـــن**

**تلـك حـالي فـاذا قالـت رحيـــل ما عسى حل بـه ؟ قولـوا الجنـون**

**وإذا قالـــت أيشـــفي ويـــــزول ما به؟قولوا سيشـفيه المنـــون** (2)

علي أننا يجب أن ندفق فيما يعينه جبران بالخلود ............

أنه لا يعنى انتقال الـنفس أو الـروح إلي عـالم آخـر يعلـو عـلي عالمنـا المـادى ويختلف عنه بالجوهر والعرض ويسميه الدين بـالآخرة " في مقابـل " **الأولي**" أو "**الدنيا**" ولا يتصور جبران خلوداً خارج نطاق الحياة المادية التـي نحياهـا،أو في غـير الأرض التي نعيش عليها، فجبران يؤمن بالتقمص وتناسـخ الأرواح تبعـاً لإيمانـه "**بوحدة الوجود**" وائتلافه علي الرغم من تعدد أشكاله ومظـاهره، ولنسـتعن بنثـر جبران لإيضاح هذه الحقيقة التي أوجزها في شعره إيجازاً شديداً فلا تكاد تبين.

ففي قصته"**رماد الأجيال والنار الخالدة** "تدور الأحداث حول محور تناسـخ الأرواح ، فالعاشـقان اللـذان عاشـا سـنة 116 قبـل المـيلاد يعـودان إلي الأرض ويلتقيان في ربيع 1890 بعد الميلاد، **وتقول الفتاة لفتاها :**

(1) المجموعةالكاملة ص 598 .
(2) المجموعة الكاملة ص 614 .

" قد أعاد عشتروت روحينا إلي هذه الحياة كى لا نحرم ملذات الحب ، ومجد الشبيبة يا حبيبي " (1).

ولم تكن غاية جبران من هذه القصة كما يقول ميخائيل نعيمة " إلا التدليل علي عقيدة تناسخ الأرواح التي اتصلت إليه إما عن طريق المطالعة ، وإما من أفواه بعض معارفه" (2).

ويقرر جبران بقاء النفس بأحلامها وعواطفها علي الرغم من فناء المظاهر والأعمال، **قائلاً**: " ولكن الأجيال التي تمر وتسحق أعمال الإنسان لا تفنى أحلامه ولا تضعف عواطفه ، فالأحلام والعواطف تبقي ببقاء الروح الكلي الخالد وقد تتوارى حيناً ، وتهجع آونة متشبهة بالشمس عند مجئ الليل وبالقمر عند مجئ الصباح " (3).

ولكنه في "**المواكب**" يمزج بين هذه الرؤية وتأثره بالفيلسوف الألمانى " **نيتشه** " : في فكرته عن "**الإنسان الأعلى**" أو " **السوبر مان** " **فنيتشة** "هو صاحب مذهب القوة في العصر الحديث، وقد زعم أن الأديان شجعت أخلاق الضعفاء والمساكين ، وأوهمت بفكرة الخلود في عالم أخروي ينال فيه الضعفاء ثواب أخلاقهم المتمسكنة، وأنه لابد من انهيار تلك الأوهام بظهور الإنسان الأعلي أو السوبرمان الذى سوف لا يعترف إلاَّ بمنطق القوة وحده ، فيغير تلك الأوضاع القائمة وينبذ الجدول الراهن للقيم والمثل الأعلي المسيحى الديموقراطى المرعى في أوروبا، ويعود إلي جدول القيم الذى كان مرعياً عند الأمم الشريفة – في نظره –التي خلقت قيمها ولم تتلق قيماً من خارج ، والإنسان الأعلي المنتظر سيفيد من مكتشفات العلم للسيادة علي الطبيعة نفسها ، غير انه يجب أن يتوقع آلاماً شديدة في صراعه المستمر ضد الضعفاء الذين يستخدمهم، فقد يستطيعون أحياناً بفضل عددهم أو دهائهم

(1) المجموعة الكاملة ص 47 من عرائس المروج .
(2) المجموعة الكاملة مقدمة ميخائيل نعيمة للمجموعة ص 9 .
(3) المجموعة الكاملة نشيد الإنسان ص 342 .

أن يقهروه، وعلي ذلك يكون شعاره "**الحياة الخطرة** " ولما كانت غايته الفـوز؛ فإنـه يأبي كل شفقة علي المساكين ، ولما كان يلخص الإنسانية في شخصـه ، فإنـه يسـودها وهو مطمئن الضمير ، ويجد في الفوز غبطته العظمى، وأخيراً يثبت مصيره إلي الأبد بقبولـه أن يعـود فيحيـا حيـاة البطولـة هـذه إلي غـير نهايـة، وفقـاً لنظريـة الـدور السرمدى".[1]

وقد تأثر جبران بنيتشة وبعقيدة الدور السرمدى والتناسخ متلقيـاً اياهـا عـن نيتشة نفسه،وعن مصادر شرقية ويونانية عديدة .

وفي ثلاث أدوار من "المواكب" يوضح جبران مذهبه هذا في"الخلود " .

فهو يرى أولاً أن غاية الروح "**طي الروح** " فهى خفية فيهـا ، وتتطـور هـذه الغاية في الظهور مع كل دور من الأدوار .

ويعرض لأقوال الناس عن فناءالروح فمنهم من يتصور أنهـا تتلاشـى عنـد بلوغها حد الكمال، ومنهم من يتصورها مرتبطـة بالأجسـام فـإن فنيـت الأجسـام فنيت معها الأرواح، ولكنه يعلن بقاء الأرواح والأجسام ، قدرأت الجسـد باقيـة ، والأرواح – لا تحتضر بل أنها ما أن تنطوى حتى تعاود الظهور.

ويأتى الصوت الثاني " **المتجـاوب** " مؤكـدا أنـه فى حيـاة " **الغـاب** "أو فى " **الوحدة الشاملة** " لا يلمح هناك فرق بين روح وجسد ؛ بل هما شئ واحـد يتحـول أشكالاً:

**وغايـة الـروح طـى الـروح قـد خفيـت**

**فـلا المظـاهر تبـديها ولا الصـور**

**فـذا يقـول هـى الأرواح أن بلغـت**

**حـد الكـمال تلاشـت وانقضى الخـبر**

---

([1]) يوسف كرم تاريخ الفلسفة الحديثة ص 390 .

كـــإنما هـــى  أثـــمار إذا نضجـــــــــــــت

ومرت الــريح يومــا عافهــا الشــجر

وذا يقــول هـــى الأجســـام أن هجعـــــت

لم يبـــق فى الــــروح تهـــويم ولا عمــــر

كـــإنما هـــى ظـــل فى الغديـــــــــــر إذا

تعكـــر المـــاء ولـــت وامحـــى الاثــــــر

ظـــل الجميـــع فـــلا الـــذرات فى جســـــد

تشـــوى ، ولا هـــى فى الأرواح تحتضـر

فـــما طـــوت شـــمأل أذيـــال عاقلـــــــــة

إلا ومـــر بهـــا الشـــتوى فتنــدثــــــــر

لم أجـــد فى الغـــاب فرقـــــــــــــا

بـــــين نفـــــس وجســــــــــد

فـــالهوا مـــاء تهـــــــــــــــــــادى

والنـــدى مـــاء ركــــــــــــــــــد

والشـــذا زهـــر تمــــــــــــــادى

والثـــرى زهـــر جمـــــــــــــــد

وظـــــلال الحـــــور حـــــــــــور

**ظـــن لـــيلا فرقـــــــــــــــــــــد**

**أعطنـــــى النـــــأي وغنـــــــــــى**

**فالغنـــا جســــــــــــــم وروح**

**وآنــــين النـــــاي أبقـــــــــــــى**

**مـــن غبـــوق وصبـــــــــــــــوح**

ولكنه يعود فى الدورة التالية فيـدرك فرقـا بـين الـروح والجسـم؛ إذ يتخيـل الجسم وعاء للروح، أو"**رحما** " تستكن فيه حتى إذا بلغـت يـوم المخـاض يتلاشـى الوعاء، وتولد الروح بلا عناء، ولا خطر عليها من الفناء؛ وهـذا النضـج لـيس فى حق جميع الناس، ففى الناس أشباح تضاءلت أرواحهم حتـى كأنهـا غـير موجـودة فأجسامهم كالرحم العقيم .

**والجسم للروح رحـم تستكن بـــه حتـى البلـوغ فتستعلي وتنغمـــر**

**فهو الجنـين ومـا يـوم الحـمام ســوى عهد المخاض فـلا سـقط ولا عســـر**

**لكــن فى النــاس أشـباحا يلازمهـــا عقم القسى التي مـا شـدها وتـــر**

**فهى الدخيلة والأرواح مـا ولـــدت من القفيل ولم يحبـل بهـا المـــدر**

**وكم علي الأرض مـن نبـت بـلا أرج وكم علا الأفق غيم ما بـه مطـــر**

أما فى حياة " الغاب " فالوحدة شاملة والأرواح متساوية .

**لـــيس فى الغـــاب عقيــــــــم لا ولا فيهـــا الدخيــــــــــــل**

**أن فى التمــــــر نــــــــواة حفظـــت سر النخيــــــــــــل**

**وبقـــرص الشـــهد رمــــــــز عــن قفيــز وحقــــــــــــول**

**أنـــا العـــاقر لفـــــــــــظ صــيغ مــن معنــى الخمـــــول**

**أعطنـــــى النـــــاي وغـــــــن فالغنــا جســم يسيـــــــــــل**

**وأنــــين النـــــاي أبقـــــــى مـــن مســـوخ ونغـــــــــول**

**وهذا التفريق الذى ردده الصوت الأول بين الروح والجسم يهديه للتفريق بين الإنسان الأرضى والإنسان الأعلي**الذى يسميه بالأثيريونلحظ الفرق بين تصوره لهذا الإنسان وتصور نيتشة ، فجبران لا يتصوره طاغية يقضى علي الأخـلاق الفاضـلة ، وإنما يتصوره إنسانا ممتلئا بالآمال الروحية ، إنسانا يسمو إلي الخير والحب الشـامل ، ولذلك نلحظ هجوم نيتشة علي السيد المسيح عليـه السـلام ، وتصـويره لـه انسـانا متمسكنا ضعيفا (1) أما جبران فيعجب بالسيد المسيح ويصـوره رمـزا للسـوبرمأن الذى كان يبشر به نيتشة **فيقول** : ما عاش مسـكينا خائفـا ، ولم يمـت متوجعـا بـل عاش ثائراً، وصلب متمردا ، ومات جبارا (2) .

فالإنسان الأثيرى عند جبران ليس هو الطاغية المدمر لقيم الخير والفضـيلة ، وإنما هو الإنسان الذى يعانق الآمال الروحيـة ، ويسـموعلي مطالـب الـتراب فهـو المستحق وحده للخلود .

**والمــوت فى الأرض لابـــن الأرض خاتمـــة**

**وللأثـــيرى فهـــو البـــدء والظفـــــــــــــر**

**فمــن يعــانق فى أحلامــه سحـــــــــــرا**

(1) فريد ريك نيتشة " هكذا تكام زرادشت " ترجمة فليكس فارس – منشورات المكتبة الأهلية بيروت 1928 ص 233 ، 234.

( 2) المجموعة الكاملة ص 378.

يبقــى ، ومــن نــام كــل الليــل ينــدثـــــر

ومـــن يـــلازم تربـــا حـــال يقظتـــــــه

يعـــانق الـــترب حتـــى تجمـــد الزهـــــــر

فـــالموت كـــالبحر ، مـــن خفـــت عنـــاصره

يجتـــازه ، وأخـــو الأثقـــال ينحـــــــدر

ليس فى الغابـات مـــــــــــوت

لا ، ولا فيهـــــا القبـــــــــــور

فـــــإذا نيســـــان ولــــــــــــى

لم يمـــــت معـــــه الســـــرور

أن هـــول المـــوت وهـــــــــم

ينثنـــى طـــى الصـــــــــــدور

فالـــــذى عـــــاش ربيعـــــــا

كالـــــذى عـــــاش دهـــــــور

اعطنـــــى النـــــاي وغـــــــن

فالغنــــا سر الخلـــــــــــود

وأنـــــين النـــــاي يبقـــــــى

**بعـــد أن يفنــــى الوجــــــــود** (1)

ونحن نلحظ اضطرابا واضـحا فى تصـوره لعقيـدة التناسـخ فى هـذا الـدور الآخير؛ لأن التناسخ يقتضى بقاء جميـع الأنفـس وتحولهـا فى أشـكال مختلفـة حتـى تتطهر، ولكن الشاعر هنا يرى أن الخلود لا يسـتحقه إلاَّالإنسـان الأثـيرى المتعلـق بالعالم الروحي، أما الإنسان الأرضى أو الترابي فهـو ثقيـل الـروح ؛ولـذلك ينـدثر بالموت ولا يعود إلي الظهور ولقد يخفف من أثر هذا الاضطراب ما يعلنـه الصـوت الثاني من أن التفريق بين الموت والحياة وهـم مـن أوهـام الحيـاة المدنيـة وثنائياتهـا؛ فالحياةفى " **الغاب** " دائمة متجددة ليس فيها للموت معنى أو وجود.

---

[1]- المجموعة الكاملة المواكب ص 361 ، 362.

# الفصل الثاني

## بين طمأنينة القلب وشكوك الفكر
## فى شعر ميخائيل نعيمة

**الديوان الوحيد الذى نشره ميخائيل نعيمة هو ديوان " همس الجفون "** وتتراوح التواريخ التي سجلها للقصائد المنشورة فيه بين سنتى 1917– 1926 وهى مدة جد قصيرة من حياة الشاعر المديدة ، فقد ولد فى 1889 وتوفى منذ أشهر قليلة من عامنا هذا 1988 ، ولكن نتاجه النثرى نتاج غزير ، وفيه كثير مما سيعفنا فى تفسير شعره المركز ، وفهم مراميه التي ربما حالت طبيعة الشعر المقتضية للإيجاز والتركيز من الافصاح عنها إفصاح النثر ، وقد آثر الشاعر أن يبسط آراءه ، وتأملاته نثرا لما فى النثر من ترسل وبسط فى العبارة ، وتحرر من قيود الشعر التي ربما تحد من انطلاق تأملاته ، تلك التي تسبح دائما وراء حدود العالم المحسوس .

ويلاحظ الباحث فى شعر الرابطة القلمية أن هذه القصائد التي احتواها ديوان ميخائيل نعيمة – وهى ثلاثون قصيدة فقط تتميز بإحكام البناء العضوى فجبران قد يتفوق بخياله المجنح الطليق ، **"وإيليا"** بإحكام عبارته التي اكتسبها من مدرسة البعث السلفية فى مصر ، أما " **نعيمة** " فتبدو قصيدته ذات خطة محكمة ، ومحور تأملي تدور حوله؛ هذا إلي جانب ما تتميز به عبارته من همس ورقة وعفوية ، وموسيقاه من خفة وانسيابية وتلوين غير مسرف فى الزخرفة والبهرج ، وإنما هو تلوين يرتبط بالإبداع الشعورى والفكر ، ويتولد عنه .

**وحياة ميخائيل نعيمة كما صورها كتابه :" سبعون "** بمراحله الثلاث سلسلة من التأملات فى جوهرها ولبابها ، وأن كانت فى ظاهرها سلسلة من الأحداث الجليلة ، والرحلات إلي شرقي العالم وغربيه فى سبيل طلب العلم أولا ، ثم فى مكابدة العيش والقيام بمسئولياته تجاه أسرته وأخوته ثانيا، وهو بين الأمرين تشغله النهضة الأدبية، والسعى إلي تحرير الشعر العربي من قيود الصنعة ، والتكلف، والمديح الزائف والخضوع للمناسبات وهى تلك المبادئ التي عبر عنها فى قوة وحرارة كتابة ( **الغربال** ).

وعلي الرغم من جسامة الأحداث التي مر بها، وتعرضه لكثير من ألوأن الغربة والمعاناة إلي حد تجنيده – وهو المرهف الشعور الذى يبغض العنف كل البغض ويدعو إلي المحبة والسلام – للقتال بين صفوف الجيش الأمريكى فى الحرب العالمية الأولي ، علي الرغم من كل ذلك نجح فى الاحتفاظ بطبيعته التأملية وهدوء نفسه ، واستطاع أن يحقق قدرًا كبيرًا من الانسجام بين قواه الداخلية ، ويظفر بنصيب من الطمأنينة أحيانا كثيرة وأن كانت الشكوك لا تلبث أن تثير عواصفها ، فتهز هذه الطمأنينة هزا عنيفا .

وأيا كان حظ النظريات التي تعلق بها من الصواب والخطأ ، فإنه بما أوتيه من قدرة علي التأمل، وارتداد إلي عالمه الداخلي كان أقدر شعراء الرابطة علي إعادة السلام الداخلي إلي نفسه . وتنظيم قواه النفسية متى ما عصفت به الشكوك .

وجاء نتاجه الأدبي شعرًا ونثرًا صورة حقيقية لهذه النفس لا تزييف فيها ، فهوشعر هادئ هامس لا صراخ فيه، ولا حدة مزاج مع أنه عميق العواطف متدفقها، وبالموازنة بين سيرة حياته ونتاجه الأدبي شعرًا ونثرًا نلاحظ أنه يولي كل حدث يمر به نصيبه من التأمل ، فربما كان الموقف العابر – كلقاء صديق فى ظروف ضجر وتعب بداية لتدفق شلالات من التأملات ، ومنطلقا إلي الموازنة بين جوانب الخير وجوانب الشر فى الحياة، حتى العلاقات الغرامية اكتسبت عنده صبغة من التأملات الصوفية الشعرية استحالت بها تجارب روحية من نوع خاص.

وقد كانت الآونة القصيرة التي نظم فيها قصائد ديوانه حافلة بالتجاريب الحية التي كانت تثير هذه التأملات ، وكان فى هذه الآونة قد اتصل بجبران خليل جبران، واستأنف علاقته القديمة بنسيب عريضة ، وانضم إليهم إيليا أبو ماضي،وبقية الأعضاء الذين كونوا الرابطة القلمية ، وكان نعيمة مستشارها وواضع دستورها، وهو فى رأيي أوسع أعضائها ثقافة . فهولها من الناحية الثقافية والفكرية كالعقاد لمدرسة الديوان .

ويحلـو لـبعض النقـاد أن يعـزو أفكـار " **نعيمـة** " ومعتقداتـه إلي التـأثر "**بجبران**"[1]، ولكن الفحص المتتبع للنمو الفكرى ، والمؤثرات الثقافية لكل مـنهما يدل علي أن المكونات الفكرية والثقافية لنعيمة كانت مستقلة كـل الاسـتقلال عـن جبران وأن تلاقيا ، اذ أن نعيمة قد اتصل مبكرا بالأدب الروسي، وتعاطف وجدانياً وعن احتكاك بيئى بالمفكر العالمى" **تولستوى** "واتخذ منه أنموذجا للتضحية الفردية من أجل خير المجموع وقد تابع عن قرب المراحل الأخيرة من كفاح تولستوى ضد الأنانية والطغيأن وكان يرقب المعركة باهتمام خـاص ، ويقـول نعيمـة عـن " **هـذه الفترة** " هكذا بقى صراعه مع نفسه قائماً، وكنت أعرف شـيئا مـن ذلـك الصراع ، وأتمني من أعماق قلبى أن يخرج تولستوى منـه ظـافرا فقـد كـان لي فى ظفـر إنسـان واحد شبه وثيقة بأننيإذا أنا حاولت فباستطاعتى أن أظفر ..." .

وحين نشرت الصحف خبر وفاة تولسـتوى فى محـط صـغير للسـكة الحديـد يعلق قائلاً: لم تدمع عينى ولا انكمش قلبي، ولكنني أكبرت مـن الكاتـب العجـوز تلك القفزة يقفزها فى آخر أيامه؛وأن هى جاءت متأخرة ولم تبلـغ هـدفها، وعـدت أدراجى لأختلي بنفسى، وأفكر فى صراعى أنا مع نفسى، ومع العالم، وكيف يتطور؟ وإلي أين عساه ينتهي بي " [2].

وتحليلات نعيمة النفسية، وتأملاته فى مشكلات الوجود الكبرى وربطه بـين صراع الخير والشر، وعقيدة وحدة الوجود يلتقي فى بعـض جوانبهـا بتحلـيلات " **دوستو يفسكى** " فى " **الأخوة كارامازف**" " **والجريمة والعقـاب** " قبـل أن يعـرف جبران أو يسمع به .

---

[1] -من ذلك ما يقوله أستاذنا الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فى قصة الأدب المهجرى الجزء الثانى ص 79 من أن آلواء نعيمة فى " زاد المعاد " صدى عميق لفلسفة جبران وروحه وفكره وما يقوله الدكتور أنس داود فى التجديد فى شعر المهجر ص 257 من أن جبران هو الذى شرع فى ادب المهجر الاهتمام بالإنسان أكثر من زميليه فى القيادة الفكرية – الريحانى ونعيمة .

[2] - ميخائيل نعيمة " سبعون " المرحلة الأولي مؤسسة نوفل الطبعة السادسة 1981 ص 271.

ولكن نعيمة مع تأثره بالأدب الروسى يؤكـد أنـه لم يتـأثر بالموجـة اللاادريـة المتهتكة التي أشاعتها رواية " **سانين** "للكاتب الروسى أرتسيبا شيف ،أو كانتنقطـة انطلاقها [1] وكانت لنعيمة قراءاته المستقلة فى العقائد الشرقية الهنديـة، والمـذاهب الفلسفية القديمة،وقد بدا ذلك واضحا فى استشهاداته المختلفة ، والتي يعقـدها فى مؤلفاته النثرية؛هذاإليأن تجارب حياته قبل تعرفه بجبران وبعد تعرفـه بـه كفيلـةأن تكون له وجهته الخاصة التـي تلائـم طبيعتـه، وإن التقـت بكثـير مـن آراء جـبران ومذهبه بل لعلنا أقرب إلي الصواب إذا قلنا أن هذا التشابه الفكري هو الـذى أدى إلي الصداقة الحميمة ، وليست الصداقة هى التي أدت إليتشابه الأديبين.

ونحن لا نستطيع أن نفهم أبعاد شـعر ميخائيـل نعيمـة بمعـزل عـن المعرفـة بأحداث حياته، وما كانت تثيره فيه من تأملات عبر عنها شعره تعبيرًا مجملاً، وعبر عنها نثره تعبيراً مفصلاً، وقد ألقى كتابه " سبعون " أضـواء قويـة عـلي كثـير مـن قصائد ديوانه؛ حينما كشف النقاب عن المواقف التي أوحت بها، وعن المعانى التـي قصدها، وفى بعض الأحيان يفسر لنا إحدى عباراته الشـعرية تفسـيرًا يختلـف عـن المدلول الظاهري للفظ ،فيصرح مثلا بأنه أراد الدلالـة عـلي اتحـاد الـنفس بالـذات الالهية، ولكنه لم يجرؤ علي إعلاأن ذلك فقال " **أنت فـيض مـن إلـه** " تخفيفـا لوقـع اللفظ ، لا قصدا لمعناه المحدد [2] وهذا المثال يدلنا علي أننا لا نستطيع الاستغناء عن إضاءة نثره فى تحليلنا لمعتقداته عن الغيب ،ومواقفه من الشك والإيـمان مـن خـلال شعره.

وقضايا عقيدة الغيب التي تناولها شعر ميخائيل نعيمة هى :

1 – نشدان المجهول 2 – الاله والدين

3 – خلود النفس 4 – القدر

---

1- المرجع السابق ص 255.

2-المرجع السابق الجزء الثانى ص 166.

## 1- **نشدان المجهول** :-

لقد شغل ميخائيل نعيمة بقضايا الغيب المجهول منذ مراحل تكوينـه الثقـافى الأول ، ففى إحدى إجازاته الصيفية من دراسته فى بولتافا بروسيا وقد عاد إلي بلاده "**لبنان** " يستمتع بطبيعتها الجميلة فى أحضان" **الشـخروب**" أخـذ فكـره يمشـى الهوينا مع الظلال والأنوار ومع قطـرات المـاء فى القنـاة ، ومـع الأغنـام والأبقـار، والرعاة والحصادين فى الحقل ويسبح خيالـه فى الفضـاء مـع السـنونو والخطـاف ، أخذت التساؤلات الشاكة تعتريه ، يقول مصورا ذلك، ومـا هـى إلاَّ دقـائق حتـى يغيب عنى كل شئ، وأرانـى كالماشـى فى نفـق مظلـم تحـت الأرض، ففـى داخـلي أصوات لا تنفك تسألنى من أين كل ذلك ؟ وإلي أيـن ؟ ولمـاذا ؟ مـن الله وإلي الله، ومن أو ما هو الله ؟ ولماذا هذا التنويـع الهائـل فى الأشـياء حتـى لا تجـد عشـبتين أو زهرتين أو ثمرتين أو إنسانين يتشابهان فى كل شئ ؟! وما الحكمة فى أن تصدر هـذه الأشـياء عـن الله لتعـود إليـه ؟ ثـم مـا الحكمـة فى أنهـا بـين دورهـا وعودتهـا تمـر فى أطـوار عجيبـة مـن النمـو والانحـلال مـع مـا يرافـق ذلـك مـن لـذة وألم ؟ وأن لم يكن هنالك حكمة، وغاية من وراء الحكمة، فما معنى الوجود ؟ ولماذا تعلقنا به ؟ .

الظلمة تزداد سوءا، والنفق يضيق، وجواب واحد لا يأتينى مـن أي جانـب حتى لأشعر بأن أنفاسى تهرب من صدري، فأكاد أستغيث

وبغتة ألمح بصيصا من النور، أنه ضئيل، ضئيل، بعيد ، بعيد ولكننى أشعر فى الحال بانفراج فى صدرى ، وفى النفق ، وفى الظلمـة ويـزداد الانفـراج فيغـدو شـبه غبطة، وأحس كان أبوابا كثيرة مغلقـة فى داخـلي أخـذت تتفـتح ، ويبـدو لي أن الله الذى أفتش عنه سيطل علي من كل واحد منها وأن النفق الـذى أسـير فيـه أخـذت جدرانه وسقفه تتقلص رويداً، رويـداً، إننـى، فى مثـل لمحـة الطـرف سأبصرـ الله،

سأعرفه، سأكلمه ولكن تلك " **اللمحة** " كانت أعز من أن أقتنصها فقد أفلتت مني[1].

وقد كان يحاول دائما أن يتخذ من تلك الشكوك كما هو واضح من النص السابق دافعا للانطلاق نحو الإيمان، ولكن هذه الشكوك كانت أقوى من إيمانه، وكانت تفسد عليه كثيرًا محاولاته ، وذلك يرجع فى رأيى -إلي أنه لم يكن يستمد الإيمان من الخضوع لما أوحى الله به إلى الأنبياء من الشرائع الدينية ، بل كان يستهين بتأثير الشعائر، والعبادات في تثبيت الإيمان ؛فيحاول أن يقتبس هذا الإيمان اقتباسا مباشرًا من الطبيعة،أو من الارتداد إلي الذات أو القلب .

ففى" **صدى الاجراس**" أخذت الشكوك تحيط به ، وحين سمع " **صدى الأجراس** " **تعلن إقبال العيد** " لم ينهض متجها إلي المعبد كما يتجه الناس، بل اتجه إلي الغاب مع رفاقه مستعيدا ذكريات الصبا؛ اذ لم يكن يعرف من " **دق الأجراس** " إلا إقبال العيد وبهجته ، ولكن " **صدى الأجراس** " أخذ يلح عليه وهو منصرف إلي جمال الطبيعة فى الغاب ، وفجأة تعود الشكوك إليه ، ويتبدد الخيال، وينفض الرفاق ، ويصبح وحيداً مع هذه الشكوك التي تقطع نياط قلبه ، وهو يحاول أن يجمعها ويعقدها ، ويصنع منها ألحان شعره الذى لا يطرب أحدا **فيقول** :-

**بالأمس جلست وأفكارى    سرحت تستفسر آثارى**

**وتروود الحاضر والماضى    أملا أن تدرك أسرارى**

**واصطفت حولي أيامى    تستعرض عسكر أحلامى**

**فمشت أحلامى تخفرها    وتقود خطاها أوهامى**

**وأفاق الشك وأنصاره    آلام العيش وأوزاره**

[1]-المرجع السابق – المرحلة الاولي ص 249 ، 250.

**وأطلـــوا مـــن قلبـــى ليـــــروا قلبـا تتقطـــــــــــــع أوتـاره**

**وشـــبابا يجمعهـــا أبـــــــدا ويعقدها عقـدا عقـــــــــــدا**

**وعليهـــا يعـــزف ألحانـــــــا لا تطــرب فى الــدنيا أحـــــدا**

وبينا هو فى تلك الأفكار –إذا به يسمع صدى الأجراس تشق ستر الليل.

وهذا الصوت يعرفه، فهو صوت صباه يردده " **وادى الجماجم** " وشـواهق جبل " **صنين** " فيودع شكوكه مـسرعا إلي الصـوت الآخـذ في الإرتفـاع، ويـدعو رفاقه لا لكى يتجهوا إلي القداس حيث الصوت وإنماإلي فرحة العيد وبهجتـه بـين أحضان الغاب، فرب العيد يناديهم وهو هناك فى الطبيعـة لا فى القـداس، فى جمـال الغاب لا بين جدران الكنيسة فى بهجة الزهور، وتغريد الطيور، فى إشراقة الشـمس وحفيف الأشجار وطرب الرياح، وفى الصخور والهوام ، لا فى مـواعظ القسـوس وتراتيل الكهان " **لقد تحول صدى الأجـرس** " إلي عتـاب ، وانطلـق رفاقـه وبقـى وحده يتأمل، فهو فى تأمله يشعر بأن روحه انطلقت من أسارها وأن العالم مملكتـه ، وأنه حر طليق ، قد فك عنه قيود المكان والزمان .

**وإذا بســـــــــــكينتى ارتجفـــــــــــت**

**وقوافـــــــل أفكــــــارى وقفـــــــت**

**إذ مـــــزق ســـــتر الليـــــل صـــــدى**

**عرفتـــــه الأذن ومـــــا عرفـــــت**

**دن دن دن دن**

**بـــــــالله شـــــــكوكى خلينـــــــى**

**وحـــــدى ، ذا الصـــوت ينـــــادينى**

ذات صـــــوت صـــــبأي يـــــردده ال

وادى وشـــــــــواهق صـــــــــنين

سمعا : دن دن سمعا : دن دن

قولـــــوا لرفـــــاقى يجتمعـــــوا

فالشـــــمس رويـــــدا ترتفـــــع

واليـــــوم العيـــــد ورب العـــــي

د ينادينـــــا ، أو مـــــا ســـــمعوا

دن دن دن دن

هـــــوذا قـــــد أقبـــــل أترابـــــى

أهـــــلا ، أهـــــلا بأصـــــيحابى

النـــــاس تســـــير إلي القـــــدا

س ونحـــــن نكـــــر إلي الغـــــاب

دن دن دن دن

أشـــــجار الغـــــاب تحيينـــــا

وطيـــــور الغـــــاب تناجينـــــا

وزهـــــور الغـــــاب تصـــــافحنا

ونصـــــافحها وتهنينـــــا

دن دن دن دن

الـــــريح تمـــــر بنـــــا خببـــــا

فيمـــــيس الحـــــور لهـــــا طربـــــا

والشـــــمس بلطـــــف تلـــــثم أو

جهنـــــا وتـــــذر لنـــــا ذهبـــــا

أغصـــــان الغـــــاب تلاعبنـــــا

وهـــــوام الغـــــاب يـــــداعبنا

وصـــــخور الـــــوادى تـــــدعونا

وصـــــدى الاجـــــراس يعاتبنـــــا

دن دن دن دن

هـــــاهم أترابـــــى قـــــد سرحـــــوا

فى الغـــــاب يقـــــودهم المـــــرح

وبقيـــت أنـــا وحـــدى ســـكرانا يـــر

قـــــص فى قلبـــــى الفـــــرح

فجلســـــت عـــــلي كتـــــف النهـــــر

مـــــا بـــــين العوســـــج والزهـــــر

العـــــالم مملكتـــــى وأنـــــا

**سـلطان العـالم والـدهر**

ولا يطـول أمـد خلوتـه الروحيـة حتـى تعـود أشـباح الشـكوك ، ويأخـذ " **صدى الأجراس** " فى الخفوت ، وتعود نياط قلبه إلي التمزق، فيجمعهـا ويصـنع منها أشعاره الحزينة التي لا تطرب أحدا .

**الزهـر يعطـر أنفاسـى والنهـر يولـد فى رأسـى**

أشباحا راقصة لخرير الماء ، وصوت الأجراس:-

دن - دن - دن

**مـن ذلـك بـين الأشـجار يمشـى كخيـال مـن نـار ؟**

**هـو يضرب عـودا والأشـجار رتـئن لشـكوى الأوتـار**

دن دن

**الزهـر يـنكس تيجانـه والحـور يلملـم أغصـانه**

**والـريح تمـر عـلي أوتـار العـود فتختنـق ألحانـه**

**دن ..........................**

**مـا بـال سـكينتى اضـطربت وجحافـل أشـباحى هربـت**

**والغـاب ومـا فيهـا ووجـو ه رفـاقى عـن عينـى احتجبـت**

**قـد عـاد الشـك وأنصـاره آلام العـيش وأوزاره**

**وأطلـوا مـن قلبـى لـيروا قلبـا تتقطـع أوتـاره**

**وشـبابا يجمعهـا أبـدا ويعقـدها عقـدا عقـدا**

**وعليهـــــا يعـــــــزف ألحانــــــا لا تطــرب فى الــدنيا أحــدا** (1)

وقد تعاونت العناصر الفنيـة عـلي أداء المضـمون في هـذه القصـيدة تعاونـاً واضحاً فهى نموذج جيد لما يسمية النقاد بالموسيقى الخفية التي تعتمد علي التناغم المعنوى؛ فالألفاظ ،والإيقاع، والصور، والأفكار، والمشاعر؛ بل العنوان نفسه كلها تتجاذب وتتكامل في شكل فني معبر لا يطغى فيه جانب عـلي جانـب أو يتخلـف عنه، وقد أدى نمط القصـة القصـيرة الـذي آثـره الشـاعر دوره في تحقيـق الوحـدة العضوية،إلي جانب الوحدة الفنية المتحققة عن طريق تأزر العناصر الفنية.

فهذه السهولة البادية في الألفاظ تطالع القارئ في البيـت الأول، فتنقلـه دون كلفة أو جهد إلي عالم ميخائيل نعيمة، فيعاطفه في كل مشهد وحركة وانفعال .

**بـــالأمس جلســـت وأفكـــاري سرحـــت تستفـــسر أثـــاري**

أراد بقوله (**بالأمس جلست** ) أن يخبرنا عن حدث من حوادث الحياة اليومية المألوفة فإذا به عـن طريـق الجملـة الحاليـة " **وأفكـارى سرحـت** " ينقلنـا إلي عـالم الأفكار، وهى ليست أفكاراً باردة مجردة؛ وإنما هى أفكار نابضة بالحياة؛ بل هى عالم يموج بالحركة، والتفاعل، فالأيام تصطف، والأحلام تخفر الأفكار، والأوهام تقود الخطأ ، وللشك أنصار وأعوان أفاقوا معـه مـن نـومهم يطلـون مـن نوافـذ القلـب ليستطلعوا أمر تلك الجلبة التي حدثت في ميدان النفس . وعلي هذا الـنمط المتـدفق بالحياة الزاخرة تنساب القصيدة أو القصـة الشـعرية بالقـارئ دون أن يوقفـه لفـظ ناتئ، أو تشغله عبارة غريبة ودون أن يشعر أن الشاعر يخاطبه من " **أعلى**" فلا يجـد من نفسه غضاضة من الانصياع له ، والاستجابة لإيحاءاته؛ بل أن الشاعر ليسهل في عبارته إلي حد الإتيان بتلك الألفاظ التي لم يعهد الشعر العربي من قبل أن يـأتي بهـا

---

[1]- ميخائيل نعيمة – همس الجفون – مؤسسة نوفل 1974 الطبعة السادسة ص 40 ، ص 45.

الشعراء في شعرهم، فهو – يحاكى صدى الأجراس بتلك المقاطع الصوتية المبهمة " دن دن ... " .

وتبدو دقة الشاعر إلي جانب سهولة ألفاظه في تفاوت عـدد هـذه الأصـوات من مقطع إلي آخر بحسب تغير الانفعال؛ فحين كان فرحاً بصـدى الأجـراس عـبر عن فرحته بتكـرار (دن) أربـع مـرات وحـين أحاطـت بـه الأشـباح أخـذ صـدى الأجراس في الخفوت فكرر " دن " ثلاث مرات ثم إلي مرتين حين اقترب الشبح.

وحين أنعكست الكآبة علي الطبيعة من حوله فـنكس الزهـر تيجانـه ، ولملـم الحور أغصانه، وخنقت الريح الغاضبة أوتار العود، نفوراً وضيقاً من شبح الشك، وأشباح أنصاره الذين عكروا صفو المشـهد، وأفسـدوا انسـياب الطبيعـة واوقفـوا حركة التفاعل الوجدانية بين الشاعر ومظاهر الجمال في الغـاب ، لم يسـمع لصـدى الأجراس غير " **دقة** " واحدة هى" **دن** "، ثم تلاشـى الصـدى تمامـاً بعـد أن تأكـد الشاعر من ظهور الشك؛ فقد عرفه بملامحه وسماته وتصرفاته وقـد سـيطر عليـه وأحاط به هو وأنصاره.

والشاعر لا يدرى أن كانت ثورة الشك في نفسه قوة إلهية تزيده حياة " أم قوة شريرة مدمرة تدنو به إلي الهلاك ، فمن خلالها يـرى جـلال الله حينـا ومـن خلالهـا يذوق مرارة الشقاء حينا آخر ، وقد رسمت قصيدة " **التائه** " صورة شعرية لرحلته في الحياة ، وفي قلبه هذه الشعلة المتقدة من التساؤلات الحائرة وهـو وحيـد بأفكـاره ومعاناته لا يعرف له سبيلا إلي الهداية! .

**أســــير في طريقــــــي     في مهمــــه ســـــحيق**

**ووحــــــدتى رفيقـــــي     ووجهتــــى الفضـــا**

**مطيتـــــى الـــــتراب     وخــــوذتى الســـحاب**

**ودرعــــى السرـــــاب     ورائــــدى القضـــا**

وحركة الزمان لا تمهله بل هى تعجله ، ولا تمد له البقاء حتى يـدرك مـراده، ولا وجوده بين الناس يعينه علي أن يحدد موقفه :

تســـــــوقنى الثـــــــوانى في موكـــــــب الزمـــــــان

ولســـــــت أدرى شـــــأنى في معــــــرض الـــــورى

فـــــلا القضـــــا ينبينـــــى ولا الرجـــــا يهـــــدينى

ولا الســـماء فوقه تجــلت عليه بنور الهـــداية

ولا الســـــما تعطينـــــي نـــــوراً لكـــــى أرى

بل نار قلبه من صنع الأقدار وهى نار لا يدرى كنهها ولا حقيقتهـا فأثارهـا متناقضة ، ولا يعرف ما الذى جرها عليه ؟ وما سبب عقابه بها ؟

بـــــل فى ضـــــلوعى نـــــار تثيرهـــــا الأقـــــدار

باليتهـــــا تختـــــار ســـــواى موقـــــداً

نـــــاربلا رمـــــاد يشـــــوى بهـــــا فـــــؤادى

ولــــــيس اذ ينــــــادى مـــــن يســـــمع النـــــدا

واحرقتـــــــــــى أواه لـــــو كنـــــت أدرى مـــــا هـــــى

أشـــــــعلة الإلـــــــه ؟ أم شـــــــعلة الـــــــردى

ويلجأ الشاعر إلي ربه ليهديه ويمنحه مـرهم الإيـمان ، ويبسـط عليـه جنـاح الحنان ، حتى تعود كآبته فرحاً وتهليلاً ، وإنطلاقاً إلي رحاب السماء .

أخـــــالقي رحماكـــــا بـــــما بـــــرت يـــــداكا

أن لم اكـــــن صـــــداكا فصـــــوت مـــــن أنـــــا ؟

ربي . ألا ترانـــــــــــــى أســــاق كـــــالحملان

ربي أمـــــا كفـــــانى عـــــاي والـــــونى

فأبـــــدل لظــــى نيرانــــى بجمــــــرة الإيـــــمان

واجعـــــل مــــن الحنــــان للقلـــــب مرهمـــــا

إذ ذاك بالتهليـــــــــــل أســـــير في ســـــبيلي

وخـــــالقى دلـــــيلي ووجهتـــــى الســــما [1]

الإيقاع القصير الذى تنوعت قوافيه وتنوعت أساليبه بين الإنشاء الراجـى، ، والخبر المقر، جعل منها نفثات متلاحقة تعكس صدى الحاجة النفسية .

وهــذا اللجــوءإلي الله في النهايــة يــدل عــلي أن الشــكوك كانــت بحيــث لم يستطع أن يواجهها بقواه الخاصة فراح ينشد الإيمان من الله بارئ النفوس، ولكن ما مصدر هذه الشكوك ؟ ومن أين ينبع الإيمان ؟

أن الشاعر يرد هذه الشكوك دائـماً إلي معطيـات الحـواس وإلي الفكـر، فأمـا الحواس فخير لنا أن نعطلها عن عملها هنيهات قليلة حتى يستجلي القلب الحقـائق في لحظات خاطفة؛فيقول في: " أغمض جفونك تبصر " :-

إذا ســـــماؤك يومـــــا تحجبـــــت بـــــالغيوم

أغمـــــض جفونـــــك تبصرـــــ خلـــــف الغيـــــوم نجـــــوم

والأرض حولـــــك إمـــــا توشـــــحت بـــــالثلوج

أغمـــــض جفونـــــك تبصرـــــ تحـــــت الثلـــــوج مـــــروج

1-المصدر السابق ص 54 .

وأن بليت بداء وقيل داء عياء

أغمض جفونك تبصر في الداء كل الدواء (1)

"فإن الحواس تخدعنا حين تعطينا قتامة الحياة وبرودتها وتخلخل العالم ونهايته، ولكن الحقيقة ليست في جانب الحواس ، فطريق المعرفة عنده كما هو عند جبران – هو النفس (2) أو القلب .

والفكر أيضاً يضلله ويزيده احتجاباً كلما أغراه بالكشف، ويود لو بقي مع قلبه سابحاًفي ملكوت الله لا ينقب، ولا يقلب الأفكار شأنه شأن الدودة السابحة بين الأسماك تحيا حياتها ، وتؤدى واجب وجودها دون علم وإدراك ، ويرد كل ما وقع فيه من أخطاء وضلال سابق إلي الأفكار فيخاطبها في مقطوعته القصيرة **"تحذير أفكار"** طالباً منها أن تدعه يسبح في بحر الوجود، كما تدفعه أمواجها جاهلاً كالدودة بين الأسماك :

بربك أفكاري دعيني سابحاً ببحر وجودى – دودة بين أسماك

ضريراً أصما – أبكما – متجلببا بجهلي وضعفي – دون علم وإدراك

فنصحك تمويه وصدقك حبة من القمح في أكداس قين وأحساك

وكم صدقت تمويهك النفس سابقاً فما كان أغباها،وما كان أقساك (3)

وهو يغبط الدودة علي أنها تمضى في طريقها مهتدية بقوى الغيب أو الإلهام ، الذى يسيرها دون أن تدع نفسها نهباً لشكوك فكر أو احتمالات عقل ، فكل الكائنات تمضى في طريق الحياة مطيعة لهذه القوى الملهمة

1- المصدر السابق ص 9 .
2- التجديد في شعر المهجر ص 193 .
3همون الجفون ص 51 .

التي نسميها بقوى الغريزة ، وهى قوة روحية لاندرك عظمتها فياليت أنا نصبح كسائر الكائنات ، ونستغنى عن شكوك الفكر التي تزيدنا عمى وجهالة :

ولـولا ضبابُ الشكّ يا دودةَ الثرى
لكنتُ أَلاقي في دبيبِكِ إيماني
فأترك أفكاري تُذيع غرورَها
وأترك أحزاني تكفن أحزاني
وأزحف في عيشي نظيرَكِ جاهلاً
دواعيَ وجدي أو بواعثَ وجداني
ومستسلماً في كلّ أمرٍ وحالةٍ
لحكمةِ ربّي لا لأحكام إنسان

*******

فها أنتِ عمياءٌ يقودكِ مُبصرٌ
وأمشي بصيراً في مسالك عُميان
لكِ الأرض مهدٌ والسماءُ مظلّةٌ
ولي فيهما من ضيق فكريَ سِجْنان
لئن ضاقتا بي لَمْ تضيقا بِحاجتي
ولكنْ بجهلي وادّعائي بعرفاني
ففي داخلي ضدّان: قلبٌ مُسلِّمٌ

وفكـــرٌ عنيـــدٌ بالتســاؤلِ أضنانـــي

توهّـــمَ أن الكـــونَ سِـــرٌّ وأنّـــهُ

يُنـــال ببحـــثٍ أو يُبــاح بِـــبُرهان

فــراح يجــوب الأرض والجــوَّ والسَّــما

يُســائل عــن قــاصٍ ويبحــث عــن دان

وكنــتُ قصــيداً قبــل ذلــك كــاملاً

فضعضــع مــا بــي مــن معــان وأوزان

******

وأنــتِ التــي يستصــغر الكــلَّ قــدرَها

ويـــحسبها بعـــضٌ زيــادةَ نقصــان

تــدبّين في حضـــن الحيــاةِ طليقـــةً

ولا هـــمَّ يُضنيـــكِ بأســـرارِ أكـــوان

فــلا تســألين الأرض مَــنْ مــدَّ طولَهَــا

ولا الشــمسَ مــن لظّــى حشــاها بنــيران

ولا الــريحَ عــن قصــدٍ لهــا مــن هبوبهــا

ولا الوردةَ الحمــراءَ عــن لونِهــا القــاني (1)

---

[1]- همس الجفون ص 74 ، 75 ، 76 .

نلحظ أن القصيدة لم تأت علي عادة الشاعر في اختيار الألفاظ السهلة الخفيفة الوقع ، التي تنساب انسياباً؛ بل هى ألفاظ وتراكيب عليها طابع المدرسة التقليدية في قوتها، وجهارة أصوات حروفها؛ خاصة مع اختيار البحر الطويل بجلال إيقاعه وبطء حركته. ولنستمع إلي إيقاع هذا البيت:

**فراح يجوب الأرض والجو والسما        يسائل عن قاص ويبحث عن دان**

**أو هذين البيتين :**

**تدبين فى حضن الحياة طليقة        ولا هم يضنيك بأسرار أكوان**

**ولا تسألين الأرض من مد طولها        ولا الشمس من لظى حشاها بنيران**

وأرى أن هناك تباينا بين الشكل الفنى، وطبيعة الموضوع ، والجو النفسى الذى يحيط به، فليست الدودة الزاحفة فى ظلمات الأرض بحاجة فى مخاطبتها إلي هذه الضجة الصوتية التي أحدثها الشاعر، وحديثه عن أطواء نفسه، والتغلغل فى أعماق وجدانه تناسبه الألفاظ الهامسة والإيقاع القصير .

ولكن الشاعر اعتمد فى تأثيره الفني علي عامل آخر هو الموازنة بين الدودة فى عالمها الغافل المطمئن، وبينه فى محاولاته الدائبة الحريصة علي الوصول إلي سر الكون ، وعلة الخليقة؛ ولكنه لا ينتهى إلاَّ بالحيرة وزيادة الشكوك والآّلام.

أما القلب فهو منبع الرجاء والإيمان ، ولذلك ، يبتهل إلي اللهأن يرده دائما إلي قلبه يهديه ، لا إلي فكره يزيغ به؛ فيقول فى ختام ابتهالته :

**واجعل اللهم قلبي**

**واحة تسقى القريب**

**والغريب**

**ماؤها الإيمان ، أما غرسها        فالرجا والحب والصبر الطويل**

جوهـا الإخـلاص ، أمـا شمسـها فالوفـا والصـدق والحلـم الجميـل

فـــإذا مـــا راح فكـــرى عبثـــا فى صحارى الشك يستجلي البقـاء

مـــر منهوكـــا بقلبـــى فجثـــا تائبـا يمـتص مـن قلبـى الرجـاء

وإذا مـــا أمـــلي يومـــا مشـــى تائهـا فى مهمـه العـيش السـحيق

عـــاد لمـــا كـــاد يقضيــ عطشـــا يحتسـى الإيـمان مـن قلبـى الرقيـق

وإذا الإيمان ولي والرجا أضحى ضريـر فلينم قلبى إلي أن ينفخ البـوق الأخـير (١)

ولن يدرك البشـر غايتهم المنشـودة مـن السـعادة الروحيـة إلاَّإذا ارتـدوا إلي أعماق نفوسهم ، واستمدوا طمأنينتهم من مصدر واحد هو الذات .

وقد شبه الشاعر البشر علي اختلاف مذاهبهم بعسـكر تـاه فى قفـر سـحيق ، يرغبون فى العود من حيث جاءوا ، ولكن الطريـق ضـاع مـنهم واشـتبهت علـيهم المسالك ، فذهب كل إلي وجهته ينشد سبل النجاة في جهات القفر ، وكل يبذل غاية وسعه ولا يدع شيئا قل أو جل إلاَّ حاول أن يستشف منه سبيلا إلي هدى ، والشاعر يرى أن هذه المحاولات كلهالم تعد ولن تعود إلاَّ بالفشل، وسيظل هؤلاء التـائهون يتعبون بلا جدوى ما لم يهتدوا إلي طريق واحد هو الذات ، فإذا اهتـدوا إلي أن درب النجاة في داخل النفس أو فى قوى الروح ،فحينئذ سوف تحقـق أمـانيهم ويحمـدون الوصول :

نحـــن يـــا ابنـــى عســـكر تـــاه فى قفـــر سحـــــيق

نرغـــب العـــود ، ولا نـــذكر مـــن أيـــن الطريـــق

فانتشـــــرنا فى جهـــات القفـــر نســـتجلي الأثـــر

---

[1]- المرجع السابق ص 39.

**نســأل الشــمس عــن الــدرب ونســتفتى الحجــر**

**وســنبقى نفحــص الآثــار مــن هـــذا وذاك**

**ريــثما نــدرك أن الــدرب فينــا لا هنـــاك**

**وســنبقى فى انتقــال وشــقاء وعـــذاب**

**وصــعود وهبــوط ، وذهــاب وإيـــاب**

**وســنبقى نهجــع الليــل وفى الصــبح نفيـــق**

**ريــثما نلقــى منانــا ، ريــثما نلقــى الطريـــق** (١)

**ووحدة القصيدة تنبع هنا من الصورة الكلية الممتدة**التي ترسمها وهى ترينا مدى تمكن الفكرة من الشاعر وسيطرتها علي وجدانه فهو يستقصيها بخياله وعقله من جميع جوانبها ، وطالما أن الناس لم يدربوا بعد علي استمداد معرفتهم من القوى الروحية الباطنية، والارتداد إلي اعماق الذات تخطئ أحكامهم دائما ، بل تكون ظالمة فهى ترى العلم جهلا والجهل علما ، وتزدرى الإيمان؛لأنها اخذت بنشوة العقل، وانخدعت بزيفه.

وقد صور الشاعر موقفه من الناس ، وموقف الناس منه فى هذه القطعة المحكمة التي سماها " **لما رأيت الناس** "، فهو فيها يصور انخداعه بأقوال الناس ، وتصديقه زعمهم أنهم سوف يحرقون الجهل ، وقد أضرموا نيرانا لذلك وشيدوا للعلم هيكلا كى يعبدوه، فذهب يقدم لهم إيمانه : ويقول لهم هاهوذا علمى فكرموه ، وقاد " **عقله** " نحو النار وقال لهم هذا جهلي فأتلفوه فما كان منهم إلاَّأن أجلسوا العقل علي عرشهم؛ أما الإيمان فحرقوه دون رحمة :-

[1]- المرجع السابق ص 46.

لما رأيت الناس قد أضرموا    للجهل نيرانا لكى يحرقوه

شيدوا عرشا رفيع الذرا    وهيكلا للعلم كى يعبدوه

وضعت إيماني على راحتى    وقلت : ها علمى ألا كرموه

وقدت نحو النار عقلي الغبى    وقلت : ها جهلي ، ألا فاتلفوه

فأجلسوا عقلي على عرشهم    وحرقوا الإيمان لم يرحموه

بل هم يحسبون الصدق كذبا ، والكذب صدقا ، فكما زعموا أنهم سيحرقون الجهل زعموا أنهم سوف يصلبون الكذب ، وأعدوا الصلبان لذلك ، أما الصدق فقد اعدوا له تاج السيادة؛ فانخدع بما قالوا، وذهب إليهم يقدم ضميره بما فيه من أدرأن ووساوس، وقال لهم ها كذبى ألا سمروه وساق نحوهم قلبه هازجا،وقال لهم هذا صدقى فتوجوه؛ فعكسوا الآية، وصلبوا القلب ، وتوجوا الضمير الدنس بل ألهوه :

وإذ رأيت الناس قد نصبوا    للكذب صلبانا لكى يصلبوه

وتوجوا الصدق ، ومن حبهم    للصدق فى أرواحهم حكموه

قدمت ما بى من ضمير لهم    وقلت : ها كذبى الا سمروه

وسقت قلبى نحوهم هازجا    وقلت : ها صدقى ألا توجوه

فسمروا قلبى ، ووا حسرتى    أما ضميرى فقد ألهوه [1]

أن الشاعر يصوغ أعمق المشكلات الفلسفية فى إطار شعرى خلاب، وصور فنية متكاملة مبتكرة، لا تستطيع أن تجتزئ ببعضها عن بعض ، والتعبير يكاد يكون لسهولته فى انسياب النثر ولكنه السهل الممتنع .

---

[1]- المرجع السابق 71 ، 72

ومع ذلك أتساءل كيف جعل الشاعر الضمير فى مقابل القلب، والضمير هو القوة الروحية، أو القوة الباطنة الناشئة من قوة الإيمان والتربية الروحية وهى التي يفىءإليها الإنسان ليحاكم سلوكه خيرا كان أم شرا ؟ وكان أولي به أن يسير علي نهجه الرومانسي أو نهج المتصوفة فيجعل القلب فى مقابل العقل ، والإيمان فى مقابل الفكر ، فإن هذا أدنى إلي الدقة .

لقد هجر الشاعر الفكر تماماً ، وسلم زمام قياده للقلب بعد أن أفاق من نومته الطويلة ، وكان يحسب أنه كالنهر المتجمد، وأن الفرق الوحيد بين قلبه والنهر؛ هو أن قلبه لن ينشط من عقاله، ولن يهب من رقدته [1]كان هذا حينما كان طالباً فى روسيا، ولكن نبوءته لم تصدق ففى سنة 1922 أفاق القلب فليهبط الفكرإذن عن عرشه، وليدع السيادة علي البنيان الذى بناه الشاعر بمساعدة العقل للقلب ، ولقد راح الشاعر يحكى للقلب الذى هلل لإفاقته وعودته عما كان من شأنه مع الفكر فى إشادة هذا البناء.

**كذا قسنا ليالينا وحاضرنا وماضينا**

**أنا والفكر يا قلبى ومن أكداس ما قسنا**

**لقد سدنا علالينا**

**كذا يا قلب شدناها ودهرا قد سكناها**

**بعيدا عن صدى الأنات واللوعات والشكوى**

**وعن دنيا كرهناها**

[1]- الشعر العربي فى المهجر ص 188.

لقد أسلمت زمامها للفكر با قلبى فقد كان هو الذى صاحبنى وشادها معى، أما أنت أيها القلب فلم أعتد بك ، ولم أحسب لك مكانا لانك كنت ميتا ، وما كنت أظنك سوف تنهض :

**جعلــــت الفكــــر حاميهـــا لأن الفكــــــر بانيهـــــــا**

**ولم أتـــرك لقـلب كـان ميتا بين أضـلاعى**

**ولا مقــــصورة فـــيها**

أما حـين نشـط القلـب مـن عقالـه ، وعـادت إليـه حـرارة الحيـاة فليصـنع ما يشاء، وليدمر أن شاء ما بنيناه ، فهو وحده الأحق بالسيادة لأنه رباني وحـدوده شاسعة، لا يقوى الفكر علي الإحاطة بها ، فعلي الفكر أن ينام ويستريح فليس اليوم يومه ، أو فليخضع لسلطان القلب يسيره ويوجهه.

**وقمـــت اليــــوم واعجبـــا مـــن الامــــوات ملتهبــــا**

**لتحـــــرق مــــا بنينـــــاه ولا تبقــــى لنـــا حجـــــرا**

**ولا خشـــــــــــــــــــــــبا ولا حطبـــــــــــــــــــــــا**

**وتتركنـــــا بـــــلا مـــــأوى ولا ســـــند ولا ســـــلوى**

**تصـــــفقنا ريــــاح العـــــيش فى أقطـــــــار دنيانــــــا**

**كما تهوى ولا نهوى**

**أقلبــــى احكـــم ولا ترهـــب فـــما لي منـــك مـــن مهـــرب**

**فأنـــت اليــــوم ســـلطانى وأنـــــت اليـــــوم ربــــانى**

**أدرنى كيفما ترغب**

**ودمـــــر كــــل أســــوارى وفضــــح كـــــل أسرارى**

**وأن تعثـــــر فـــــلا تنـــــدم وأن تـــــأمر فـــــلا تـــــرحم**

**وزد نارا علي نار**

إلاَّ وليدع الناس بأوهامهم ومقاييسهم المحدودة ، ونظراتهم الضيقة:

**وخـــــل النــــاس بالنــــاس تقـــيس البحـــــر بالكـــــاس**

**وقـــــل للفكـــــر أن القلـــــب بحــــــر شاســـــع طــــامى**

**يقاس بغير مقياس**

**أفـــــاق القلـــــب ، وا طربـــــى أفـــــاق القلـــــب ، وا حربـــــى**

**فـــنم يـــا فكـــر ، أو فاخضـــع لقلـــب كـــان مـــن حجـــر**

**فصار اليوم من لهب** (1)

ولكن غير المفهوم فى القصيدة هو قوله " **أفاق القلب وا حربى** "فما وجه الحزن والحرب من إفاقة القلب إذا كان قد رحب به، وملكه زمام أمره وهو لا يرى فى حكم القلب مصدر سوء وشر بل أنه فوض إليهأن يهدم ما كان قد بناه لأنه " **ربانى** " يستمد أوامره من مصادر علوية سماوية؟! . "**ففيم** " **يندب** " وهو فى غمرة الفرح ؟!

أما وقد ارتد الشاعر إلي ذاته ينشد منها الحقائق المجهولة ؛ فلا الحواس ولا الفكر،ولا آراء الناس الباطلة تصلح مصدرا يستقى منه الهدى ، فإنه دائما أقوى من العواصف ، وأصلب من كل كيد وشرور فقد أوى إلي ركن لا ينهدم ، ومن هنا كانت طمأنينته ، وكان سلامه النفسى :

**ســـــــقف بيتـــــى حديـــــد ركـــــن بيتـــــى حجـــــر**

**فاعصـــــــفى ياريــــــاح وانتحـــــب يـــــا شـــــجر**

---

1- همس الجفون ص 60 النص 63 " قصيدة " أفاق القلب ".

واســـــبحى يــــا غيـــــوم واهطـــــــــلي بـــــــــالمطر
ســــــقف بيتـــــى حديــــــد ركــــــن بيتـــــى حجـــــــر

إنه يستمد نوره من سراج نفسه؛ ولو كان ضئيلافلا يبالي بالليل طال ولا بالظلام ملأ الآفاق ، ولا بفقدان كل مصادر النور فى السماء .

مــــــن سراجــــى الضـــــئيل أســــــــتمد البصـــــــــــر
كلـــــما الليـــــــل طـــــــال والظــــــــلام انتشـــــــــر
وإذا الفجـــــــــر مــــــــات والنهـــــــــار انتحـــــــــر
فـــــاختفى يــــا نجـــــوم وانطفـــــئ يــــا قمـــــــر
مــــــن سراجــــى الضـــــئيل أســــــــتمد البصر

أن قلبه لمنيع بما أوتيه من وعى وسلام ، وما صب فيه من حقائق الوجود الروحية؛ لأنه عرف – علي حد زعمه أن الخير والشر يرجعان إلي أصل واحد؛ فهو لا يبالي بكل ما ينزل به من شرور، ولا يعبأ بالخطوب تحيق بالبشر .

بـــــاب قلبــــــى حصـــــين مــــــن صـــــــنوف الكــــــدر
فـــــاهجمى يــــا همــــــوم فى المســـــــا والســـــــــحر
وأزحفـــــى يــــا نحـــــوس بالشـــــــقا والضـــــــــجر
وانـــــــــزلي بـــــــالألوف يــــــا خطـــــــوب البـــــــشر
بـــــاب قلبــــــى حصـــــين مــــــن صـــــــنوف الكــــــدر

ولكننا نتساءل ولا شك كيف يطمئن وخطوب البشر تنزل بالألوف معتمدا علي أن قلبه حصين ؟! ترى أيتفق هذا مع الخلاص من الأنانية ونكرأن الذات وهما من أهم المبادئ التي رهن لها حياته مقتديا كما يقول بالمسيح ؟!أو بالأديب الروسى **" تولستوى ".؟!**

أن هذا تناقض واضح قد انزلق إليه الشاعر دون أن يدرى ، انزلق إليه فى غمرة ارتدادهإلي ذاته – وعلي أية حال فإن هذا التوافق العلوى بينه وبين الوجود جعله لا يرى صراعا بينه وبين القضاء والقدر ، فهو يمضى متجها إلي الغاية العلوية التي يمضى إليها الكون كله ، والأقدار ليست لا الحساب المنظم للحركة الشاملة، لذلك فإنه لا يخشى شيئا حتى الموت نفسه ، لأنه جزء من هذا الوجود الشامل الذى توافق معه .

**وحليفـــــــــى القضـــــــاء ورفيقـــــــــى الكـــــــدر**

**فاقـــــــدحى يـــــا شرور حـــــول قلبــــى الشرـــــر**

**وا حفــــرى يـــــا منــــون حـــــول بيتـــــى الحفـــــر**

**لســـــت أخشــــى العـــذاب لســـــت أخشــــى الضرـــــر**

**وحليفـــــــــى القضـــــــاء ورفيقـــــــــى القـــــدر** (1)

لقد اطمأن الشاعر، وركن إلي قرار مكين حينما أوى إلي ذاته وحاول أن يستمد الضياء من قلبه، أو من قواه الداخلية .

ولكن ترى هل صدق الشاعر فى تطليق الفكر، والاعتماد علي قواه الباطنة وحدها ؟ وهل اطمأن حقا فلم تعاوده الشكوك، ولم يفزع للخطوب ؟

[1]- المصدر السابق ص 73 القصيدة " الطمأنينة ".

فلنفحص مواقفه الأخرى، أو رؤاه الشعرية من مسائل العقيدة الغيبية لنـرى مقدار تمسكه بدعواه

## 2- الإله والأديان :

عــن طريــق الارتــداد إلي الــذات ، أو إلي الــنفس أراد الشــاعر أن يصــل إلي الحقيقة الكبرى فرأي أن النفس هذه جزء من الوجود الاكـبر ، لأنهـا تسـتجيب لكل ما فيه ، وهى لا تستجيب إلاَّإذا كان فيها ما يشابه هذا الوجود الخـارجي وقـد كانت هذة النظرية ( وهى نظرية فكريـة وأن نعتهـا الشـاعر بالقلبيـة أو الروحيـة ) مدخلا إلي اعتناقه مذهب وحدة الوجود ، فرأي الله والعالم والنفس شيئا واحدا.

وقد تكفلت قصيدة " **من أنت يا نفسى** " ؟ بإفشاء هذا التصـور؛ ونحـن اذا تتبعنا القصيدة نرى أن الشاعر يتبع نهجا فكريا حتى يصل إلي هذا المذهب؛ فيسائل النفس حين يرى موج البحر يطغى ويثور،أو يخفت صوته فكأنه يبكـى عنـد أقـدام الصخور .

لماذا يشدها منظر البحر فى طغيانه وثورانه وتتابعه حتى يسكن ولماذا تنصـت إلي بكائه حتى تتجاوب معه بالبكاء والأنين ، أفلا يدل ذلك علي وجـود صـلة بـين نفسه والبحر فلعلها دفقة من هذه الأمواج .

**أن رأيــــت البحـــــر يطغــــى المـــــــوج فيـــــــه ويثـــــــور**

**أو ســـــمعت البحـــــر يبكــــى عنـــــــد أقــــــدام الصـــــخور**

**ترقبــــــــــى المـــــــــوج إلي أن يحـــــــبس المـــــــوج هـــــــديره**

**وتنـــــاجى البحــــــر حتـــــى يســــــمع البحـــــــر زفـــــيره**

**راجــعاً منك إليـه**

**هل من الأمـــواج جـــئت ؟**

وهكذا يمضى فى تساؤلاته الموجهة إلي النفس مع الرعد ، والبرق والـريح ، والفجر، والشمس والليل والصباح . فالنفس تستجيب لكل ذلك بما يلائم طبيعته.

وجـواب هـذه المقـدمات المنطقيـة أو الملاحظـات التـي صـيغت فى صـورة تساؤلات أن النفس أشبه باللحن الذى شمل كل هذه الصور ، فهى وهذا الوجود شئ واحد؛ بل هى والله ذاته شئ واحد . وهذه قفزة كبيرة فيقول في ختام القصيدة:

**إيـــه نفســـى أنـــت لحـــن فى قـــــد رن صـــــــداه**

**وقعتـــــك يـــــد فنـــا ن خفـــــــــــــى لا أراه**

**أنت ريح ونسيم ، أنت موج أنت بحر**

**أنـــت بـــرق ، أنـــت رعـــد أنـــت ليـــل ، أنـــت فجـــر**

**أنـــت فيـــض مـــن إله** (1)

وقد سبق أن ذكرت أن الشـاعر صرح فى نثـره بحقيقـة مقصـده مـن عبـارة "**أنـتفـيض مـن إلـه**" **فيقـول:** " فحينـا أسـأل نفسـى: مـن أنـت يـا نفسـى ؟ من أنت يا نفسى ؟ فأراها فى كل شئ ، وأرى كل شئ فيهـا ، وأنتهـى إلي أنهـا والله واحد، ولكننى لا أجرؤ أن أجاهر بذلك فأكتفى بالقول أن نفسى جزء من إله أو " فيض من إله " (2).

وها هوذا قد تجرأ وقالها .

**فنقول له:** إنهـا قفـزة كبـيرة تنكسر دونهـا أعنـاق الجبـابرة ، أمـا أن الـنفس والوجود شئ واحد – أقصد الوجود المخلوق- فهذا معقول تسـمح بـه الملاحظـة المتأملة لرؤية أصداء الكون فى النفس، وأما أنها والوجود الخالق شئ واحـد . فمـن أين ؟ وهى غير قادرة علي الإحاطة ببعض آياته ؟

---

1- المصدر السابق ص 16 إلي 21.

2- سبعون المرحلة الثانية ص 166.

وقد انخدعت الباحثـة " **نـادرة جميـل سراج** " بعبـارة " فـيض مـن إلـه " فاخذت ترد مـذهب الشـاعر إلي التـأثر بـابن سـينا وبنظريـة الفـيض الافلوطينيـة وتلتمس لرأيه أصولا فلسفية قديمة [1] ، وهو يخالف ما صرح به الشاعر عن رأيـه الحقيقى كما هو واضح .

وهو فى ابتهالاته يسأل الله أن يكحل عينه بالنور كى يراه فى كل شئى فى جميع المتناقضات ، وهو لا يعنى ( بناء علي ما صرح به عن عقيدته )أن يرى آيات قدرتـه؛ بل هو إذن يعتقد أن ذات الله متمثلة فى هذه الكائنات المتناقضـة – ماديـة كانـت أم معنوية ، وهذا هو مذهب أصحاب وحدة الوجود أينما ظهروا .

**كحـــل اللهـــم عينـــى بشـــعاع مـــن ضـــياك**
**كـــــــــــــى تـــــــــــــراك**
**فى جميــــــع الخلــــــق ، فى دور القبــــــور**
**فى نســــــور الجــــــو فى مــــــوج البحـــــار**
**فى صــــــهاريج الـــــبرارى ، فى الزهــــــور**
**فى الكـــــلا ، فى التــــبر، فى رمـــــل القفـــــار**
**فى قـــــروح الـــــبرص ، فى وجـــــه الســـــليم**
**فى يـــــد القاتـــــل ، فى نجـــــع القتيـــــل**
**فى سريــــــر العــــــرس ، فى نفـــــس العظـــــيم**
**فى يـــــد المحســـــن ، فى كـــــف البخيـــــل**

---
[1]- شعراء الرابطة القلمية ص 124.

في فـــــؤاد الشــــيخ ، في روح الصـــــغير

في ادعـــــا العـــــالم ، في جهـــــل الجهــــول

في غنـــــى المثـــــرى ، وفي فقــــر الفقـــــير

في قـــــذى العــــاهر ، في طهـــــر البتــــول

وإذا مـــــا ســــاورتها ســـــكنة النـــوم العميـــق

فــــاغمض اللهــــم جفنيهـــــا إلي أن تســــتفيق

وافـــتح اللهـــم أذنـــى – كـــى تعـــى دومـــا نـــداك

مـــــــــــــــن عـــــــــــــــلاك

في ثغـــــــاء الشـــــــاة في زأر الأســــــود

في نعيـــــق البــــوم ، في نــــوح الحــــام

في خريـــــر المــــاء ، في قصـــــف الرعــــود

في هـــــدير البحـــــر ، في زحـــــف الغـــــام

في غنـــــا البلبـــــل ، في نـــــدب الغـــــراب

في دبيـــــب النمـــــل ، في نـــــدب الريـــــاح

في طنـــــين النحـــــل ، في زعـــــف العقـــــاب

في صراخ الليـــــل ، في همـــــس الصـــــباح

في بكـــــا الأطفـــــال ، في ضـــــحك الكهـــــول

فى ابتهـــــــالات العـــــــراة الجـــــائعين

فى انتحــــــاب النـــــأي ، فى دق الطبــــــول

فى صــــلاة الملـــــك ، والعبـــــد الســـــجين

وإذا مـــا قـــرب المـــوت ، ووافاهـــا الصـــمم

فـــاختمن ربـــى عليهـــا ريـــثما تحيـــا الـــرمم

ونحن لا شك نستشعر الملل من هذا التعداد، الذى لا يكاد ينتهى عند حـد ، وكان فى إمكان الشاعر أن يوجز ، وهذا عيب من عيوبه الفنيةفى عدد مـن قصـائده التي طرق فيها الموضوعات التي تدفعه إلي مثل هذا العد الإحصائى .

والشاعر من حيث لا يدرى يعود فيناقض نفسه حين يبتهل إلي الله أن يجعـل من لسانه سيفاً ماضياً، ينصر الحق، ويقهر الباطل حتى ولو غدا شاهدا علي الشـاعر نفسه، فإذا ما خان لسانه الحق فأولي به أن يموت فى فمه ليصبح هـذا الفـم ضريحـا له.

فإذا كان الله فى كل ما هـو كـائن ، وفى جميـع المتناقضـات فهـو إذن فى الحـق والباطل معا بل ليس هناك باطل ، إذ ليس هناك غير الله الذى هو الوجود كله .

ونحن لا نستطيع أن نجزم برد مذهب الشاعر فى وحدة الوجـود إلي التـأثر بمصدر معين فهذه المذاهب ظهـرت عنـد الهنـود ، وعنـد بعـض فلاسـفة اليونـان كبارمنيدس واكسـانوفان (1) وهمـا سـابقان عـلي سـقراط وأفلاطـون وأرسـطو ، وظهرت عند أفلوطين المصرى مؤسس مدرسة الإسكندرية وعنـد الحـلاج وابـن عربى من صوفية المسلمين ، كما ظهرت فى العقيدة المسيحية بل أن فكرة **" الحلول "** تمثل محور الاعتقاد فى أكثر المذاهب المسيحية ، وكـان مـن أكـبر مـن رددوا مـذهب

---

[1]- ارجع إلي يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية ص28.

وحدة الوجود فى العصور الحديثة الفيلسوف إليهودى " **اسبينوزا** " (1) وسعة ثقافة الشاعر كفيلة بأن تلقى علي نفسه وفكره ظلالا من هذه المذاهب ، فليتقطها حاسبا أنه حل بها معضلة الوجود .

ولا نخوض فى هذا المذهب ، فليس من أهداف البحث إثبات صواب العقائد أو بطلانها ، ويكفينا أن نقول أن الرؤية الشعرية هنا اعتمدت علي مذهب من مذاهب الفكر ، لا علي إلهام القلب أو وحيه كما يزعم ميخائيل نعيمة .

وموقف الشاعر شبيه بموقف صاحبيه جبران وأبى ماضي أو هما شبيهأن به، ولكنه كان أهدأ نفسا فى إظهار نفوره من الشعائر الدينية فلم يظهر عنفا فى مهاجمة الأديان ، ولا فى مهاجمة القائمين علي نشرها أو العظة بها، بل اكتفى بإظهار الإعراض والإلتجاء إلي ذاته ، أو إلي وحي الطبيعة يستلهمها عقيدته، ففى مقطوعته " **لو تدرك الأشواك سر الزهور** " يخاطب حامل الإنجيل قائلا له بشر الناس، وخلص نفوسهم لتنال جميل الثواب، أما أنا فدعنى فإننى أستمد شريعتى من باطنى من قلبي الذى حوى الجنة والجحيم، فانا أدرى بهما من كل ما تقوله النصوص الدينية.

**يا حامل الانجيل يدعو إلي نبذ المعاصى منذرا بالعقاب**
**بشر وخلص يا أخى أنفسا ضلت لكى تلقى جميل الثواب**

**إذ ينصب الديان ميزانه**

**إما صممت الاذن عنك فلا تغضب ، ودعنى فى ضلالي أهيم**
**إذ لي فؤاد قد حوى جنة والله أدرى كم حوى من جحيم**

**فاكرز ، ودع قلبى وأدرانه** (2)

---

1- المؤلف السابق تاريخ الفلسفة الحجيثة ص 108.
2- " همس الجفون " ص 33 ، 34.

وقد رأينا فى " **صدى الأجراس** " أنه لم يستجب لنداء هذه الأجراس إلا فرحاً بالعيد الذى يقضيه بين أحضأن الطبيعة ؛لا فى " **القداس** " بين القساوسة والرهبان، ولذلك شعر أن" **صدى الاجراس**"يعاتبه قبل أن يأخذ فى الخفوت فلم يأبه بعتابه.

وفى نثره يشير إلي الأنبياء ، ومنهم عيسى ومحمد اشارة تقدير، ولكنه ينظر إليهم نظرته إلي المفكرين ، فيقرنهم بسقراط وأفلاطون وبوذا وغيرهم من دعاة المذاهب الفكرية الإصلاحية وأئمة الفكر والشعر والفن فيقولمخاطبا السمكة التي تخيل أنها هونت به حينما حاول اصطيادها: يا لك من مخلوقة حمقاء!!أن صيادك، لو تعلمين لصياد ولا كألصيادين، فهو صاحب "الغربال"، ومستشار الرابطة القلمية والشاعر الذى تنشر شعره "**التايمز** " إنه صديق أفلاطون، وطاليس، وبوذا ولاوتسو والمسيح ومحمد ، وجميع العباقرة من كتاب وشعراء وفنانين (1).

ولكنه مع ذلك يشك فى تعاليم الكنيسة وخاصة تعاليمها فى مسائل الخلق والبعث ، ويحاول أن يواجه مشكلات الوجود بقواه الخاصة فقد شعر" أن الثوب يضيق به، وأن جوانب منه تتفتق وتتمزق باستمرار ولا حيلة له فى رتقها " (2).

بل هو يتعرض بالانتقاد فى بدء حياته الفكرية لبعض جوانب العقيدة المسيحية المتصلة بالثواب والعقاب، فيقول: أن المسيح لم يحل لي مشكلة الشر، ومن أين جاء ؟ ولا مشكلة الموت، وما يعقب الموت فقوله بقيامة لا يعرف غير الله لها موعداً، ثم بحياة أبدية للصالحين، ونار أبدية للطالحين ، لم يكن يتفق والمفهوم السامي الذى أعطانيه عن محبة أبيه وعد له أما كان أقرب إلي العدل لو ترك الله الأموات فى موتهم،أليست الدينونة اعترافا من الله بأنه أخطأ عندما خلق ما خلق، ثم نظر إليه فرآه " **حسنا جدا** " ؟ وها هو ليس من الحسن حيث ظنه، فلماذا لا

---

1- سبعون ص 270 المرحلة الثانية.
2- المرجع السابق ص 274 ن إلي 279 المرحلة الأولى.

يصحح خطأه بخلق عالم أفضل من الأول ، بدلا من أن يقيم ذلك العالم من المـوت ويحاسبه عما كان منه قبل أن يموت وقبل القيامة بآلاف آلاف السنين (1)

وهذا الانتقاد الذي وجهه إلي المسيحية ينسـحب عـلي جميـع الـديانات التـي تدين بعقيدة البعث ، فهو ينسحب علي الاسلام أيضا ، ولكنه خص المسيحية بنقده فى الجوانب العقدية التي انفردت بها، كعقيدة الفداء وعقيدة بنوة المسـيح لله فيقـول فى موضع آخر : لماذا لم يصفح الله عن خطيئة " **آدم وحواء** " وهـا هـو المسـيح أبنـه الوحيد ، يعلمنا أن نصفح عن زلة قريبنا لا مرة واحدة بل سبعين مرة سبع مرات ؟ أيكون " الابن " أكرم قلباً وأوسع صدرا من أبيه ؟

ولو أن الله صفح لآدم وحواء ، أما كان بذلك قد وفر دم ابنـه الـذى أراقـه بعد آلاف السنين كفارة عن ذنب آدم وحواء .

وما معنى " الفداء ؟ كيف لدم غير دمى أن يغسل عنـى خطيئـة متأصـلة فى دمى لأن دمى هو الذى ارتكبها ؟ وما قيمة الخلاص يأتيني بجهد غير جهدى ؟

وكيف يكون المسيح ابن الله " **الوحيد** " ولا أكون أنا كذلك ابـن الله ؟ وقـد دعانى المسيح أخاه وعلمني أن أدعو أباه أبى (2).

ويواصل الشاعر انتقاده فينكر أن يكون الأله الـذى صـورته أسـفار التـوراة وهو إله إليهود " يهوه " العنيف المتعطش للدماء ، هو نفسه إله الانجيـل المتسـامح الداعى إلي المحبة . ويتعجب من ضم الكتابين فى كتـاب واحـد ونعتـه " **بالكتـاب المقدس** " وكذلك ينكر ضم الرسائل والأسفارإلي الانجيل .

غير أنه يستبقى من المسيحية شيئا واحدًا يستمسك به وهو الصـورة المضـيئة لعيسى عليه السلام فيقول: **"لا"** لم يبقلي من كل ما زودتنى بـه الكنيسـة إلا ذلـك الألق الربانى الذى كان يبهرنى فى شخصية الناصري، وإلاَّ ذلك السمو الروحانى

1- المرجع السابق ص 276 ، 277.
2- المرجع السابق ص 276 ،277.

الذى كنت أستنشقه من خلال تعاليمه، فأتمني لو تكون لي المقدرة علي السير بمقتضاها(1).

أما فى شعره، فيعلن أنه مستعد لمواجهة الله بعقيدته يوم القيامة مدافعا عن مسلكه الذى اختاره فى الحياة ، فينصح رفيقه إذا وقف بين يدى الله يوم القيامة للحساب، أن يكون صريحا فى إعلأن مذهبه ، وألاَّ يرائى بغير الحقيقة **فيقول له** :

**يـــا رفيقـــي ، رفيـــق جســـمي وروحـــي**

**وشريكــــــي فى نعمتـــــــي وشـــــــقائى**

**وصـــــديقى ، صـــــديق علمـــــي وجهـــــلى**

**ونـــــــديمى فى شـــــــدتى ورخـــــــائى**

**أن دعانـــــــا رب الســــــماء إليـــــــه**

**لحســــــاب ، حــــــذار مـــــن أن ترائـــــى**

**يـــــا رفيقـــــي ، أمــــام رب الســــماء**

**فما الذى يقوله ؟ أو ما الذى يوصى به رفيقه أن يقوله ؟**

يوصيه بأن يقول إننا جهلنا تلك التشريعات التي وضعتها الأديان واتبعنا وحى نفوسنا ، فأبحنا لها ما تهوى حتى ارتوت ، وكيف لا ؟ وهذه المتع من صنع رب السماء وصنعه جميل ، وهذه العين التي نرى بها تلك المتع هى الدليل الهادى الذى منحنا الله إياه ، وإننا بإجلالنا صنع الله نرى الله نفسه ، وبهذه الأدلة يسوغ الشاعر لنفسه إعراضه عن تلك التشريعات أو جهله بها **كما يقول** :

**قــل جهلنــا الحــرام فى كــل أمــر     وســلكنا فى كــل يــوم ســبيلا**

ج

---

[1]- المرجع السابق ص 278.

فأبحنـــا للــــنفس مـــا الــــنفس تهـوى وشـفينا مـن الفـؤاد الغلـيلا

تهوى

إذ نظرنـــا إلي الوجـــود بعـــين جعلتهـــا لنـــا الســـماء دلـــيلا

لم نخـــير فى نخبهـــا ، لم نشـــارك لا كثـــيرا فى صـــنعها ، لا قلـــيلا

فرأينـــا الخـــلاق لمـــا رأينـــا كـــل شـــئ ممـــا بـــراه جلـــيلا

وعجـــيبا ، وطـــاهرا وجميـــلا

والشاعر يعلل سبب نفوره من رجال الدين بـأنهم نصـبوا أنفسـهم مـدبرين وقضاة علي الحياة، ويعلن أنه ليس من هؤلاء، وهو ليس أيضا من أولئـك الجبـابرة النزاعين إلي السيطرة الذين يسيرون الشعوب، لتحقيق مـآربهم واقتنـاص ملـذات الحياة دون آلاّمها، ولكنه ورفيقه قد أقبلا" **ضيوفا** " علي خوأن الحياة، وكـل مـنهما يطعم ويشرب مما مد له، دون أن يمس رجساً أو دنساً. ولكن ماذا يعنـى بـالرجس والدنس، وهو لا يستمد أحكامه من الشرائع السماوية التي حددت هـذه المفـاهيم؟ أنه يعنى به أن يذم" **جنى**" الحياة، ويحسبه أو يحسب بعضه بلاء، وهذا " **الجنى** " هو الذى يمزج الله بنا أو يمزجنا به.

قـل هبطنـا عـلي الحيـاة ضـيوفا لا ولاة نـــدير منهـــا خطاهـــا

أو قضـــاة نقضىـــ لهـــا وعليهـــا أو غـــزاة نبتـــز منهـــا حلاهـــا

فجلســـنا إلي خـــوأن أنيـــق بســـطت فوقـــه الحيـــاة غناهـــا

وأكلنـــا ولم نمـــس بـــرجس وشربنـــا ولم نـــدنس شـــفاها

ولعمـرى مـا الـرجس والكفـر إلا أن نـــرى فى جنـــى الحيـــاة بلاهـــا

وجـناها يـذيع فـــينا الإ لها

فنحن جئنا الحياة عراة ولم تكن لدينا أفكار سابقة؛ فأسكرتنا بملذاتها واستطبنا حلاوتها ، وباتت لنا أما نرضع من ثديها، ونستمتع بأحضانها حتى اذا دعينا لمغادرتها انطلقنا كما جئنا عراة حيارى.

**قل ولجنا قصر الحياة عراة — واقتربنا من الحياة سكارى**

**فاستطبنا لهاتها ولماها — وعشقنا ظلامها والنهارا**

**ورضعنا من ثديها ما اشتهينا — ونزعنا عن منكبيها لإزارا**

**وغرفنا من حفنتيها كنوزا — وقطفنا من وجنتيها ثمارا**

**غير أنا لما دعينا انطلقنا — وتركنا – كما وجدنا – الديارا**

**وخرجنا منها عراة حيارى**

فإذا سئل الشاعر أو سئل رفيقه: بأي دليل كنت تهتدى وأنت تستمتع بطيبات الحياة ؟ يجيب بأننا كنا نهتدى بالصوت الداخلي الذي فى أعماقنا !! بذلك الروح الكلي الشامل الذى أوجدنا ودعانا إلي الحياة لكننا حين جنيناً من الحياة، أعطيناها كفاء ما أعطتنا، وما أجسادنا إلا خميرة جديدة للحياة ، كما كانت أجساد من قبلنا، فنحن جزء من الحياة وحين نأخذ منها لم نفقدها شيئاً، إذ نحن منها وبها، ففيم يقال: هذا حرام ؟

إن الحرام هو أن يهأن مثلنا أو أن يدان ، ونحن لم نجن إثماً ولا ظلماً.

**قل أطعنا فى كل ما قد فعلنا — صوت داع إلي الوجود دعانا**

**فجنينا من الحياة ولكن — قد أعدنا إلي الحياة جنانا**

**وأكلنا منها ، ولكن أكلنا — وشربنا لحومنا ودمانا**

**ومضينا ، ولا ندامة فينا — وتركنا كؤوسنا لسوانا**

فـــإذا كـــان فى الحيـــاة حـــرام فحـــرام مـــن مثلنـــا أن يـــدانا

وحرام من مثلنا أن يهانا

إنه يلخص الموقف كله؛ بأنه ورفيقه إنما استجابا فى عبـادتهما للحيـاة لـدعوة رب السماء ، ورب السماء لم يصنع إلاَّ طاهرا وجميلا ، أما هـذا الحـرام المزعـوم فقـد تركاه لرجال الدين ، أولئك الفقهاء الذين يتعبدون للنصوص ولا يعانقون الحياة .

يا رفيقـى رفيـق جسـمى وروحـى وشريكـــى فى نعمتـــى وشـــقائي

قـــل رأينـــا طهـــارة وجمـــالا لا فســـادا فى صـــنع رب الســـماء

فأبحنـــا للـــنفس كـــل مناهـــا وتركنـــا الحـــرام للفقهـــاء (1)

وهذا إعلان واضح من الشاعر أنه يرفض أن ينتهج سبيله مهتـديا بنصـوص دينية تحرم وتحل ، بل هو يرى أن قلبه سيكون مشرعه ، وقد كون لنفسه رأيا خدعها به، أنه اذا كانت الحياة من صنع الله ، والله لم يخلـق إلاَّ طـاهرًا وجمـيلاً ، فكـل مـا فى الحياة إذن طاهر وجميل، ولا حرج عليه فى أن يستمتع بصنع الله .

ونلحظ أن لغة الشاعر واضحة ، وجاء معجمـه فيهـا مـن الألفـاظ القريبـة المأتى، مع أن الموضوع فلسفي، واعتمـد فى خيالـه عـلي الصـور الجزئيـة لا الكليـة ولا الممتدة ، علي خلاف عادته الغالبة . فما سبب ذلك ؟

أن الشاعر هنا صاحب مذهب يدعو إليه. إنه داعية يعنى بأن تنتشر فكرتـه ، وأن يقتنع بها القارئ ، لذلك تمثل نفسه موصيا يوجه رفيقه إلي الجـواب الصـحيح ولكن أين ؟ وفى أي مقام ؟ بين يدى الإله العظيم أو فى مقام الحساب الأخير .

أنه فى حقيقة الأمر لا يخاطب رفيقه وحده ، ولكنه يخاطب جميع طلاب المتـع ومن تملي عليهم نزعاتهم الاستجابة إلي نـداء الطبيعـة ، ضـائقين بحـدود الشـرائع

---

1- همس الجفون ص 55 قصيدة يا رفيقى.

الدينية وزواجرها، ثم تحاسبهم أنفسهم وتستولي عليهم مشاعر الندم بعد أن ينهلوا من ملذات الحياة ، ويسكروا من كئوسها .

ويهدف الشاعر إلي أن يقتلع من نفوسهم جذور الندم ، ويقضى علي البقية القارة فى أعماقهم من تأنيب الضمير وتبكيته، ويسوغ لنفسه ولرفيقه وجميع طلاب الملذات أعمالهم ؛ فلذلك آثر فى أسلوبه طريقة التلقين والتوجيه واستقصاء جوانب الحجة،وسهولة العبارة والاعتماد علي الخيال الجزئى الموضح ، لا الخيال الكلي المحلق . الذى قد ينأي بهم عن الوقائع التي يريد سردها.

ولكن هذا المذهب وقد حاول الشاعر الالتزام به فى حياته العملية قد أوقعه فى أزمات نفسية اعترف بعد بعنفها ، ففى ثلاث تجارب غرامية كان يعشق نساء لهن بعول، وكن يبادلنه العشق ، بل كن – علي حسب روايته – يوقعنه فى حبائلهن ، فتأخذه الحيرة فى كل مرة بين إسعاد قلب المرأة التي تهواه وهذا يعنى شقاء قلب زوجها الذى لم يكن ملائما لها، وبين التحرر من رجس الإثم والتعدى علي حقوق سواه ، بإسعاد قلب زوجها، وهذا يعنى إشقاء قلبها وقلبه وكان يقرر فى النهاية دائما الخيار الثانى ، ولكن بعد أن يكون قد قطع شوطا طويلا فى الخيار الأول ، ونال من ملذاته الآثمة ما نال.(1)

وكانت آخر قصائده التي ألفها بالعربيةوهى قصيدة " **الآن**" بمثابة إعلان أو " **بيان**" يؤكد تخليه عن علاقته بالناس رادا إليهم عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم وقيمهم ومن أهمها " **الدين** " فيقول فى عزيمة وإصرار :

**غدا أرد هبات الناس للناس          وعن غناهم استغنى بافلاسى**
**وأسترد رهونا لي بذمتهم          فقد رهنت لهم فكرى واحساسى**
**ورحت أتجر فى أسواق كسبهم          فما كسبت سوى هم ووسواس**

1- سبعون " المرحلة الأولي والمرحلة الثانية علاقته بكوتيا ص 202 : ص 217 وعلاقة " ببيلا " التي ألف فيها قصيدته " أفاق القلب " ص 611 إلي ص 168 وعلاقته " بنيونيا " ص 310 إلي ص 318.

وكـم فتحـت لهـم قلبـى فـما لبثـوا أن نصبوا بعلهم فى قـدس أقداسـى

******

غـــدا أرد بقايـــا الطـــين للطـــين وأطلـق الـروح مـن سـجن التخـامين

وأترك الموت للمـوتى ومـن ولـدوا والخـــير والشـــر للـــدنيا وللـــدين

وألـــبس العـــرى درعـــا لا تحطمـــه أيـدى الملائـك أو أيـدى الشـياطين

فـــلا تروعنـــى نـــار الجحـــيم ولا مجـالس الحـور فى الفـردوس تغرينـى (1)

**وقد أغنانا الشاعر عن التأويل والتفتيش عن مقاصده فصرح قائلا :**

"أما هبات الناس التـي عنيتهـا فهـى تقاليـدهم ، ومقاييسـهم وعلـومهم ، وفنونهم وأديانهم ، وأموالهم وجميع القشور التي يعيشون بها عـلي الأرض، واهمـين أنها من الحياة لبابها ، وما هى إلا قشوروأما " **الإفلاس** " ، الذى شـئت أن اسـتغنى به عن " **غنى** " الناس فهو فراغ نفسى من تلك القشور (2).

## 3- خلود النفس :

أعجب " **ميخائيل نعيمة** " فى أثنـاء دراسـته الجامعيـة فى أمريكـا بعقيـدة " **التقمص** " أو انتقال الروح من جسم إلي جسم بعد فنائه ، ورأي فيها حـلا لمشـكلة الخلود والبعث التي كانت تؤرقه .

وقد تلقى هذة العقيدة أول ما تلقاها من شاب اسكتلندى يـدرس الصـيدلة ويساكنه غرفته ، وكان هـذا الشـاب منضـما إلي " **الجمعيـة الثيوسـوفية** " ويعـزف الموسيقى فى ندواتها .

1- همس الجفون ص 95 ، ص96.

2- " سبعون " المرحلة الثانية ص 162.

وقد أخذت نعيمة " **الدهشة** " حين سمع عن تلك المبادئ ، ولكنه سرعأن ما اقتنع بها فى جلسة واحدة، ووجد فيها تفسيرا لسيرة حياته بل وجد فيها بديلا عن عقيدة " **الخطيئة الأولي**" و" **الدينونة الرهيبة**" ورأي فيها تفسيرا لعلاقات الناس وصلاتهم بعضهم ببعض ، فهى صفات وصلات موروثة عن حيوات سابقات، فلا اعتباط فيها ،لا مصادفات، وهى التي تحدد الوراثة، والبيئة، وليست الوراثة والبيئة هما اللتان تحددانها وهى القضاء، وهى القدر.

ولا يضيرها عنده أن العلم لا يعترف بها ، فالعلم لا يزال فى أول طريقه من درس المحسوسات، وهو متغير لا يثبت علي حال، وفروضه متغيرة، ومجاهل النفس أكبر من أن يحيط بها العلم (1).

ولم يقف ميخائيل نعيمة فى تلقيه هذه العقيدة عند حد ما عرفه من صديقه الاسكتلندى؛ بل لقد أوغل فى البحث ودراسة التعاليم الباطنية والديانات السماوية وغير السماوية، فأدهشه كما يقول هوما بينها من تقارب فى الهدف والوسيلة، علي بعد الشقة فى الزمان والمكان فلا" **الفيدا** " ولا " **الزاندافستا** " ببعيدة عن أسرار " **هرمس** " ولا " **لطاو** " عند " **لاوتسو** " بغريب عن " **الأب** " عند يسوع ولا " **النرفانا** " فى " **دهاما بادا** " الا صور أخرى من صور " **الملكوت السماوى** "فى الانجيل ، و " **الحلاج** " و "**ابن عربى** " وغيرهما من المتصوفة العرب يلتقون علي صعيد يكاد يكون واحدا مع فرنسيس الاسيزى، وجاكوب بوهمه، وسويد برغ، ووليم بلايك، وراماكريشنا، وغوردنييف وأوروبيندو ، ومن نحا نحوهم فى سائر أقطار العالم (2).

وصرح نعيمة بأن هذه العقيدة هى الركيزة الكبرى التي تقوم عليها فلسفة حياته ، وسوف نرى من خلال الفحص والتشريح مدى صدق هذا التصريح،

---

1-" سبعون " المرحلة الثانية ص 162.

2- المرجع السابق ص 44.فصل بعنوان"بصيص نور"

وهل بقى متمسكا بها إلي حد لا يعتريه أدنى شك طوال حياته ؟أم أصابه شـئ مـن التراجع عنها والارتياب فيها ؟ أم أدخل تعديلا علي تصوراتها ؟

إن الشواهد فى نثره كثيرة صريحة فى الدلالة علي تمكن هذه العقيدة من نفسـه ووجدانه، ولكن تعبيره عنها فى الشعر جاء تعبيرا مغلفا ينزلق فـوق ذهـن القـارئ العادى؛ فلا يدركه علي حقيقته ما لم يكن عارفا بخبر الشاعر وسـيرته الفكريـة مـن نثره .

ففى ختام قصيدته: " أغمض جفونك تبصر " يصرح بأن اللحد مهد الحياة:

**وعنـــــدما المـــــوت يـــــدنو　　　واللحـــــــد يفغـــــر فـــــاه**

**أغمـــــض جفونـــــك تبصـــــر　　　فى اللحـــــد مهـــــد الحيـــــاه**

فهل هذا إيمان بالبعث الذى قرره الدين السماوى ؟ أن ظاهر العبارة لا يمنـع ذلك الاحتمال ، ولكن معرفتنا بمذهبه تجعلنا ندرك الاحتمال الآخر؛ وهو أنه يؤمن ببعث يبقى فيه جوهر النفس، ولكن فى جسد مختلف وثوب جديد عـلي ظهـر هـذه الارض، ويتقلب الإنسان من حياة إلي حياة، وفى كل مرة تتطهر روحه حتى يصـل إلي الله، أو إلي الذات الكبرى التي هو منها فيتحد بها ، وبهذا تلتقى عقيـدة التناسـخ بعقيدة " **وحدة الوجود** ".

ولا يقتصر هذا التجدد علي الإنسان؛بل هو يشمل فيما يبدو من شـعره جميـع الكائنات؛ فنرى " **نعيمة** " يعزى أوراق الخريف عن سقوطها بأنها سوف تعود من جديد، تعود ذاتها ولكن فى هيئة أخرى غير تلك القائمة فما انقضى لن يعود بصورته نفسه، وأن كانت الحياة متجددة فى صور وأشكال عديدة بل لا حصر لها .

**عـــــودى إلي حضـــــن الثـــــرى　　　وجـــــــددى العهـــــــود**

**وانســـــى جمـــــالا قـــــد ذوى　　　مـــــا كـــــان لـــــن يعـــــود**

كـــم أزهـــرت مـــن قلبـــك وكـــــــــــــــم ذوت ورود
فـــلا تخـــافى مـــا جـــرى ولا تلـــــــومى القـــــــدرا
مـــن قـــد أضـــاع جـــوهرا يلقـــــــاه فى اللحـــــــود

**عـــودى إلي حضـــن الثـــرى**

فلماذا يخاف الكائن الموت ما دام الموت مفتتح حياة جديدة علي هذه الأرض؟ يفنى الجسد، وتبقى الروح لتحتل جسما آخر، بل أن الأجساد التي نحسبها تفنى قد انصهرت فى بوتقة الحياة ، وصارت غذاء لحياة جديدة ، فالنفس باقية بذاتها؛ أما الأجسام فانها باقية أيضا، ولكن بتحول ذراتها، وتحول الأجسام أمر عادى يقره العلم بما يسميه دورة الحياة الكبرى، أما بقاء النفوس وتقمصها أجساما أخرى فهذه بحوث بعيدة عن التجربة العلمية ، ولكن الشاعر آمن بالأمرين معا كل الإيمان؛فرأي فى القبور " **حياة تدور** " ونرى الفكرتين ممتزجتين فى قصيدته " **قبور تدور** " حينما يدعو صاحبته أو نفسه أن شئت الي التنزه بين القبور؛ لتحيتها والاستمتاع بتجدد الحياة فيها :

هلمـــــى هلمـــــى نحـــــى القبـــــور
ونمـــــتص منهـــــا رحيـــــق الـــــدهور
عســـــانا إذا مـــــا رأينـــــا عظامـــــا
يفتـــــق منهـــــا الربيـــــع الزهـــــور
عرفنـــــا بـــــأن الفنـــــاء بقـــــاء
وأن الحيـــــاة قبـــــور تـــــدور

إذن ففيم جاء امتداد الحياة ، والتعلق بآمإلها ، وهى باقية حتى بعد الموت ؟ إذ ليس هناك موت فى الحقيقة، بل هناك بقاء دائم، لا يعكر صفوه ولا يشقى النفس فيه إلاَّ متاعب الرجاء .

**هلمـى ! هلمـى ! وخـلي الرجـاء ومـدى بعينيـك نحـو الفضـاء**

**عسـاك اذا مـا رأيـت شموسـا تغيـب وتبـدو بحكـم القضـاء**

**عرفـت بـأن البقـاء امتثـال وأن الرجـاء شـقاء البقـاء**

وإذا كان البقاء هو الشئ الوحيد ، ولا فناء هنـاك ، فالأضـداد متسـاوية ولا معنى لمعاناة الكفاح فى سبيل انتصار الخير وزوال الشـرأو تمجيد الصلاح ، وتحطيم الطلاح ، فكل الأشياء ترتـد إلي مصـدر واحـد ووجـود شـامل علي الـرغم مـن التحولات والتقلبات العرضية فى الحيوات المتتالية :

**تعـالى ! تعـالى وخـلي الكفـاح لأجـل الصـلاح وضـد الطـلاح**

**وقـولي إذا مـا همسـت سـلاما بـإذن المسـاء فـرد الصـباح**

**ألـيس الصـباح شـقيق المسـاء ألـيس الطـلاح شـقيق الصـلاح**

وحركة الطبيعة كفيلة بأن تثبت لنا حقيقة هذه التحولات التي ترتد جميعا فى النهاية إلي مصدر واحد ، فأولي بنا أن نسير سيرها ، ولا نلتفـت إلي مـاض نأسـف عليه، وحاضر نخشى زواله لأننا سوف نعود كـما يعـود قطـر السـحاب إلي البحـر مصدره الأول :

**تناسـى زمـان الصـبا والشـباب وسوقى مع الـريح جيش السحاب**

**وقـولي ، أفى السـحب قطـر فتـى وقطـر تقـاوم عهـدا فشـاب ؟ !**

**ألـيس الشـباب ، ألـيس المشـيب سـحابا ، ونحـن دمـوع السـحاب ؟!**

وفيم الآمال والمطامح ، وحب التفوق ، وكل شئ ينتهى إلي مصدر واحد ؟!

**تخـــلي عـــن الصـــدق للكـــاذبين　　وعـــن عفـــة الحـــب للعاشـــقين**

**وخـــلي الفخـــار لأهـــل النضـــار　　ومجـــــد المعـــــارف للجـــــاهلين**

**وخـــلي المعـــالي ، وجـــد الليـــالي　　وحــــب التفـــوق للمقعـــــدين**

إن الموت مقترن بالحياة ، ومن تنفذ بصيرته خلال الحجب يستبق الزمأن ، فيرى الدود ينخر فى الوجوه الحسأن – والموت ضاحكا من فرحنا الساذج بالجمال العارض .

لذلك يدعو الشاعر صاحبته أو يحثها علي أن تدع جمإلها العارض الذى سوف يزول وأن تدع الجهاد والطموح ، ومظاهر الثراء ، لتحيى القبور ذات الحياة المتجددة ، وفى تأمل هذه القبور ادراك لدورات الاجيال الكونية ، فنحن أنفسنا قبور تدور مع هذه الدورات .

**بعينيـــك نـــور تـــراه العيـــون　　جمـــيلا ، فتضـــحك منهـــا المنـــون**

**لأن المنايـــــا تحـــــدق فيـــــك　　بعـــين الزمـــان التـــي لا تخـــون**

**فتبصـــــر فى مقلتيـــــك ترابـــــا　　وتبصـــــر دودا وراء الجفـــــون**

******

**فخــــلي جمـــالا يـــراه الغـــرور　　وليســـت تـــراه عيـــون الـــدهور**

**وخـــلي الجهـــاد ، وخـــلي الطمـــوح　　وخـــلي القصـــور ، وحيـــى القبـــور**

**ودورى مـــع الكـــون جـــيلا فجـــيلا　　فهـــل نحـــن الا قبـــور تـــدور ؟ ! (١)**

---

[1]- همس الجفون ص 68 إلي ص 70 قصيدة " قبور تدور ".

والرؤية الشعرية فى هذه القصيدة امتزجت بعقيدة " **التقمص** " التي يعتنقها الشاعر امتزاجا واضحا ، فأبدعت لنا صورة مبتكرة امتزج فيها لون الموت بلون الحياة ولا تدرى أين السواد ، وأين البياض ؟!! بل أن لغته التعبيرية جمعت بين الوضوح المباشر والغموض المجازى فى وقت واحد ، الوضوح المباشر فى **مثل قوله:**

**تخلي عن الصدق للكاذبين ... وعن عفة الحب للعاشقين**

**وخلي الفخار لأهل النضار ... ومجد المعارف للجاهلين**

**والغموض المجازى فى مثل قوله :**

**وقولي اذا ما همست سلاما ... بإذن المساء فرد الصباح**

**وقوله :**

**لأن المنايا تحدق فيك ... بعين الزمان التي لا تخون**

علي إننا لا نلبث أن نلمح تناقضا واضحا حين تعترى الشاعر الشكوك فى هذة العقيدة التي زعم أنها ركيزة حياته ، فيقف بين الجماجم أو بين القبور، تلك التي كان يقول لصاحبته انها حياة تدور يقف مسائلا تلك الجماجم تساؤل الشاك فى المبدأ والمصير ، فلا يدرى أين تذهب الروح بعد فناء الجسد، هل تعود إلي الله لترتاح فى صدره من همومها وشقائها أم تطويها الأقدار إلي حين، ثم تعود فتبعث من جديد ، أم هذه الروح من هواءفعادت من هواء كما كانت؟!

**حدثينى عن نفخة جعلت ... آدم حيا وكان تربا وماء**

**يا لها نفخة أرتنا بصيصا ... فى ظلام البقا فزدنا عماء**

**ما لبسنا الحياة حتى لبسنا ... فى ثنايا ثوب الحياة الفناء**

فغـــــدونا إذا رجونـــــا عـــــزاء صـــار ذاك الرجـــاء فينـــا بـــلاء
ونسـينا أنـا تـراب فـلا بـالأرض نــــرضى ولا ننـــــال الســــاء
نفخـــة الله أيـــن أيـــن اســتقرت بعــد أن عــادت الجســوم هبــاء ؟
أإلي صـــدر خـــالق الكــون آبـــت تحمــل الهــم والأسـى والشـقاء ؟
أم طوتهـــا الأقــدار لكـــن لحـــين ؟ أم هواء كانت فعـادت هـواء ؟ (1)

وهذه القصيدة كتبت فى سنة 1924 بينما كتب قصـيدته " **أغمـض جفونـك تبصر** " فى سنة 1917 ، وقصيدته " قبور تدور " فى 1922.

وقد ذهبت أتتبع خطبه ومقالاته والتفاتاته فى عباراته شعرا ونثرا لأرى مدى استمساكالشاعر بفكرته عن التقمص والتناسخ ، فلاحظت أنها لم تمح عن نفسه كل المحو فهي تراوده فى كثير من المواقف، راودته عند موت جبران ، ولمح بها فى خطبة له بين قومه حين عاد إلي وطنه لبنان بعد 1932 **ومما قاله فى هذه الخطبة** :

" ما بالنا " ونحن الذين حصرنا الزمان بين المهد واللحـد، نقبـل عـلي المهـد ونهرب من اللحد ، وما المهد الا طريق اللحد وبابه ؟.

إنها لأحجية أن تميـت نبـات الأرض، وطيرهـا، وحيوانهـا لتحولهـا لحـما فى جسدك ودماً وعظماً، وأن تدعو موتها حياة، وعنـدما تحـول الأرض جسـدك نباتـا وطيرا وحيوانا أن تدعو ذلك موتا لا حياة .......

أنها لأحجية أن تأكل الموت فى كل ما تأكل، وتشربه فى كل ما تشرب وتلبسـه فى كل ما تلبس وأن تنام وتقوم وإياه، وأن تشتهيه فى كل شهوة من شـهواتك، وأن

1- همس الجفون ص 90 ، 91.

تباركه فى كل ذلك باسم الحياة، ومن ثم أن تلعنه عندما يأكلك، ويشربك، ويلبسك ويشتهيك (1).

**ونلاحظ أنه مزج فى كلمته هذه بين فكرة التقمص، وفكرة الدورة الحيوية المادية**..ترى، هل كان حقا فى اعتناقه لفكرة التقمص واجداً الحل الأمثل لمشكلاته الفكرية فى مسألة البعث والخلود؟ أو أنه قد تعلق بوهم حتى ألفه، ولكن فكره كلما استيقظ انتابته الشكوك فيه ؟ إن الاحتمال الثانى هو المرجح عندى، فمبدأ التقمص فى ذاته ملىء" بالتناقض الذي لا تتقبله نفس مستقرة أو تنشد الاستقرار.

فلماذا نعود إلي الحياة الأرضية ، والله سبحانه قادر علي أن يطهر النفس فى حياة واحدة، وإذا كان الله والكون شيئا واحد كما زعم فى اعتقاده بوحدة الوجود ، فما الحاجة إلي التطهير ونحن فى وجودنا المادى جزء منه وهو ليس إلاَّ طاهرًا وجميلاً كما قال نعيمة نفسه فى قصيدة " **يا رفيقي** " ؟ ولماذا يفنى الجسد وفى كل خلية منه حياة قائمة بنفسها ؟ فلماذا لا يعود الجسد نفسه الذى كانت فيه الروح ؟

وما الحاجة إلي أن تتلبس بجسد آخر ؟ ولماذا تعود النفس إلي الحياة الأرضية بما فيها من ملابسات مادية وشهوانية وقد كان أدعى إلي التطهر أن تبعث فى حياة خالية من هذه النزعات ؟ وهى الحياة الأخروية التي تحدث عنها الدين السماوى؟!

ويبدو لي أنه تحرر من هذة الفكرة، فكرة التقمص، واستبدل بها حياة علوية فى عالم غير أرضى لكن ليس فيه جنة ونار، وهذا ما يفهم من الصفحات الأخيرة التي كتبها فى كتابه " **سبعون** " **فهو يصرح بأنه:**

إذا كان الموت نهاية أخيرة فقد كان سليمأن بن داود علي حق عندما قال : باطل الأباطيل ، كل شئ باطل وقبض الريح " إلاَّإذا كان للموت معنى يجهله سليمان وأجهله، واستطاع فكرى أن يهدينى إليه، علي أن يكون غير الجنة ، وجهنم

---

[1]- سبعون – المرحلة الثالثة ص 63 ، 64.

فى الآخرة، فآخرة كلها غبطة ، وإلي الأبد، أو كلها عذاب وفى نار لا تنطفىء،كان أشق علي فكريأن يتقبلها من أن يتقبل الموت"(١).

وبعد تحليل لخصائص النمو والتجدد والانحلال يعلن الإيمان ببقاء الذات ، ولكن فى حياة أسمى من الحياة الأرضية **فيقول:**

"وأنت لم تحقق أشواقك فى العمر القصير الذى عشته علي الأرض فأين تحققها ؟ ومن أين لك أو لأي إنسان، أن تجزم، ويجزم بأن الأرض هى وحدها المكان الذى تتحقق فيه أشواقك، وأن ما عشته علي الأرض هو وحده نصيبك من الزمان الذى ليس العمر بالنسبة إليه غير طرفة جفن وها أنا قد أخذت من الأرض ما أخذت، وأعطيتها ما أعطيت أتطلع بغير وجل إلي الساعة التي فيها سأنزح عنها."

وهذا تعديل كبير، بل تغيير واضح فى عقيدة التقمص التي كانت تقتضى تكرر وجود الذات فى أجسام مختلفة علي ظهر الكوكب الأرضي وحده.

فلم يعد الشاعر يرى الموت ضرورة لارتقاء الروح فى جسد بعد جسد ، بل يمكن أن يتم الارتقاء، فى حياة واحدة، وجسد واحد، وقد كان هذا التصور مبكراً عنده اذ أعلنه فى شعره فى آخر قصائده التي ألفها بالعربية وعنوانها **" الآن"** وفيها شد من عزيمته، وراح يطلب العتق من سلطان الحواس المادية ، وبدأ يفكر فى الاعتزال ويرى اقتراب الخلاص فيقول فى عزيمة وإصرار :

**غدا أعيد بقايا الطين للطين — وأطلق الروح من سجن التخامين**

**وأترك الموت للموتى ومن ولدوا — والخير والشر للدنيا وللدين**

**وألبس العرى درعا لا تحطمه — أيدى الملائك أو أيدى الشياطين**

**فلا تروعنى نار الجحيم ولا — مجال الحور فى الفردوس تغرينى**

---

[1]- سبعون " المرحلة الثالثة " ص 250 ، 253.

بل أنه سوف يتحرر من تأثير الحواس ، ومن محدودية الزمأن والمكان حيث تتلاشى الأبعاد، ويتلاشى الماضي والمستقبل، فما ثم الا حاضر أبدى فهو فى **" الآن"** وحده وهذا **" الآن"** قد محا ماضيه، ومستقبله، وطوع القضاء والقدر لانطلاق روحه، كل هذادون أن يعانى موتا بالضرورة. بل هى إرادة الروح تقهر جميع العوائق:

غدا أجوز حدود السمع والبصرفأدرك المبتدا المكنون فى خبرى .

**فلا كواكب إلا كان لي سبل      فيها ، ولا تربة إلا بها أثرى**

**لي فى القضاء قضاء والمنون مني      وفى ملاحمةالأقدار لي قدرى**

غدا؟ ولا أمس حتى أقول غدا فلتمحها " الآن " من نطقي ومن فكري (1).

ويعلق الشاعر نثرًا علي هذه الأبيات بما يفهم منه التحرر من فكرة التقمص ، وأن العتق من تأثير الزمأن والمكان يمكن أن يتم فى هذه الحياةإذ يدرك أن الروح السرمدى لا يحتويه زمان أو مكان فيقول : ولكننى وقد رأيتنى أعتق من الزمان، عدت فقلت لنفسى أن ما وعدتها به "غدا" يجب أن يتم الأن إذليس للروح السرمدى من أمس وغد.

## 4- " **القضاء والقدر** " :

امتزجت عقيدة وحدة الوجود بوجد أن**" ميخائيل نعيمة "**، وكانت محورا لرؤاه الشعرية، وفى هذه الرؤى نعيش فى جو من الائتلاف بين عناصر الوجود المادية والروحية، بل نحن دائما نرى ائتلاف المتناقضات فى عالمه الذاتى، حينما يغمض حواسه، ويحاول أن يفتش فى أعماقه بعيدا عن معطيات الحواس حيث يكون الائتلاف ، وحيث لا تكون هناك شرور علي الحقيقة، وهذا ما صورته قصيدة **" أغمض جفونك تبصر "**التي سبق أن عرضنا لها.

---

1- همس الجفون ص 95 ، 96.

وقصور الإنسان عن بلوغ هذا الائتلاف هو الذى يجعل منه لوأما للقدر ، شديد التمني لنقيض(1) حاله، ولكنه إذا جاوز هذا القصور تحرر من قيد الأماني وائتلف مع الوجود الشامل، وحبل التمني، هو الذي يجعل حياة الإنسان تضيع في السعى وراءه ويسلط انقضاء الزمان علي وجوده الإنسانى حتى يفنيه دون أن يبلغ من أمانيه غير العناء:

**نتمني ، وفى التمني شقاء　　وننادى ياليت كانوا وكنا**

**ونصلي فى سرنا للأماني　　والأماني فى الجهر يضحكن منا**

**غير أني ، وأن كرهت التمني　　أتمني لو كنت لا أتمنى**

ويرد علي الشاعر ذلك الخاطر الذى راود الشعراء حينما يتأملون مشكلة " **الإنسان والقدر** " فقد ردده جبران وإيليا ورردده العقاد وشكري وهو وقوع الإنسان حائرا بين المتناقضات؛ فكلما كان فى حالة تمني نقيضها .

**نتمني وما التمني سوى مهما　　زدهر، يحثنا للمسير**

**فصغيرا ، قد كنت أطلب　　لو كنت كبيرا ولي صفات الكبير**

**وكثيراً، لو عدت طفلا صغيرا　　واستردت نفسى نعيم الصغير**

**وخليا ً، لو كنت بالحب مضنى　　وأسير الغرام ، لو كنت حرا**

**وفصيحاً، لو كنت عيا سكوتا　　وسكوتا ، لو كنت أنطق درا**

**وحكيماً، لو كنت غرا ، وغرا　　لو عرفت المكنون سرا فسرا**

**ووحيداً لو كان حولي نـاس　　ومحاطا بالناس لو كنت وحدى**

**وغريباً لو كنت ما بين أهلي　　وقريبا ، لو طال أو دام بعدى**

**ووضيعاً، لـو كنـت صـاحب مجـد　　　ومجيـدا ، لـو لم يكـن لي مجـدى**

ويستمر الشاعر فى تعداد تلك المتناقضات فى سلسلة لا تكاد تنتهي ثم يصور الإنسان مع حبل الأماني كالبهلوان يعبر فوق الحبل ، والأماني هى التي تستنفد الأماني ، لأنها يتولد بعضها من بعض ، والزمان يفنى الزمان ، ولا يجنى الإنسان بعد السعى إلاَّ العناء .

**كلنا يزرع الأماني ولا يحصد بعد العناء غير الأماني**

**فالأماني حبل نسير عليه　　　فوق بحر الوجود كالبهلوان**

**والأماني يقرضن حبل الأماني　　　كالثواني يقرضن حبل الثواني**

ولكنه يثق فى أنه سوف يصبح حرًا يوما ما ، وذلك عندما تعدم الأماني تماماً:

**أتمني مازلت أجهل نفسي　　　وأنادى ياليتنى ولو أني**

**وأصلي فى داخلي للأماني　　　والأماني فى الجهر يضحكن منى**

**غير أني لابد أبلغ يوما　　　فيه أمسى حرا عديم التمني (1)**

بهذا يحسب الشاعر أنه نجح فى التخلص من الحيرة بين الأماني المتناقضة، ولكن هذا وهم فعدم الامانى يعنى الفناء، فإذا كانت الحياة سعيا نحو غاية من الكمال، فإن بلوغ هذه الغاية هو الذي يقتضى انقطاع الأماني، ويقتضى بالضرورة زوال الحياة .

والشاعر لا ينفك محاولا إزالة هذه الحيرة، حيرة الصراع بين الخير والشر الذى تقتضيه الحياة، ويفرضه القضاء والقدر. فراح ينشد الائتلاف بين الخير والشر فى داخل النفس، وفى الوجود كله، ويزعم أنهما يمكن يأن يتحدا لأنهما من مصدر واحد، وحينئذ يتلاشيان ولا يبقى إلاَّ الروح الكلي الشامل أو الأبدية .

[1]- المصدر السابق ص22 إلي 25 قصيدة حبل التمني .

وقد صور الشاعر هذا الائتلاف بين الخير والشر ، فى صورة شعرية فريدة تخيل فيها أنه سمع فى حلمه شيطانا يناجى ملكاً، والشيطان يذكر الملك بما بينهما من تفاعل، بل بما يجمعهما من أصل عريق، وجوهر واحد فهناك أخوة قديمة بينهما يجدر به ألاَّ ينساها، فيرق قلب الملك مسترجعاً ذكريات الماضي حتى تغرورق عيناه، فيعانق الشيطان، ويقر بقوله، ثم يحلقان معا فى الفضاء.

**سمعت فى حلمى ويا للعجب — سمعت شيطانا يناجى ملاك**
**يقول " أي بل ألف أي يا أخى — لو لا جحيمى أين كانت سماك؟**
**أليس أنا توأمان استوى — سر البقا فينا ، وسر الهلاك**
**ألم نصغ من جوهر واحد — أن ينسنى الناس أتنسى أخاك ؟**
**فأطرق ابن النور مسترجعا — فى نفسه ذكرى زمان قديم**
**واغرورقت عيناه لما انحنى — مستغفرا ، وعانق ابن الجحيم**
**وقال :" أي بل ألف أي يا أخي — من نارك الحرى أتانى النعيم "**
**وحلق الاثنان جنبا إلي — جنب وضاعا بين وشى السديم** (1)

والذى يلفت النظر فى هذه المقطوعة وقد سماها الشاعر " **الخير والشر** " أن الشاعر يضع علي لسان الشيطان، وهو المعهود منه الشر تلك العبارات العاتبة الرقيقة، ويجعله البادئ بإعلأن الاخاء والتسامح، ورافع شعار الخير والمحبة. الشيطان رمز الشر يبدأ بالخير " !!! إن معنى ذلك أنه لا شر هناك، وإنما هى أدوار موزعة من أجل تحقيق الوحدة الشاملة، وأن ما يبدو من الشر فى الواقع إنما هو ضرورى لتحقيق الخير العام.

---
[1]- المصدر السابق ص 64.

وقد تساءل مؤلفا " **الشعر العربي فى المهجر** " عن قول الشاعر" **وضاعا بين وشى السديم** " (1) ويريانها غير مفهومة المرمى، واعتقد أن الفضاء الشاسع رمز للأبدية وانتفاء المحدودية ، حيث يتحرر من الرؤية المحدودة القاصرة، فالائتلاف بين الخير والشر إنما يتحقق عند الشاعرفى ضوء " **وحدة الوجود** " حيث يختفى الزمان فى الأبد، والمكان فى اللانهاية .

ولكن الشاعر يعود فى قصيدة " **العراك** " فيرسم صورة بطلاها " **ملاك وشيطان** " أيضا فاذا هى نقيض الصور السابقة مما يدل علي أن الشاعر علي الرغم من مظاهر الاستقرار الروحى التي يبديها ، لا تزال الشكوك تعتريه فى صميم معتنقاته، فالرؤية الشعرية فى " **العراك** " تبرز لنا شيطانايدخل قلب الشاعر فيجد فيه ملكاً، فما هى إلاَّ لمحة حتى يشتد الصراع بينهما يتنازعان هذا القلب ، وكل منهما يزعم أنه بيته، والشاعر حائر بينهما مشدوه ، لا يبدى حراكا ، ولكن مشهد الصراع يحرك كوامن شكوكه ، ويكاد يدفعه إلي الإشراك بالله . ولم تنقطع هذه الشكوك.

ولم يستطيع الإجابة أفى قلبه ملك أم شيطان ، ولم تنته القصيدة براحة السلام التي انتهت بها قصيدة " **الخير والشر** ".

**دخل الشيطان قلبى          فرأي فيه ملاك**

**وبلمح الطرف ما بينهما          اشتد العراك**

**ذا يقول " البيت بيتى "          فيعيد القول ذاك**

**وأنا أشهد ما يجرى          ولا أبدى حراك**

**سائلاً ربى: " أفى الأكوان من رب سواك**

**جبلت قلبى من البدء يداه ويداك**

---

1- الشعر العربي فى المهجر" أمريكا الشمالية " ص 57.

******

وإلي اليـــــــوم آرانـــــــــى فى شـــــــكوك وارتبـــــــاك

لســـــــــت أدرى آرجـــــــيم فى فــــــؤادى أم مــــــلاك (1)

ومن الملحوظ أن تأليف هذه القصيدة كـان فى 1923 أي أن تاريخهـا متـأخر عــن تــأليف قصــيدة (2) الخــير والشرـ الســابقة المؤلفــة فى1922 وعــن قصــيدة "**الطمأنينة**" التي ألفت فى 1922 أيضاً، وقد سبق أن عرضنا لهـا بالتحليـل، وفيهـا يزعم أن باب قلبه حصين من صنوف الكدر، وأن حليفه القضاء، ورفيقه القدر.

وهذا يدفعنا إلي الاعتقاد بأن ادعاء الشاعر القـدرة عـلي التـأليف بـين الخـير والشــر والتآلف مع قوى الوجود ، وتأييد القضاء والقـدر لـه، كـان ادعـاء واهنـاً لا تلبث الشكوك أن تجتاحه بين حين وآخر .

أن الشاعر يعود فيرى للشر وجوداً حقيقياً مناظراً للخير، بعد أن كان يحسب أن الشر عارض، وسحابة تبددها البصيرة النفاذة التي ترى ضياء الخير وراءها. وقد سجل هذا التبادل أو التفاعل بين الخير والشر في قصيدته "**يا بحر**"حيث يسائله عن كره وفره المتواليين ، فيجد في البحر صورة نفسه ، ومـا يـدور فيهـا مـن صراع بـين قلبين أحدهما عبد، والآخر حر ويكـرر التسـاؤال فـلا يجـد جوابـاً ، ولكنـه حـين انجاب الليل، وبدأت خيوط الفجر تظهر في الأفق سمع نهراً يغنى ، وكانت أغنيتـه تقول: أن الخير والشـر موجودان معاً،أو يتبادلان السيادة في كل موقع :

**يقول الشاعر للبحر** :

**أما تعبت؟ عجيج – كرٌّ، ففرٌّ، فكرٌّ**

**ماذا تروم وأنى – تسير لا تستقر**

---

[1]- همس الجفون ص 86.

2 - انظر الصفحات 263 ،264، 265، 284.

**كأنما فيك مثلي – قلبان: عبد وحر**

**هذا يروم فراراً – من ذا وليس مفر.**

**يا بحر يا بحر قل لي – هل فيك خير وشر**

ولنلحظ مدى إلحاح المشكلة علي نفسه متمثلاً في تلك التساؤلات المتوالية، والتدخل في شئون البحر وحركته،كإنما استفزته هذه الحركة لتشابهها مع ما يجرى في أعماقه من ثورة وأضطراب ، ومتمثلاً في اجتماع الضدين " **قلبان – عبد وحر** " يروم فراراً" **وليس مفر** " " **خير وشر** " . وفي هذا الإلحاح الراجى المتوسل " **يا بحر يا بحر** " .

ويسائل الشاعر البحر هل توجدفي أفعاله الطبيعية المعاني نفسها التي توجد في حياة البشر بمتناقضاتها ؟.

**هل في سكونك أمن – وفي هياجك ذعر؟.**

**أم في امتدادك يسر – وفي انقباضك عسر؟.**

**وفي انخفاضك ذل – وفي ارتفاعك فخر.؟**

**وفي سكونك حزن – وفي هديرك بشر.؟**

**يا بحر يا بحر قل لي – هل فيك خيروشر؟**

لقد ازدحمت الأضداد ازدحاما شديدا.

إنه يرى هذه التغيرات الطبيعية ولكنه لا يجد جوابا، ولا يسمع تفسيراً، حتى إذا أطل ضياء الفجر؛ سمع الجواب من نهر يصب مياهه في البحر الواسع .

**وقفت والليل داج – والبحر كر وفر.**

**فلم يجبني بحر – ولم يجبني بر.**

**وعندما شاب ليلي – وكحل الأفق فجر**

**سمعت نهراً يغني: الكون طى ونشر.**

**في الناس خير وشر – في البحر مد وجزر**[1]

فنلحظ مرة أخرى كيف آثر الشاعر في ألفاظه أن يجمع الأضداد (**كروفر** ) (**بر ، وبحر** ) (**ليل وفجر**) ( **طى ونشر** ) (**خير وشر** ) (**مد وجزر** ) .

لقد عقد الشاعر بينهما صلحاً مع الاحتفاظ لكل منهما بوجوده المستقل؛ فلم تأتلف ولم تندمج في وحدة الوجود.

فالخير والشر متناظران علي قدم المساواة وكلاهما واقع معترف به . أما فكرة تلاشى الشرفي الخير نتيجة الإئتلاف بينهما،أو التعانق بين الملاك والشيطان فلم يعد يرددها .

وعلي أية حال فإن الإعتراف بوجودهما علي قدم المساواة يدل علي استسلام قدرى يؤكد الرضا بالواقع المزدوج ، وأن لم ينجح في تحقيق السلام الذى تعجل بادعائه قبل أن يفحص الموقف من جميع نواحيه وقد كان منذ البداية يدعو إلي هذا الاستسلام ، ويقف موقف الواعظ من نفسه أو من قارئه؛ فينهي عن ذم الأيام ويقول أن هذا الذم لا ينفع ولا يغير من الأمر شيئاً ، فالأيام لا تدرى شيئاً عما يقع ، وما الأيام إلاَّ ظل للنفس وما تحدثه ،أي أننا نحن الذين نبدع الواقع بما يجرى فيه من خيراًوشر ، **وهذه نظرة سبق أن**

**قال بمثلها أبو العلاء المعرى :**

نقِمتَ علي الدنيا، ولا ذنبَ أسلفتْ إليكَ، فأنتَ الظالمُ المُتكذِّبُ [2]

**وفي الحكم السائرة ما يشبهها**

**نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالعَيْبُ فِينَا وَمَا لِزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا**

**وأيضاً يقول ميخائيل نعيمة ولكن في تطويل :**

**ذمك الأيام لا ينفعك فهي لا أذن لها تسمعكْ**

---

[1]- همس الجفون ص 87 ، 88 .

[2]- اللزوميات – دار الجيل بيروت ص 80.

لا ولا عــــين تـــــري عقربـــــا     في ديـــــاجير الأسي تلســــــعك
لا ولا قلـــــــب يـــــــرق وأن     جــف مــن طــول البكــا مــدمعك
عنـــدها ســـيان يـــا صـــاحبي     أزهـــــرت أم أقفـــــرت أربعــــك
عنـــدها ســـيان يـــا صـــاحبي     نغمـــــــة الهـــــازج والنــــادب
وابتســـــام الطفـــــل في مهـــــده     وانتحــــاب العـــــاجز الخائــــب
ورضـــــا الـــــراضي بقســـــمتها     وعــــــداء الثـــــائر الصـــــاخب
عـــــدلها في أنهـــــا لا تـــــري     حـــــال مغلـــــوب ولا غالـــــب
ذمــــك الأيــــام لا ينفعـــــك     إنـــــما الأيـــــام لا تســــمعك
فهـــي منـــك الظـــل يـــا صـــاحبي     عجبـــا ظلـــك كـــم يخـــدعك (1)

ولكن هذا الاستسلام لا يزال يحوم علي الذات ، ويرى أن الأحداث ليست قــوة مفروضــة مــن قــدر خــارجى ، وإنــما هــى تنبــع مــن داخــل الــنفس وقد كان الشاعر **الذى قال** :

" وما لزماننا عيب سوانا " أدق حينما عبر بضمير المتكلمين ليدل علي أن العيوب في سلوك المجموع ، وتعارض الرغائب ، ولكن ميخائيل نعيمة لم يلتفت إلي إشتراك القوى المختلفة في تكوين الأحداث، ولا إلي الظروف الطبيعية،أو التاريخ التي لا دخل للفرد في تكوينها، وتحدث بضمير المخاطب المفرد قائلاً أن الأيام أو حداث الأيام من صنع الفرد . فعلي الرغم من استسلام الشاعر للأقدار نلحظ حيرته في ردها إلي أسبابها . أو أصولها. فتارة يؤلف بين الخير والشر تأليفاً

1- المرجع السابق ص 73 .

يجعلهما يتلاشيان في الأبدية أو وحدة الوجود ، وتارة يرى لكل منهما وجوده الخاص مع الاعتراف بتفاعلهما في الواقع، وتارة يرد أحداث الواقع بما فيها من خير وشر إلي الذات، ويقول أن هذه الأحداث ظل لها، وتارة كما سوف نرى يرد كل شئ إلي فعل الله؛ فيبتهل إليهأن يجرى الأقدار بحيث تكون عوناً له، ولا يتركه يساق كالحملان.

ولكن رضاه بالواقع المزدوج الذى تفرضه الأقدار ،ـ أياً كان مصدرها النظريـ قد أعانه علي مواجهة كثير من مواقف الحياة الخاصة والعامة والتي كانت تسير في اتجاه معاكس لاتجاهه ، ومعوق لما رسم هو لنفسه من أهداف ، فاشتعال الحربين العالميتين، وما أريق فيهما من دماء ، وما وقع فيهما من أحداث وحشية كان كفيلاً أن يملأه باليأس والانطواء، وهو الرقيق الشعور ، لولا هذا الإدراك المبكر لازدواج الخير والشر ، وكانت الصراعات النفسية الداخلية خاصة في مشكلاته الغرامية التي سبق أن أشرت إليها (1) وحيرته بين العفة التي غرستها في نفسه تربيته الأولي وأكدتها اتجاهاته الروحية ، ووقوعه في حبائل الإغراء الجسدى إشباعاً لحاجاته الطبيعية ، كانت هذه الصراعات كفيلةأن تعوق مسيرته لو لم يكن وطن نفسه علي أن لكل من الخير والشر وجوداً متناظرا .

علي أن الشاعر كان يحاول أن يستمد العون من " الله: سبحانه الذى كان نوره يومض في نفسه وميضا؛ فيناجيه بلغة العبد المعترف بالتمييز بين وجود الخالق ووجود المخلوق؛ غير أنه يخلطه بأوشاب من وحدة الوجود؛ ويسأله أن يجعل الأقدار موجهة له إلي طريق الخير؛ فلا يساق كالحملان إلي غير ما يريد .

**أخالقي رُحماكا بما بَرَت يداكا !**

**أن لم أكن صداكا فصوتُ من أنا ؟**

---

[1]-أنظر ص 274 .

ربّـــــــي : ألا تـــرانــــــي    أَســـــــاق كـــــــالحملان

ربـــــي ، أمـــا كـفـانـــــي    عـمــــــايَ والـــــونى ؟

فـابــــدل لظـــى نـيـرانـــي    بجمـــــــــرة الإيــــــمان

واجـعـــــل مــــن الحنــــان    لـــــــلقلب مرهـمـــــــا

إذ ذاك بالتهليــــــــــــــــلِ    أسيـــــــر في سـبـيـلـــــي

وخـالـقــــــــي دلــــــيلي ،    ووجهتـــــي الـسّـمـــــا(1)

وابتهال الشاعر إلي ربه أياً كان اضطراب فكرته عنه بـين وحـدة الوجـود أو التمييز بين الخالق والمخلوق؛ كان بديلاً لفكرة الارتداد إلي الذات ، أو محاولة إجراء الصلح والائتلاف بين القوتين المتصارعتين في الواقع الخارجى،أو في أعماق نفسه .

1- المرجع السابق ص 54 .

# الفصل الثالث

## تفاؤل واهم ، ولا أدرية منكرة

## في شعر

## "إيليا أبو ماضي"

**يرى الدكتور " شوقي ضيف " أن " إيليا أبا ماضي " هو**أكثر الشعراء المهاجرين أغراقاً في الغموض أو في محاولة الغموض (1)؛ ولكننا بعد معاودة القراءة لشعر أبى ماضي نجد هذا الرأي أبعد ما يكون عن الصحة ، فأبو ماضي هو أوضح الشعراء المهاجرين شعراً ، والفاظه تقرر معانيه وأفكاره تقريراً بينا لا يكاد يعتريه لبس أو غموض، سواء عرضها عن طريق القصة أم الحوار، أم الغنائية الذاتية المباشرة .

وقد ترجح أبو ماضي بين التفاؤل والتشاؤم، وبين القلب والعقل ، وبين التقليد والتجديد، ولكنه واضح في تحولاته ومواقفه إلي حد التقريرية المباشرة في أكثر الاحايين .

وحينما اصطنع أبو ماضي " **الرمزية** " كانت رمزيته من النوع التعليمى المكشوف المرمى؛ ففي " **التينة الحمقاء** " ، **أو " العنقاء أو " الشاعر والملك الجائر " أو " الكمنجة المحطمة "** وأمثالها؛لا يحتاج القارئ إلي جهد ليرى المضمون المقصود عند طرف بنانه، بل أن الشاعر ليعين القارئ علي إدراك المغزى ، تارة بالأسهاب ، وتارة بإظهار العبرة التعليمية الوعظية،أو الحكمة العملية في ختام القصيدة بما لا يدع مجالاً للظنون والاحتمالات ، وحتى يكون الحكم دقيقاً نقول أن هناك قصيدتين هما " **العنقاء** " و " **نار القرى**".ترك الشاعر الفرصة فيهما للقارئ ليخمن المقصود بضمير الغائب أو بضمير المخاطب دون أن يعلنه صراحة، ولكن هذا التخمين لا يحتاج إلي كبير جهد ليصل إلي المراد .

وقد أحسن الدكتور إحسان عباس والدكتور محمد يوسف نجم حينما لاحظا هذا الوضوح في شعر إيليا أبي ماضي،واعتبراه خاصة مميزة له بين الشعراء المهاجريين (2).

---

[1]- د. شوقي ضيف – دراسات في الشعر العربي المعاصر ص 285 .

[2]- د . احسان عباس – ومحمد يوسف نجم " الشعر العربي في المهجر – أمريكا الشمالية ص 76 .

ويرجع ذلك في رأيي –إلي قدرة أبي ماضي اللغوية، وتمكنه من أساليب التعبير، وجودة الصياغة، ونشأته في ظل الأدب العربي القديم، وتأثره بشعراء مدرسة الأحياء السلفية في مصر (**البارودى وشوقي وحافظ وأضرابهم**) .وهو أن كان قد عيب عليه وقتها ما في ديوانه من ضعف لغوي وأخطاء كثيرة في العبارة؛ فإنه قد أفاد من هذا النقد ، واكتسب صلابة العود وحفزه هذا النقد إلي التمكن في اللغة ، والتأثر بأنماط الشعراء الأفذاذ الأسلوبية ومنهم شعراء الاسكندرية (1) وكان ديوانه الثانى الذى أصدره في نيويورك بعنوان " **ديوان أبي ماضي** " نتاجاً واضح البرهان علي هذه الإفادة ، فقد تجلت فيه النزعة التقليدية ، والعناية بسبك العبارة وإحكام الألفاظ والبناء المتماسك ، علي الرغم من اشتماله علي بعض موضوعات قليلة تنزع منزع التجديد.

وسرعان ما ظهر تحول كبير في شعر أبي ماضي بعد اتصاله بشعراء الرابطة القلمية وخاصة نعيمة وجبران فقد شارك في الثورة علي التقليد ، ولم يعد الشعر في نظره ألفاظاً ووزنا فحسب ؛ بل عنى بأن يكون شعره صورة معبرة عن نفسه، وأشجانه، وآماله، وفلسفته وبدت في شعره ظاهرة التضحية باللفظ في سبيل المعنى الكلي ومع ذلك فهو أجود زملائه عبارة، وأوضحهم فكرة، وأخطاؤه قليلة بالقياس إلي أخطائهم؛ بل هى أخطاء العارف الذي يرتكن علي وجه من وجوه الجواز .

وهناك سبب آخر يرجع إليه هذا الوضوح في شعر أبي ماضي وهو أنه يختلف عن زميليه بالقدرة علي التواصل الإجتماعى ، فقد كان جبران أشبه بالطائر الشارد ، وكان نعيمة أشبه بالراهب فى صومعته؛أما أبو ماضي فقد كان اجتماعياً يعيش بين

---

[1]- د . أحمد زكى أبو شادى – المقتطف – عدد نوفمبر 1951 وأيضاً د . محمد عبد المنعم خفاجى في قصة الأدب المهجرى – الجزء الثانى ص 210 .

الناس ويتفاعل بهم ، ودليل ذلك كثرة شعر المناسبات في دواوينه؛ بينما تعدم في ديوانيجبران ونعيمة .

واستطاع أبو ماضي بعد انضمامه للرابطة القلمية أن يحتفظ لنفسه بحد مناسب بين انطوائية زملائه الرومانسية ، وانبساطية الشعراء الاجتماعيين، ومن هنا كان تفرد نمطه وقدرته علي إيضاح المضامين الفلسفية العميقة بلغة شعرية سهلة واضحة، لايكاد يختلف النقاد في تفسيرها، وإدراك مقاصدها.

وقدرة أبي ماضي علي الاحتفاظ بهذا الحد المناسب بعد انضمامه للرابطة دليل علي أصالته، وعلي طاقته الشعرية الهائلة ، فهذا التحول نمط السلفية إلي التجديد خاصة بعد زمن طويل من المراس كفيل بأن يحطم الشاعر المتوسط القدرة ، ويلقيه في هاوية النسيأن ، أو يذيبه في سواه ولكن أبا ماضي كان يمتلك قوة انفعالية هائلة وشعوراً حياً متجدداً وإرادة لا تهن في تقرير ذاته ، إلي جانب قدراته اللغوية التعبيرية ، وقد أتاح له هذا أن يغدو أعلي المهاجرين الشماليين صوتاً، وأكثرهم نتاجاً شعرياً حتى عدته الدكتورة نادرة جميل سراج زعيم شعراء الرابطة القلمية [1] إذا قيست الزعامة بغزارة النتاج الشعرى.

وكما تميز أبو ماضي في نمطه الفني من أصحابه تميز في مواقفه من عقيدة الغيب، وأن التقي بهم في بعض الأطراف، فلا مناص عند المعاشرة، والمحاورة من التأثير والتأثر.

ولكن أبا ماضي لم يكن في أصول مواقفه الشاكة أو المنكرة آخذاً عن أحد من زملائه، بدليل أن صراحته في إنكار بعض العقائد الغيبية سابقة علي اتصاله بالرابطة، وديوانه الثانى الذى ألفه قبل أن ينضم إلي شعراء الرابطة القلمية يشتمل علي قصيدته " **الخلود** " التي ينكر فيها البعث إنكاراً يسهب في دعم أدلته ، ويشتمل

[1]- د . نادرة جميل سراج – شعراءالرابطة القلمية ص 318.

أيضاً علي قصيدة " **فلسفة الحياة** " ذات النزعة الخيامية التي قامت علي ركنين هما الدعوى إلي الاستمتاع بالحياة الحاضرة ، وإنكار البعث .

ويبدو لي أن أبا ماضي قد تأثر برباعيات " **عمر الخيام** "؛إلي جانب تأثره بالدعوة المادية التي كانت نامية في البلاد العربية قبل هجرته ، والتي كانت تبثها صفحات مجلة " **المقتطف**" البيروتية، وكانت رائجة الانتشار في مصر والبلاد العربية ، ولنلحظ أنه حيا هذه المجلة في عيدها الذهبي في أحدى قصائد "**الجداول**"([1]) ممجدا اتجاهها، وآثارها العلمية .

**أما القضايا المتعلقة بعقيدة الغيب التي ظهرت في شعر أبي ماضي فهي** :

1- نشدان المجهول .
2- الألوهية والأديان .
3- الخلود .
4- القدر .

## نشدان المجهول:

غلبت علي أبي ماضي النزعة " اللا أدرية " وإن أشبه زملاءه أحيانا في الارتداد إلي الذات شأن جميع الرومانسيين.

ففي قصيدة " **العنقاء** " يسهب في وصف بحثه عن المجهول سواء أفسرنا هذا المجهول بالحقيقة الكبرى أم بالسعادة المثالية، ولكنه حينما بكى في النهاية بعد أن اعتصره اليأس وجد التي يبحث عنها في دموعه . وقد أطال أبو ماضي في سرد المواضع التي بحث عنها فيها .

ففتش عنها جيب الفجر، والدجى ، والكواكب وساءل البحر واقتحم القصور، وتنسك في الدير ، وجرب النوم والأحلام، وأنتظر الربيع بأزهاره ،

[1]- الجداول ص 80 .

والشتاء ببروقه وأمطاره ، حتى إذا يئس من العثور علي هذه الحقيقة المجهولة ، أو هذه السعادة النائية؛ إذا هو يدرك أن التي ضيعها كانت معه أي في ذاته :

**حتى إذا نشر القنوط ضبابه ... فوقى فغيبني، وغيب موضعى**

**وتقطعت أمراس آمالي بها ... وهى التي من قبل لم تتقطع**

**عصر الأسى روحى فسالت أدمعاً ... فلمحتها ولمستها في أدمعى**

**وعلمت حين العلم لا يجدى الفتى ... أن التي ضيعتها كانت معي** [1]

**وأميل إلي القول بأن**المجهول في قصيدة العنقاء هو :" **السعادة**"التي يحاول أبو ماضي أن يستنبتها من داخل نفسه ، وفي تربة ذاته ، ويدعم هذا الميل عندى أن أبا ماضي في قصائده الأخرى لا يمزج بين السعادة والحقيقة بحيث يكون في العثور عليإحداهما عثور علي الأخرى في الوقت نفسه ؛ بل هو يفرق بينهما، فمذهبه في التفاؤل نوع من " **الإيهام** " أو تخدير الحس والتشاغل عن آلام الواقع ومعاناته ، بزعم أن الجمال ينبع من الذات وأن السعادة تصدر من داخل النفس، وأن الإنسان يمكن أن يوهم نفسه بالحسن فيراه في كل شئ حتى في أقبح المناظر ، وأتعس الأحوال ، فهو ليس التفاؤل الفلسفي الذى يقوم علي حساب مقادير النور والظلام ، والموازنة بين الخير والشر في واقع الحياة كتفاؤل العقاد"**العقلي**" أو التفاؤل الذى كان يجيد " **شكرى**" تصويره أحياناً بل هو تفاؤل يقوم علي أن الشاعر يرى ما يحب أن يراه ، ويغمض عينيه عن كثير من جزئيات الواقع تغافلاً وتباها.

أن أبا ماضي في موقفه من السعادة يأخذ بالمذهب الذاتى الوجدانى، وفي موقفهمن الحقيقة يأخذ بالمذهب " **اللا أدرى** " .

**يقول عن السعادة :**

---

[1]- ص 8 ، 9 ، 10 ، 11 ، 12 .

وأرى السعادة لا وصول لعرشها      إلآ بأجنحة من الوسواس

فكأنما هي صورة زيتيّة      للشط فيه مراكب ومراسي

تبدو لعينيك السفائن عوّما      وتكاد تسمع رعشة الأمراس

لكن إذا أدنيتها ولمستها      لم تلق غير الصبغ والقرطاس

دنيا مزّيفة، ودهر ماذق      ما في انفلاتك منهما من بأس

أن اللذاذات التي ضيّعتها      رجعت إليك عصارة في الكاس

فاصبغ رؤاك بها تعد ذهبيّة      عطريّة الألوأن والأنفاس

واخلق لنفسك بالمدامة جنّة      في الأربُع المهجورة الأدراس

الحبّ فيها بلبل وخميلة      وندّى وأضواء علي الأغراس

للقصر يخلقه خيالك روعة      كالقصر من جدر ومن أساس

ونلحظ اتجاه الشاعر إلي القارئ مباشرة عن طريق ضمير المخاطب واعتماده علي التشبيهات التمثيلية التي توضح المعنى من أطرافه ، واتخاذه سبيل الواعظ المرشد في **قوله** :

" فاصبغ رؤاك بها تعد ذهبية "

**وقوله** : " واخلق لنفسك " ....

ثم حرصه علي بيان قيمة ما يوجه إليه، وهذه الطريقة في التعبير تكشف لنا أن ميل الشاعر إلي بث معتقداته، ونشرها بين القراء،كان أكثرمن ميله إلي التصوير الفني المجرد لدخائله وطواياه.

ولكن السعادة التي يصفها سعادة وهمية ، سعادة يصنعها من خيوط وساوسه، ويستمدها من كئوس المدام وما تخيله له.

**أما عن الحقيقة فيقول:**

**كيف الوصول إليك يا نار القرى　　أنا في الحضيض وأنت في الجوزاء**

ويجب ألاَّ ننخدع بتقليد الشاعر أنماط التعبير الصوفية في قصيدته " **نار القرى** "حينما يوجه خطابه إلي ذات مجهولة لا يفصح عنها ، ولا يتبين هو حقيقتها، فالمتصوفة أن لم يستطيعوا التحديد فإنهم يستطيعون الذوق والمشاهدة الباطنية، أما الشاعر فمحجوب الرؤية ، ودونه ودون الحقيقة ألف ألف غطاء ، حتى وسيلة الخيال نفسها فقدها ،وحين توهم الاقتراب لقي حتفه كما تلقى الفراشة حتفها في فم المصباح .

لقد أفتقد اليقين والخيال، ثم أفتقد ذاته المثخنه بالجراح .

**قد كان يسبيني الجمال الرائع　　حتى لمحتك فهو لا يسبيني**

**عصفت بصدري لليقين زوابع　　ثلّت عروش توهمي وظنوني**

**فأنا علي ما ضاع مني جازع　　أن الذي قد ضاع جدّ ثمين**

**لولاك ما مات الخيال اليافع　　أفتعجبين إذا كرهت يقيني**

ومذهبه هذا هو الذى يعلنه في " **الطلاسم** " وراء كل محاولة لطلب الحقيقة يأسا بقوله : "**لست أدرى**".

والدليل علي وجود الأختلاف بين مذهبه في السعادة ومذهبه في الحقيقة ما تجليه لنا قصيدة " **الدمعةالخرساء** " فهذه القصيدة أنموذج جيد لإبراز هذا الاختلاف حتى إنه راح ينفض عن صاحبته أسباب الكآبة النابعة من خوف الموت، حين سمعت عويل النائحات **قائلاً لها** :

لاتجزعــى فــالموت لــيس يضــيرنا        فلنـــا إيـــاب بعـــده ونشـــور
إنـا سـنبقي بعـد أن يمضى ـ الـورى        ويـــزول هـــذا العـــالم المنظـــور

حتى إذا أجاد تصوير بواعث الرضا والسعادة ، واستجابت صاحبته لما بثه في نفســها مــن أمــان وطمأنينــة؛ عــاد هــو فراودتــه الشــكوك بعــد أن خــلا إلي نفســه، معلنــاً أن مــا حــدث بــه صــاحبته لم يكــن إلا وهمــاً مــن الأوهــام؛ فهــو لا يصــدق مــا يقولــه ؛ لأنــه لم يكــن بالحقيقــة ؛وإن جلــب بــه الســعادة إلي قلب صاحبته :

لكنّنـــي لّمـــا أويـــت لمضـــجعي        خشــن الفــراش عــليّ و هــو وثــير
و إذا سراجي قـد وهـت و تلجلجـت        أنفاســـــه فكأنّـــــه المصـــــدور
و أجلـت طـرفي في الكتـاب فـلاح لي        كالرسـم مطموسـا و فيـه سـطور
حامت علي روحي الشكوك كأنّها        و كـــأنّهن فريســـــة و صـــــقور
ولقـد لجـأت إلي الرجـاء فعقّنـي        أمـــا الخيـــال فخائـــب مـــدحور
يـــا ليـــل أيـــن النـــور ؟ إنّي تائـــه        مر ينبثق،أم ليس عنـدك نـور ؟ (1)

بل راح يكرر العبارة نفسها التي كانت تقولها صاحبته ، وهى مليئـة بالأسـى والحسرة علي فقدأن الحياة فقداناً لا رجعة بعده .

أكذا نموت وتنقضى أحلامنا في لحظة ، وإلي التراب نسير ؟!

فمشاعر السعادة التي أثارهـا في نفـس صـاحبته كانـت نوعـاً مـن التخـدير والإيهام ، أما الحقيقة فإنها تائهة عنه، أو هو تائه عنها.

1- الجداول ص 92 .

ولقد أبرزت قصيدة الطلاسم حيرته في البحث عن هذه الحقيقة إبرازاً تفصيلياً؛ لا أرانى مضطراً إلي عرضه جميعه؛ فمن الملاحظ علي شعر إيليا أبي ماضي ميله إلي الإسهاب في التصوير، وتكرار المعنى الواحد في تراكيب مختلفة ، والإسراف في التفصيلات الجزئية التي ليس من الحتم ذكرها.

ففي قصيدة " **الطلاسم** " كثير من الترديد ،والتناقض، والثرثرة الزائدة؛ بل التقريرية الذهنية التي لا تلائم طبيعة الشعر،ومجموع الرباعيات أو المقاطع يمثل خواطر متناثرة جمعتها دورات ثم ضمت كلها في قصيدة واحدة، كما أنها تفقد العمق الفلسفي، والإيحاء بالمعانى البعيدة، فهو يضع المعانى بين يد القارئ وضعاً مباشراً؛ بحيث لا يترك الفرصة لإثارة ذاتية المتلقي، وتحقيق رغبته في الكشف .

ومضمون القصيدة في تحديد وإيجاز، أنه حائر في تساؤلاته عن المنشأ والمصير، وحقيقة النفس، وحقيقة الوجود ، وحكمة القدر، وحكمة الحياة والموت . وخلاصة الأمر أنه بإزاء هذه المسائل " **ليس يدرى** " ولكنه عرضها في 284 بيت شملت "71" مقطعاً ساءل فيها نفسه ، وساءل البحر والرهبان في الدير، والمقابر، والقصر، والكوخ، والفكر، وأظهر ما يدور بنفسه من صراع وعراك ، وتكاد تكون التساؤلات متشابهة المضمون، وتنتهى دائماً بأنه ليس يدرى ، ولا شئ حوله يدرى؛ فكل شئ مثله في الجهل :

**قد رأيت الشهب لا تدرى لماذا تشرق ؟**

**ورأيت السحب لا تدرى لماذ تغدق ؟**

**ورأيت الغاب لا تدرى لماذا تورق**

**فلماذا كلها في الجهل مثلي**

**لست أدرى**

**كلما أيقنت أنى قد أمطت الستر عنى**

وبلغـــــــت الســـــــــر سرى ضـــــحكت نفســـــى منـــــي

قـــد وجـــدت اليـــأس والحـــيرة لكـــن لم أجـــدني

فهـــــــل الجهـــــــل نعـــــــيم أم جحـــــــيم ؟

لســـــــــــــــــــــــــــــــــــت أدرى (1)

والتذ هذه الحيرة واستمرأها ، وأصبح الشك عنده غاية في ذاته بحيث توافقت نفسه به، والتأمت عليه، فهو يود أن يكون من بين هدايا العيد التي يقدمها إلي أصحابه قدر من الشك للمؤمنين، وقدر من الإيمان للمرتابين وإلي المؤمنين شيئاً من الشك وبعض الإيمان للمرتاب (2).

بل هو يصور هذه الحيرة حتى في نشدان السعادة ، ويتوقف عندها دون أن يبلغ جواباً يرتاح إليه فيما يدور بينه وبين محاوره،أو يرجح أحدى الوجهتين علي الآخرى ولو ترجيحاً طفيفاً

قلـت: السـعادة في المنـي فرددتنـي وزعمـــت أن المـــرء آفتـــه المنـــى

ورأيـــت في ظـــلّ الغنـــى تمثالهـــا ورأيت أنت البـؤس في ظـلّ الغنـى

مـــا لي أقـــول بأنهـــا قـــد تقتنـــي فتقـــول أنـــت بأنهـــا لا تقتنـــي؟

وأقول أن خلقت فقد خلقـت لنـا ، فتقول أن خلقـت فلـم تخلـق لنـا؟

وأقـــول إني مـــؤمن بوجودهـــا فتقـــول مـــا أحـــراك أن لا تؤمنـــا؟

وأقـول سر سـوف يعلـن في غـد فتقـــول لا سرّ هنـــاك ولا هنـــا؟

يـا صـاحبي، هـذا حـوار باطـل لاأنـت أدركـت الصـواب ولا أنـا (3)

---

[1]- الجداول ص 123 .
[2]- الخمائل ص 48 .
[3]- الجداول ص 77 .

هذه مزاعم متساوية ، وحيرة دائمة ، تعتريه حين يفيق من وهمه ويحاول أن ينشد السعادة عن طريق الحقيقة .

وينكر أبو ماضي أن تكون الحقيقة ما تراه الأكثرية، ويسخر بهذا الزعم، ويرى أن الخضوع لرأي الأكثرية إنما ياتى تحت تأثير الرغب أو الرهب، ولا ينبع عن إرادة مستقلة متحررة من الضغوط :

**لّما سألت عن الحقيقة قيل لي — ألحقّ ما اتّفق السواد عليه**

فعجبت كيف ذبحت ثوري في الضحى — **و الهند ساجدة هناك لديه**

**نرضى بحكم الأكثريّة مثلما — يرضى الوليد الظّلم من أبويه**

**إمّا لغنم يرتجيه منهما — أو خيفة من أن يساء إليه** (1)

ولكنه تارة أخرى يزعم أن خيال الشعراء **"نبوة"** ، وأن الشعراء وهو واحد منهم أعرف بالله من سواهم ، ولو عرف الناس الله كما يعرفه الشعراء لخروا لهم ساجدين .

**كم خفضنا الجناح للجاهلينا**

**وعذرناهم فما عذرونا**

**خبروهم يأيها العاقلونا**

**إنما نحن معشر الشعراء — يتجلي سر النبوة فينا**

**لودخلتم هياكل الإلهام**

**وسرحتم في عالم الأحلام**

1- الخمائل ص 78 .

واجتليـــــــــــتم سر الخيـــــــــــال الســـــــــامى

وعـــــــرفتم كـــــما عرفنـــــا الله لخـــــررتم أمامنـــا ســـاجدينا [1]

أما أين هى الحقيقة التي عرفها الشعراء ؟ فلا جواب .

تـرى كيـف يتفـق هـذا مـع عجـزه عـن الوصـول في " **نـار القـرى** " وفي " **الطلاسم** " ؟ كأنما يريد الشاعر أن يقنعنا بأن الأمانى حقيقة واقعة، وأنه عـاد بعد مشقة رحلته بالثراء – مع أنه عاد خالي الوفاض إلاَّ من " **لا أدريته** " .

## الإله والأديان

يجب أن نفرق بين حديث أبى ماضي عن " **الإله** " كخيال شـعرى، وحديثـه عنه كحقيقة اعتقادية يدين بها .

ففي " **أمنية إلهـة** " و " **الشـاعر في السـماء** " و " **الأسـطورة الأزليـة** " نـرى حديثه عن الاله مجرد خيال شعرى، لم يسقه الشاعر لتقرير موقفه من الاعتقاد .

أما قصيدته " **أنا وابنى** " **فهى تقرير لمذهبه واعتقاده** " .

ولكننا مع ذلك نستطيع أن نلمح في خياله الشعرى ما يشـف عـن معقتـده ، ففي " **أمنية الأهة** " يختلق الشاعر أسطورة تشبه الخيال الوثنى اليونانى يـزعم فيهـا أن " **إلها** " أحب " **الهة** " فطلبت إليهأن يصنع لها عالماً لم يصنع مثله ، فزين لها العـالم الموجود حتى غدا أحسن مرأي وتمت له دنيا بغير معايب ، ولكنإلهته وأن أثنت علي صنعه؛ لم تجد فيه بغيتها فأمنيتها ما تحققت وراحت **تقول له** :

**فـدنياك هـذي عـلي حسـنها وســحر مشـاهدها والصــور**

**تشـاركني سـائر الآلهـات لـــذاذاتها ونســاء البشـــر**

**أريـــد دنيـــا فيهـــا شـــعاع يبقـــي إذا غابـــت النجـــوم**

---

[1]- الجداول ص 46 ، 47 .

**أريـــد دنيـــا تحـــسّ نفســـي فيهـــا نفوســـا بـــلا جســـوم**

**أريـــد خمـــرا بـــلا كـــؤوس مـــن غـــير مـــا تنبـــت الكـــروم**

**أريـــد عطـــرا بـــلا زهـــور يسـري وأن لم يكـــن نســـيم** [1]

فأبدع لها " **الموسيقي** " لأنها هى التي تحقق ذلك العالم الجوهرى الخالي من الأجسام .

فحديث الشاعر عن الألوهية هنا خيال أراد به تمجيد " **الموسيقي** "؛ ولكن هذا الخيال منتزع من تصورات وثنية؛ تخلع علي الإله صفات الإنسان؛ فتجعله يعشق ألهة أخرى ويحاول إرضاءها ، ويتعرض للفشل والنجاح حتى يبلغ هدفه ، ففيه عجز الإنسان،وأمانيه، وأهواؤه؛ بل هو يمر بأطوار العمر فله طفولة، وصبا، وشيخوخة .

**أحـــب الـــه فى صـــباه إلاهـــة جـرى السـحر فى أعطافهـا والترائـب**

ومعنى ذلك أنه معرض للفناء ما دام معرضا للتغير .

والألهة متعددون متنافسون، فيهم الذكور والإناث ؛والذكور مختلفو الطباع، والإناث يباهى بعضهن بعضاً، هذا الخيال الوثنى– وأن كان مجرد تركيب فنى يدل علي تساهل من الشاعر فى مسائل الاعتقاد، وعلي رغبة منه فى النزول بالقدسية الإلهية إلي أرض الإنسان .

أما فى " قصيدة " **الشاعر فى السماء** " فإن أبا ماضي لا يتحدث عن " **إله** " أي" **إله** " بصيغة التنكير؛ بل إنه يتحدث عن " **الله** "ــ سبحانه ـ ويتخيل أن الحوار فى القصة كان بينه هو وبين الله ذاته، ولم يحاول أن يتخذ تقية ، كما فعل " **شكري** " فيقول أنه رأي ما رآه فى " **حلم** "؛ بل هو يحكيه علي أنه قصة

---

[1]- الخمائل ص 30 .

واقعية، فيزعم أن الله اطلع عليه مـن السـماء فـرآه محزنـا شـديد البكـاء؛ فـرق لـه، وحسب أن مرد حزنه إلي وجوده فى الأرض وهو سماوى الفؤاد ، فـرده إلي السـماء، وبنى له فيها بيتا ، ومد ملكه فى الفضاء ، وسخر له النجـوم والضـياء ، والصـباح ، والمساء ، والغيوم ، والرياح ، ولكن الشـاعر لم يـزل حزينـا مكتئبـا؛ فـالله لم يعـرف حقيقة حزنه ولا مبعث أساه !!

" **واستغرب** " الله منه ذاك ولا سيما بعد ما اشتد نوحه وصار دمه سيول نار ، فأخذ الله يسائله عن مبعث حزنه وعلة بكائه ، ويعرض عليه المشتهيات كلها ، وهو يأباها وفى النهاية يخبر ربه أنه إنـما يحـن إلي فصـل صـيف فى أرض لبنـان أو شـتاء ، فاستضحك الله من كلامه متهما اياه بالغباء، ولكنه أطل من عليائـه ، وألقـى نظـرة علي لبنان ، فبهره جمإلها الذى رآه قطعة من السماء فأدرك " **الله** " – سبحانه وحاشاه – خطأه ، وتعجله فى الحكم علي الشاعر الذى كان صائب الرأي،وفىّ النفس فاعتذر إليه، وشاركه الرأي فى تمجيد لبنان :

**فَاِستَضحَكَ اللهُ مِن كَلامي وَقالَ هَذا هُوَ الغَبـــــــاء**

**لُبنان أَرضٌ كَكُلِّ أَرضٍ وَناسُهُ وَالـوَرى سَـــــــواء**

**وَفيهِ بُؤسي وَفيهِ نُعمى وَأَردِياءٌ وَأَتقِيـــــــــــاء**

**فَأَيُّ شَيءٍ تَشتاقُ فيهِ؟! فَقُلتُ ما سَرَّني وَســــــــاء**

**تَحِنُّ نَفسـي إِلي السَـواقي إِلي الأَقـاحي إِلي الشَـــذاء**

**إِلي الـرَوابي تَعـرى وَتَكسـى إِلي العَصـافيرِ وَالغِنـاء**

**إِلي العَناقيدِ وَالدَوالي وَالماءِ وَالنـورِ وَالهَـــــــواء**

**فَأَشرَفَ اللهُ مِن عُلاهُ يَشهَدُ لُبنـان في المَســــــاء**

**فَقالَ ما أَنتَ ذو جُنونٍ وَإِنما أَنتَ ذو وَفــــــــــــاء**

**فَإِن لُبنان لَيسَ طَوداً وَلا بِـلاداً لَكِـن سَمـــــــــــــاء**

قد يقال بأن هذا الخيال مجرد أداة فنية لتصوير الفكرة ، ولكننا نقـول أن هـذة الاداة لم تكن حتمية لتصوير الفكرة، وأن اختيارها يدل علي سهولة تجسـيم الـذات الإلهية عند الشاعر، وتصورها ذات طبيعة بشـرية ناقصةولا سيما أنه تحـدث عـن" **الله**" ذاته؛ فجعله يدهش، ويخطئ التخمين، ويخطئ الحكم، ويعتذر، ويجهل حقيقة بعض خلقه، ثم فوجئ بعلم غير علمه السابق؛ أي أنه أصبح يعلم ما لم يكن يعلـم؛ فإذا كان جبران قد أله الإنسان، فأن أبا ماضي قد " **أنس**" صورة الاله التي فى خياله إذا جازهذا التعبير.

**أما قصيدة : "الأسطورة الازلية "** فسنؤجل تحليل خياله فيهاإلي حديثنا عـن موقفه من القدر، وقد لاحظ الدكتور إحسان عباس والدكتور محمد يوسـف نجـم أن أبا ماضي قد يصدم روح أمته بهذا الخيال أو بما يسميانه " **فلسفة النسـبية** "؛التـي ينظر من خلالها إلي الألوهية، والزمن، والسماء ، وقد يصدم الأتقياء بالطريقة التـي يظهر بها الله متحدثا،أو ضـاحكا،أو مشـاركا النـاس فى عـواطفهم ، ولكـن الـذين ينظرون إلي الجانب الأول من فلسفته ( **أي قيامها علي نـواة قديمـة، وعـبرة شرقيـة معروفة** ) يحسون بتجاوب واع بيـنهم وبينـه ، ولا يلبـث الجانـب الثـاني مـن تلـك الفلسفة أن يؤخذ بروح التسامح ، ويعد نوعا من التعبير الشعري ، وخاصـة حـين يقبل الناس علي شعره ، فيرون فيه صورة مشرـقية تـتقمص لأروحهـم الفلسـفى فحسب – بل حكمتهم العامة فى ثوب شعرى جميل ، (1).

والذى أراه أن الشاعر قد استمد كثيرا من معين ثقافته المسيحية فى اتجاهـه إلي تلك الصبغة البشرية فى تصوير الذات الإلهية، وهـو بـما يفعـل إنـما يصـدم مشـاعر

---

1- الشعر العربي فى المهجر ( أمريكا الشمالية ) ص 152.

الجمهور المعتقد بتنزيه الذات الالهية عن مشابهة الحوادث وهم المسلمون، أما الشاعر الذى تمثل الثقافة المسيحية روح فكره مهما تمرد عليها ، فلا يبعد عليه هذا التجسيم، ولا يستثقل خياله وصف الذات الإلهية بهذه الصفات التي تدنو بها من الطبائع البشرية، ولا أعتقدأن مثل هذا الخيال يصدم مشاعر جمهور المسيحيين الذي ينتمى إليه الشاعر ومحور عقيدته تقوم علي تجسيد الذات الإلهية فى شخص المسيح.

ولسنا نوافق علي أن الذوق الإسلامى يمكنه أن يتسامح بإزاء هذه التصورات التي ترى أن إلاها يحب إلاهة ، وأنه يتردد ويعجز عن تحقيق مطلبها إلا بعد أن يقوم بعدة محاولات ، أو أن الله – سبحانه وحاشاه – يجهل ما بنفس الشاعر ويصنع له غير ما يريد ، ويتحير فى معرفة أمنيته، ويستضحك منه، ثم يدرك الله تعجله فى الحكم وخطأ رأيه، وصواب رأي الشاعر فيعتذر إليه، كل هذه التصورات لا يمكن أن يقبلها الذوق الإسلامى العام؛ بله الخاص أو أن يتسامح بإزائها؛ ولو علي النظر إليها علي أنها مجرد تعبير شعرى كما يقول الباحثان.

أما القصيدة التي يعلن فيها الشاعر رأيه الاعتقادى؛ وهى **" أنا وابنى "** ، فتقوم الصورة الشعرية فيها علي حوار بينه وبين ابنه يسأله فيه ابنه عن **" له "** كيف كان ؟

فهو سر يحيره؛ يسمع الناس يقولون عنه الخير والشر، ولا يدرى وجه الحق . فيجيبه أبوه بأنه مثل الناس له آراء شتى ، ومع ذلك فهو **" لا يدرى "** وما سيلقيه إليهإنما هى ظنون، لا تبلغ مبلغ اليقين وكلما يقال هنا وهناك ظنون أيضا .

**وخلاصة هذه الظنونأن الله** يتصور بحسب صنعه فإذا نظرنا إلي خلق الله وقدرته علي الإيجاد والتحويل فالله **" فكر "** ، وإذا نظرناإلي ألوان الجمال والحب فى الكون فالله **" حس وشعور "** وإذا كان بعض الناس يحبون الله جبارا، وفتاكا، وقاهرا؛ فهو يهواه رساما، وفنانا، وساحرا وهو يلوح له فى ديوان شاعر :

**قال لي ابنى وهو حيران ۞ بما يحكى ويقرأ**

كيــف كــان الله ؟ إنــى قــد وجــــــدت الله ســــــــــرا
أســمع النــاس يقولــون بــه خـــــيرا وشــــــــــــــرا
فأفــدنى .قلــت : يــا ابنــى أنـــا مثـــل النـــاس طـــرا
لي فى الصـــــــــــحة آراء وفى العلـــــــة أخـــــــرى
كلـــما زحزحـــت ســـترا خلتنـــى أســـدل ســـترا
لســت أدرى منــك بــالأمر ولا غيـــــــــــــــرى أدرى

فهو يعلن " **لا أدريته** " بإزاء هذا السر المحير قبل أن يعلن رأيه؛أي أنه لا يعطينا هذا الرأي قبل أن يحيطه بسياج من الشكوك ، ويرينا أنه ليس رأيا قاطعا؛ بل هو ناشئ من احتمالات لا يدرى صاحبها مدى صوابها.

ولذلك يبدأ فى عرض رأيه بالفعل " **أحسب** " لا بالفعل " **أعتقد** " فيقول:

**أحســب الله الــذى صــاغ مــن الــذرات صخــــــــرا**

**والــذى شــاء فصــارت قطــرات المــاء بحـــــــــــرا**

**والذى شاء فضـم البحـر أصـــــــــــــــدافا ودرا**

**وأراد الضـــوء أجرامـــا فصـــار الضــــوء زهـــرا**

**أن هذا الله لما شاء هـذا كـان " فكــــــــــــــرا "**

فهو هنا ينظر إلي ناحية الصنع والصوغ ، والقول بأن "الله فكر"أو "عقل كلي"مذهب فلسفى قديم ينحدر من أفلاطون، ويمر ببعض فلاسفة الاسلام كالفارابى وابن سينا، واخذ صورة حديثة فى الفلسفة الألمانية خاصة عند "**هيجل**"، وأشياعه من أصحاب " **الديالكتيك** " ،أو جدلية الفكرولم أستطع التأكد مما اذا كان

الشاعر قد اطلع إطلاعا فاحصاً علي هذه المذاهب ، ولكن المرجح أنه قد بلغته هـذه الأراء من خلال المجلات الثقافية حين كان فى مصر كالمقتطف التي سبق أن أشرنـا إليها ، أومن خلال اتصالاته الفكرية فى أمريكا .

**والشاعر يعود فيرى الله مبدع الجمال ومعلن الحب " حسا وشعورا ":-**

**ثـــم لمـــا نظـــم الألـــوان فى الأرض زهـــــــــورا**

**ورأي أن يعلـــن الحـــب غنـــاء وحبـــــــــــــورا**

**فتمشـــــى فى حواشـــى الأرض ســـحرا وعطـــورا**

**وتهـــادى فى حواشـــى الأفـــق أطيافـــا ونـــــــــورا**

**عندما أوجد هذا كان " حســا وشعـــــــــــــــورا "**

ومن ناحية أخرى نراه يعـرض عـن الاعتقـاد بجـبروت الله وقهـره مكتفيـا بجانب الحب والفن والإبداع ، وفى محاولته تعظيم صورة الله فى نفسه يعود إلي خلع الصفات البشرية علي الصورة التي فى خياله عن الله :

**مـــــن أحـــــب الله جبـــــارا وفتاكـــــــا وقاهـــــــــــــــر**

**فأنـــــا أهـــــواه رســـــاما وفنانـــــا وســـــاحر**

**وأراه في النـــــدى، والزهروالشــــــهب الســــوافر**

**فـــإذا الأنجـــم غـــارت وانطـــوت كـــل الأزاهـــر**

**وتلاشـــى كـــل مـــا أنشـــا وســـوى مـــن مناظـــــر**

**لاح لي فى حســــنه الأكمـــــل فى ديـــــوان شـــــاعر**

وقد ردد أبو ماضي فكرة أن الله" **شاعر**" ؛ تبعا لتأثره الرومانسى ؛ ولكننا نلحظ أيضا تأثره بالرؤية المسيحية التي تقوم علي تحول الذات الالهية بحسب الأقانيم الثلاثة ؛غير أنه استبدل بالأب والابن والروح القدس" **أقانيم أخرى**" هى الفكر والحس والشعور.

والقول بأن الله فكر،أو حس، أو شعور قول باطل، ونوع من أنواع الخداع اللغوى ؛ فالفكر لا يتصور تصورا مستقلا بدون ذات مفكرة وكذا الحس والشعور، فهى أسماء معأن لا تتصور بدون ذوات تتصف بها .

ونظرة أبى ماضي إلي الدين تقوم علي إنكار النبوات ، وتشويه الديانات القائمة وإدعاء أنها جميعا من صنع الإنسان ، ويفضل عليها دين الطبيعة التي تسوى فى وجودها وعطائها بين الكائنات جميعا ، ولا تفرق بين خير وشر ، ويعلن نفوره من "**رجال الدين**" وفى مقدمتهم الرهبان والقساوسة .

ففى قصيدة " **الطلاسم** " ينكر علي الرهبان نسكهم وعزلتهم ، ويرى أنهم آسنو العقول، وأن قلوبهم بليت فما فيها إلاَّ رفات المني .

ويسوق الحجج فى إنكار مذهبهم حجة تلو حجة، ويقرر فى ختام الدورة التي خصصها لهم فى" **الطلاسم**"أن جرمهم لن يعفو عنه الله؛ ملبسا تقريره ثوب الإستفهام الإنكارى :

**قيـــل لي : فى الـــدير قـــوم أدركـــوا سر الحيـــاة**

**غـير أنـى لم أجـد غـير عقـول آسنـــــــــات**

**وقلـوب بليـت فيهـا المنـي فهـى رفـــــــات**

**مـا أنـا أعمـى فهـل غـير أعمـــــــــــى ؟!**

**لســـــــــــــــــــت أدرى**

ويتعجب كيف يكون الذين حبسوا أنفسهم عن الحياة أدرى النـاس بـأسرار الحياة؟! اذ كيف تكون العيون المغطاة بالبراقع أدرى بنور الشمس من العيون التـي ليس بينها وبين الشمس حجاب؟! .

**قيــل : أدرى النــاس بــالأسرار ســكان الصــوامع**

**قلت : أن صح الذى قــالوا فـإن الــسر شائـــــع**

**عجبا كيـف تـرى الشـمس عيـون فى براقـــــع**

**والتـي لم تتبرقـع لا تراهـــــــــــــــــا ؟**

**لســـــــــــــــــــــــت أدرى**

**أن تك العزلة نسكا وتقى فالذئب راهـــــــب**

**وعرين الليث دير حبـه فـرض وواجـــــــب**

**ليت شعرى أيميـت النسـك أم يحيـى المواهـب؟!**

**كيف يمحو النسك إثما وهو آثـــــــــــــم**

**لســـــــــــــــــــــــت أدرى**

**ويصور الرهبان الناسكين فى صورة شاحبة يائسة لا حياة فيها :**

**قــد دخلــت الــدير اســتنطق فيــه الناســكينا**

**فــإذا القـــوم مـــن الحـــيرة مـــثلي باهتونــا**

**غلـــب اليـــأس علـــيهم فهـــم مستســـلمونا**

**وإذا بالبـــاب مكتـــوب عليـــــــــــــــه**

**لســـــــــــــــــــــــــــت أدرى**

**وينكر عليهم رفضهم متع الحياة، وعشق الوجوه الحسان،وحرمان الجسد من حقوقه الطبيعية :**

**كــم تمــارى أيهــا الناســك فى الحــق الصرــيح**

**لـــو أراد الله ألا نعشـــق الشـــئ المليــــــــح**

**كــان إذ ســواك بــلا قلـــــــــــــــــب**

**وروح**

**فالذى تفعل إثم قـال انـــــــــــــــــــى**

**لســـــــــــــــــــــــــــت أدرى**

وشـأن هـؤلاء الرهبـان شـان الفـارين الهـاربيين مـن الميـدان ففعلهـم عـار لا يمحى، وجرمهم ذنب لا يغفر .

**أيهــا الهــارب أن العــار فى هــذا الفـــــــرار**

**لا صــلاح فى الــذى تصــنع حتــى للقفـــــار**

**أنـــت جـــان أي جـــان قاتـــل فى غـــير نــــار**

**أفيرضى الله عن هـذا ويعفـــــــــــــو ؟**

**لســـــــــــــــــــــــــت أدرى**

ومثـل هـذا الانتقـاد لحـال الرهبـان والنسـاك نـراه انتقـادا صـحيحا، ودفاعا عن الحياة السليمة المستقيمة؛ ساقه الشاعر فى إطار التساؤلات . ولـو أن الشاعر وقف عند ذلك الحد الذى عرضه فى " **الطلاسم** " لكانت وجهته معقولـة ومقبولة من وجهة نظر الأمة التي تتلقى شعره ، ولكان مؤيدا من الذوق العام .

ولكنه لم يكتف بنقد حال الرهبان؛بل تمادى إلي انتقاد الأديان عامة زاعما أنهـا مبعث التفرقة ، ومصدر بث الأحقاد والكراهية بين الناس، وكان انتقاده موجها إلي الأديان فى ذاتها؛ لا إلي رجال الدين فحسب .

فهو يردد أن هذه الديانات مـن وضـع الإنسـان للإنسـان ، وأن اتخـاذ المـرء مذهباً، وأن جل شأنه يجعله غلا فى عنقه ، ويقيده كما تقيد الزجاجة الخمـر والخـل؛ ولكن لون الزجاجة لا يغير لون ما بها ، ولا يبـدل طبيعتـه قبيحـا كـان أم جمـيلاً ، دنيئاًكان أم نبيلاً ، ويقول إنه جرب اتباع عظات أهل الأديان ، ظانا أنه هـو الكـائن الاسمى ، وأن شرعته التـي اتبعهـا هـى الفضلي،وحسـب أنـه بتدينـه ينـال الـدنيا والأخرى ، ولكن تلك الديانات علمته حب النفس، وملأته بالغرور؛ فكان اذا قدم إحسانا إلي أحد من البشر؛ شعر بأن لـه فضـلا عـلي مـن أعطـاه ، وينتظـر شـكره ، ويزهى علي الجائع الذى أطعمه لقمة كأنما خلق الحقل والحب الذى فيه :

| | |
|---|---|
| **وسـائلة : أي المـذاهب مذهبـــــى** | **وهل كان فرعا فى الديانات أم أصلا** |
| **وأي نبـى مرسـل أقتـدى بـــــــه** | **وأي كتاب منزل عنـدى الأغلـــى** |
| **فقلـت لهـا : لا يقتنـى المـرء مـذهبا** | **وأن جل ، إلا كـان فى عنقـه غـــلا** |
| **فـما مـذهب الإنسـان إلا زجاجـــة** | **تقيـــده خمـــرا ، وتضـــبطه خـــــلا** |
| **فإن كان قبحـا لم يبدلـه لونهـــــا** | **جمالا ، ولا نـبلا اذا لم يكـن نبـــلا** |
| **أنــا آدمــى كــان يحســب أنــــــه** | **هــو الكــائن الاســمى وشرعتــه الفضــلى** |

**وأن له الدنيا التي هـو بعضهـــــا وأن لـه الأخـرى إذا صـام أو صـلى؟!**

**أمن عـلي الصـادى اذا مـا سقيتـــه وألزمه شكري ، ولست أنـا الـوبلا**

**وأزهى اذا أطعمـت جوعـان لقمـة كأنى خلقت الحب فى الحقل ، والحقلا**

ونلحظ أن ألفاظ الشاعر مع سهولتها؛ تكاد تخلو من المجاز الشـعرى سـوى تشبيه المذهب بالغل فى العنق، والزجاجة التي تحتوى الخمر أو الخـل . وذلـك لأنـه هنا متجه إلي الإقنـاع بـالفكرة والمعتقـد ، أكثـر مـن اتجاهـه إلي الابـداع الشـعرى، وتصوير العواطف والوجدان .

ويزعم الشاعر أنه وجد أهل الأديان الذين تتلمذ عليهم ومـا تتلمـذ فى رأيـه إلاَّ علي الإنسان – متناقضين؛ يفعلون غير ما يقولون، فيظلمون ويغـدرون ، وهـم يدعون إلي العدل والوفاء .

وأن أهل الأديان علموه التفرقة الطائفية، وغرسوا فى نفسه الشعور بالذنب ، والبغض لمن يخالفونه المذهب ، فأصبح يرى فى الناس عبيدا وسـادة، وأنهـم قلبـوا موازينه التي استمدها من وحى الطبيعة، فغدا يرى الشر خيرا، والخير شرا؛ فهجـر أديان الإنسان ولجأ إلي الطبيعة ولنلاحظ أنه يجعل الموازنة بين دين الطبيعـة، وديـن الإنسان؛ دون اعتبار للوحى السماوى وحين لجأ إلي دين الطبيعة وجد دينها سماحة وعطاء شاملاً ، فالنجم ينير فى الدجى لكل عين لا فرق بين صحيح وأرمد ، والنهر يبذل ماءه لا ينتظر شكرا، ولا يدعى فضلا ، والطل يزين الورد والعوسج ، والمطـر يسقى الوعر والسهل ، والأرض تغذى أجمل النبات واخسه ، فاتخذ منهج الطبيعـة منهجا – ودينها دينا ، وصار نبيه كل ما يطلق العقل ، وكتابه الكون لا صحف تتلي:

**تتلمـذت للإنسـان في الـدّهر حقبـة فلّقننـــي غيّـــا، وعلّمنـــي جهـــلا**

**نهـاني عــن قتـل النّفـوس وعنـدما رأي غــرّة منّــي تعلّــم بي القــتلا!**

وذّم إلّي الــــرقّ ثـــم اســـترقّني وصـوّر ظلـما فيـه تمجيـده عـدلا
وكاد يرينـي الإثـم في كـلّ مـا أرى وكـلّ نظـام غـير مـا سـنّ مخـتلا
فصار الورى عنـدي: عـدوّا وصـاحبا وأنفسهم صـنفين :عليـاء أو سـفلى
وصرت أرى بغضا ، وصرت أريهوى، وصرت أرى عبدا ، وصرت أرى مولى
ويـــا ربّ شرّ خلتـــه الخـــير كلّـــه ويـا ربّ خـير خلتـه نكبـة جـلّى
إلي أن رأيت النجم يطلع في الـدجى لذي مقلة حسرى وذي مقلة جـذلي
وشاهدت كيـف النهـر يبـذل مـاءه فلا يبتغي شـكرا ولا يـدّعي فضـلا
وكيف يزين الطـلّ وردا وعوسـجا وكيف يروّي العارض الوعر والسهلا
وكيــف تغــذّي الأرض الأم نبتهــا وأقبحـه شـكلا كأحسـنه شـكلا
فأصـــبح رأيـــي في الحيـــاة كرأيهـــا وأصـبحت لي ديـن سـوى مـذهبي قـبلا
وصار نبيـيّ كـلّ مـا يطلـق العقـلا وصار كتـابي الكـون لا صـحف تـتلى

**يقـول الـدكتور إحسـان عبـاس والـدكتور محمـد يوسـف نجـم تعليقـا علي الشطر الأول من هذا البيت الأخير** :

" ويجـب ألاَّ نصـدق حرفيـة قـول أبـى مـاضي " :" وصـار نبيـى كـل ما يطق العقلا " فنظن أنه اتجه إلي الطبيعة فى عهد سيطرة العقل . فـإن هـذا الاتجـاه أشبه شئ " بالجرى وراء الشعور، والانطلاق الشعورى . وقد كاد أبو ماضي يصرح بأنه وجد الحقيقة فى الطبيعة ، ووجد الحياة المثالية فى أن يعيش حسب الطبيعة (1).

---
1-الشعر العربي فى المهجر " أمريكا الشمالية " ص 78.

وأرى أن هذه العبارة نابية فى السياق، ولا تلائم حركة أفكاره التي تتجـه إلي رفض القيود ، فإن العقل فى ذاته قيد؛ ولو أطلق إلي أبعد مدى، ولو أنه أراد إطلاق العقل، فإن الدين الاسلامى يطلق العقل دون قيـد، ويـنظم الطبيعـة، ولا يتركهـا لحركتها البدائية حتى يتحقق نفعها، ويتقى ضررها .

وقد أعلن الشاعر أن دينه هو دين الطبيعة، أو كما يسميه دين الـروض الـذى يعبق بشذاه لحارسه ولسارقه، ويأوى إليه الطير والنمل، أو دين الغدير الذى يسقى الطير والإبل، ويغتسل فيه الذئب والإنسـان أو ديـن الشـهب التـي ترسـل نورهـا للعاشق والقالي؛ فلا تستتر عن مسافر ولا تسـتبين لضـال ، أو ديـن الغيـث الـذى لا يفرق بين شوك وأقاح.

**فديني كدين الرّوض يعبـق بالشـذى ... ولو لم يكن فيه سـوى اللـص منسـلا**
**فليســت تخــوم المالكيــه تخومــه ... وأن لــه أن يعلمــوا غــيرهم أهــلا**
**فكم هـشّ للأنسـام والنـور والنـدى ... وآوى إليــه الطــير والــذرّ والــنملا**
**وكــم بعثتــه للحيــاة مــن الــبلي ... قريحــة فنّــان فــأورق واخضــلاّ**
**وأصـبح يجـلي((طيفـه)) في قصـيدة ... وفي رقعة أو لوحـة ((وهـو)) لايجـلى**
**ودينـي الـذي اختـار الغـدير لنفسـه ... ويـا حسـن مـا اختـار الغـدير ومـا أحـلى!**
**تجـيء إليـه الطـير عطشـى فترتـوي ... وأن وردتـه الإبـل لم يزجـر الإبـلا**
**ويغتســل الــذئب الأثــيم بمائــه ... فلا إثم ذا يمحي ، ولا طهـر ذا يـبلى!**
**وديني كـدين الشّـهب تبـدو لعاشـق ... وقـال، وفيهـا مـا يحـبّ ومـا يقـلى**
**فـما اسـتترت كـيما يضـلّ مسـافر ... ولا بزغت كـي يسـتنير الـذي ضـلاّ**
**ولـيس لهـا أن تمنـع النـاس ضـوءها ... ولــو فتلــوا منــه لتكبيلهــا حــبلا**

ودينيِ كـدين الغيـث أن سـحّ لم يبـل | أروى الأقاحي أم سقى الشوك والـدّفلى
فلــم يتخّــير في الفضــاء مســيره، | ولم ينهمــر جــودا ، ولم ينحــبس بخــلا
وأن لم أكن كالروض والـنجم والحيـا | فحسبي اعتقادي أن خطّتها المثلي (١)

ونحن نستنتج من هذه القصيدة التي وضع فيهـا الشـاعر كثـيرًا مـن قواعـد منهجه وسماها " **كتابى** " **نتائج عديدة** :

فمن الواضح أنه ينبذ الأديان ويستبدل بهـا الطبيعـة "؛التـي رآهـا فى شـذى الرياض، وماء الغيث والغدير، وضياء النجم، وقد كنا نحسب أن نلتمس التأويل؛ فنقول أن الشاعر لا ينبـذ الـديانات فى أصـلها، وإنـما ينبـذ " **رجـال الـدين** " مـن القساوسة الذين بدلوا خيرها شرا ، وحرفوها عن مواضعها، ولكنا وجـدناه يلجـأ إلي الطبيعة، ولا يرجع إلي الدين فى أصله؛ فمن انتقد رجـال الـدين فـإنما ينتقـدهم لمخالفتهم الوحى الذى يذودون عنه ، والكتاب الذى يؤمنون به، ولا ينقدهم لأنهم خالفوا منهج الطبيعة.

**أما قوله**: وصار نبيى كل ما يطلق العقلا، فقد رأينا وجهـة نظـر النقـاد فيـه، ورأينا أنه قول ناشز فى موضعه؛ لأن اللجوء إلي الطبيعـة والانـدماج بهـا ومحاكاتهـا اتجاه رومانتيكى لا يقبل الإلتزام بمنهج العقل وقوانينه .هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن اطلاق العقل يقتضى التقيد بقيوده ، ويقتضى ضـبط الطبيعـة المنسـابة فى نظام وقوانين؛ ونتيجة هذا التمييزبين الخير والشرـ ، والمحسـن والمسـئ ، والجميـل والقبيح ، ومواجهة الطبيعة بما يعدلها، وما ينظمها .

والطبيعة التي يدعو الشاعر إلي دينها تختلف وتتفـاوت، وقـد التفـت إلي مـا فى الطبيعة من وداعـة، ونسـى مـا فيهـا مـن ثـورة وعنـف، ففـى الطبيعـة بـراكين وعواصف، وفى الطبيعة اعتداء القوى علي الضعيف،. وفى الطبيعة تنازع البقاء .

1- الخمائل ص 79 إلي 86.

والتشريع الذى وضعه الدين للبشر يسمو بهم علي **"الطبيعة"** ؛يسايرها ثم يسمو بها،أو يسمو عليها فيمنح الناس خيرها، ويقيهم شرها إذ يأمرهم بالعدل والرحمة والجود، وينهاهم عن الظلم والقسوة والشح .

وقد عنيت بمناقشة الشاعر لنكشف مقصده الحقيقى، ومرماه البعيد؛ فلقد ساعدت صنعة الشاعر ، وقدرته الفنية علي تمويه مقصده ، فخلط بين نقده للدين، ونقده لرجال الدين، وألقى أودس فى طيات شعره ما يزعزع الإيمان بالنبوات والوحى السماوى،**فيقول** :

**" تتلمذت للإنسان "** فيوهم أن الدين السماوى وهو لا يخص دينا بعينه فى ظاهر اللفظ من وضع الإنسان.

**ويقول**:كان يحسب أن له الأخرى إذا صام أو صلي، أي قبل أن يدين بدين الطبيعة؛ فيوهم بأن الصيام والصلاة من أجل الأخرى حسبان باطل ، **ويقول** :

" لا يقتنى المرء مذهبا وأن جل إلآكان فى عنقه غلا ، فيوهم بأن الدين معارض للحرية، وكبل يحد من إرادة الإنسان . **ويقول** :

**" كتابى الكون لا صحف تتلي"** فيوهم بأن كتب الشريعة معارضة للايات الكونية، والدلائل الطبيعية .

وقد ردد أبو ماضي هذا النقد فى قصيدة أخرى عنوانها " إذا " وفيها ينكر ما وضعته الديانات من قيود تمسك بها المجتمع ، فهو يحاسب الخارج عليها ، ويرى أن هذه الديانات تتحكم فى حرية الإنسان ، حتى فى حرية حقه فى أن يفارق الحياة ، ويبخع نفسه، ويعلن سخريته من هذه القيود التي تتحكم فى حياة الإنسان وموته .

فيقول :

إِذا جَدَّفتَ جوزيتَ عَلي التَجديفِ بِالنـــــــــارِ
وَأن أَحبَبتَ عيِّرتَ مِـنَ الجـارَة وَالجــــــــارِ
وَأن قـامَرتَ أو راهَنــتَ في النـادي أو الــــدارِ
فَأَنتَ الرَجُلُ الآثِمُ عِنـدَ الناس وَالبــــــــاري
وَأن تَسكَر لِكَـي تَنسى هُموماً ذاتِ أَوقــــــارِ
خَسِرتَ الدين وَالـدُنيا وَلَمَ تَـربَح سِـوى العــــارِ
وَأن قُلـتَ إِذَن فَالعَيــــــــــشُ أَوزارٌ بِـأَوزارِ
وَأن المَــوتَ أَشــهى لي إِذا لَمَ أَقـــضِ أَوطــاري
وَأَسرَعـتَ إِلي السَـيفِ أو السُــــــمِّ أو النـارِ
لِكَـي تَخـرُجَ مِـنَ دُنيـا ذَوُوهـا غَـيرُ أَحـــــرارِ
فَهَـــذا المُنكَــرُ الأَعظَــمُ في سِر وَإِضمـــــارِ
إِذَن فَـاِحي وَمُــت كَالنـاسِ عَبـداً غَـيرَ مُختـارِ (1)

وواضح ما فى القصيدة من سخرية ساخطة علي المواضعات الاجتماعيـةالتي يمثل الدين محورها ، وواضح أيضا أن سخريته هنالا تنصب علي الدين نفسه أكثـر مما تنصب علي رجاله، أذن ما الذى يريده الشاعر ؟

1- الخمائل ص 184.

**إنه يريد ألا تكون هناك قيود ؟ !!**

لا تشريع ، لا قيم يحاسب علي أساسها المخطئ ويثاب المصيب. وهذا هو دين " **الغدير** " الذى اختاره لنفسه دون أديان الأنبياء !!

فأي دين يقصده الشاعر من بين الديانات.إليهودية أم المسيحية أم الإسلام أم يقصدها جميعا؟

إننا نلاحظ أن الشاعر يستنكر ما فى الدين من ثواب وعقاب ، ويستنكر أشد ما يستنكر قول الدين بأن الله أعد جهنم للعاصين ، ونلاحظ أنه يوازن بين هذه العقيدة " **عقيدة الثواب والعقاب** " وعقيدة " **المحبة** " فى قصيدته " **كن بلسما** " التي ألقاها فى المأدبة التي أقامتها الطائفة الأرثوذكسية لتكريم المطرأن ثيودوسيدس أبو رجيلي، لدى زيارته نيويورك .**فيقول له** :

**أن كنت قد أخطاك سربال الغنى ... عاش ابن مريم ليس يملك درهما**
**وأحب حتى قد أحب هلاكه ... وأعان حتى من أساء وأجرما**
**نام الرعاة عن الخراف ولم تنم ... فإليك نشكو الهاجعين النوما**
**عبدوا الاله لمغنم يرجونه ... وعبدت ربك لست تطلب مغنما**
**كم روعوا بجهنم أرواحنا ... فتألمت من قبل أن تتألما**
**زعموا الإله أعدها لعذابنا ... حاشا ، وربك رحمة ، أن يظلما**
**ما كان من أمر الورى أن يرحموا ... أعداءهم إلا أرق وأرحما**
**ليست جهنم غير فكرة تاجر ... الله لم يخلق لنا إلا السما** (1)

---

1- الخمائل ص 87.

ولسنا بحاجة إلي أن نطيل التخمين لنعرف أي دين هذا الذى يقصده بنقده، فبحسب معتقده نجد أنه وازن بين ديـن " **المحبـة** " **وديـن** " **الثـواب والعقـاب** " ، ونسب دين المحبة إلي ابن مريم الذى أحـب حتـى أعـداءه فكيـف يـأمر الله بحـب الأعداء ورحمتهم ثم يعاقب العاصين ؟!

فأولئك الذين يعبدون الله رغبا ورهبا ، وينتظرون منه المغنم وحسن الجـزاء، ويخشون عذابه ، ويفزعون من جهنم التي أعدها للعصاة؛إنما يتبعون فكرة " **تاجر** " وهكذا كان غمز الشاعر للاسلام .

وقد سبق أن رأينا ترديد أن جهنم " **فكرة تاجر** " عند جبران.

وفى قصيدة أخرى يرفع أبو ماضي " **شعار المحبة** " فى مواجهة الاعتقـاد بـأن فى جهنم نارا وزمهريرا، فترد هذه الفكرة خاطرا شعريا مغلفا بالحديث عـن أنفـس العشاق ، فجهنم هى أن يخلو القلب من " **المحبة** ".

**بـــالأمس بـــادرنى صـــديق حـــائر يســـتفهم**

**أجهـــنم نـــار ؟ كـــما زعـــم الهـــداة وعلمـــوا ؟**

**أم زمهريـــر قـــارس قـــاس وكـــون مظلـــم ؟**

**فأجبتـــه ، مـــا الزمهريـــر ومـــا اللظـــى المتضرـــم**

**بجهـــــنم ! .. لكـــــنما أن لا تحـــــب جهـــــنم**

**يـــا صـــاحبى أن الخـــواء هـــو العـــذاب الأعظـــم**

**القلـــــب إلا بالمحبـــــة منـــــزل مـــــتردم**

**هـــى للجراحـــة مـــرهم ، هـــى للســـعادة ســـلم**

**هـــى فى النجـــوم تـــألق ، هـــى فى الحيـــاة تـــرنم**

هى أنفس العشاق فى غسق الدجى تتبسم (1)

وبدايات الشاعر تدل إذا رجعنا إليها علي أنه كان يحمل ضغناً شديداً علي الإسلام الممثل في " **الخلافة الإسلامية أو الدولة التركية** "آنذاك، ولم يستطعأن يخفي شماتته عندما دخل " **اللورد النبي** " القدس، فقال يمجده، ويعلن ما في صدره من أحقاد علي الترك؛ بل علي الإسلام والمسلمين في قصيدة عنوانها "**إلي الفاتح** " :

**"النبى" لو طبعنا الشمس يوماً  وقلدناكها سيفا صفيحا**

**ورصعناه بالشهب الدرارى  لما زدناك فخراً أو مديحا**

******

**غضبت علي الهلال فخر ذعراً  ولحت له فحاذر أن يلوحا**

**عصفت بهم فأمسى كل حصن  لخيل النصر ميداناً فسيحا**

******

**فكان الجند كلهم يشوعا  وكانت كل سوريا أريحا**

**فإن يكن المسيح فدى البرايا  فإنك أنت أنقذت المسيحا (2)**

**وقد علق الأستاذ زهير ميرزا في هامش الديوان علي هذه القصيدة كأنما يعتذر عن الشاعر قائلا:** " يبدو أن هذه القصيدة قد قإلها الشاعروهو في أوج غمرة الفرح للخلاص من نير الأتراك دون أن يحسب للمستقبل حساباً (3).

وهذه المشاعر ليست عارضة عند أبي ماضي وإنما هى تمثل محوراً وجدانياً لا يمكن إزالته من ضمير الشاعر ، وتعصباً عنيفاً استتر بثياب التسامح، والمحبة،

---

1- تبر وتراب – دار العلم للملايين ص 126.
2-ديوان أبي ماضي ص 241.
3- الصدر السابق ص 241 .

والحرية فيما بعد ، وظهرت آثاره في هذه الدعوة إلي التحلل من الشرائع ، ومن قيود الدين ، ومن الخوف من حساب الله ،وعقاب يوم الدين .

## البعث والخلود:

ويؤكد ما نراه، موقفه الذى لا يحتمل التأويل من " **البعث والخلود** " فهو ينكر وجود حياة بعد الموت كل الإنكار ، ومذهبه أن النفس والجسم وحدة واحدة فلم يفرق بينهما كما اعتقد "**جبران**"، ولم ير للنفس وجوداً مستقلاً، ولم يثر بينها وبين الجسد صراعاً في شعره، ولم يجد فرصة للتفريق بينهما في مواجهة العدم والخلود".(1)

وقد ترجح موقفه بين الإنكار التام للبعث، والشك؛ ولكنه في شكه أدنى إلي الإنكار منه إلي التسليم.

ففي " **قصيدة الخلود**" وهى من قصائد ديوانه الثانى " ديوان أبي ماضى" يعلن في " **أسلوب تقريرى**" مباشر، وطريقة جدلية ذهنية لا خيال فيها أن فكرة " **الخلود**" بعد الموت غلط، وأنها وهم أوجده " **حب البقاء**" والأمانى ، فلا فرق بين روح وجسم ، إنما الجسم شمعة والنور أثرها فإذا ذابت الشمعة ذاب معها النور، والأفياء تزول بزوال الغصون ، ولو كانت الأرواح باقية كما يزعم المتدينون، ما حزنا لفقد من يموت، ولو كانت مستقلة الوجود لرأيناها كما نرى الأجسام ، ولئن كان هناك نشر بعد الموت جاز أن يكون بعد النشر طى، وهكذا يمضي في أدلته مسفها عقيدة المعتقدين في البعث؛ فيناديهم بأبناء الثرى، ونسل القرود (**مدعيا**) أنه علي علم بمذهب "**دارون** " ،قائلاً لهم إنكم تتمسكون بالترهات، ففي صحوكم جامدون ، وفي نومكم تحلمون بالمعجزات، تنتظرون ظهور الدابة، ومجيء الله في هيئة كائن من ماء وطين فيراه كل إنسان :

**غَلِطَ القائِلُ إِنـآ خَالِدُونْ        كُلَّنَا بَعْدَ الرَّدَى هَيُّ بْنُ بَيّ**

---

1- د . أنس داود " التجديد في شعر المهجر ص 231 .

لَوْ عَرَفْنَا مَـا الَّـذِي قَبْـلَ الْوُجُــودْ ‏ لَعَرَفْنَا مَا الَّـذِي بَعْـــــدَ الْفَنَـــاءْ
نَحْـنُ لَوْ كُنَّا "كَـمَا قَالُـــوا" نَعُـودْ ‏ لمْ تَخَـــفْ أَنْفُسُـنَا رَيْــبَ الْقَضَــاءْ
إنـما الْقَــوْلُ بِأَنَّـا لِلْخُــــــــلُودْ ‏ فِكْـــــرَةٌ أَوْجَدهَـــا حُـــبُّ الْبَقـاءْ
نَعْشُـــــقُ الْبُقْـــيَا لأَنَّـا زَائِلُـــونْ ‏ وَالأَمَانِي حَــــــــيَّةٌ فِي كُــلِّ حَيّ
زَعَمُـــوا الأَرْوَاحَ تَبقـــى سَــــرْمَدَا ‏ خَــدَعُونَا، نَحْـنُ وَالشَّـمْعُ سَـوَاءْ
يَلْبَــــثُ النُّــــورُ بِهَـا مُتَّقِــــــدَا ‏ فَــإِذَا مَــا احْتَرَقَــتْ بَــادَ الضِّيَـــاءْ
أَيْـنَ كـان النُّـــورُ؟ أَنَّـى وُجِـدَا؟ ‏ كَيْـــفَ وَلِي عِنْـــدَمَا زَالَ الْبِنَـــاءْ؟

شَمْعَتِي فِيهَـــا لِطُـــــلاَّبِ الْيَقِيـــنْ
آيَةٌ تَدْفَعُ عَنْهُـــــــــمْ كُــــلَّ غَـــيّ

لَيْسَــتْ الـرُّوحُ سـوى هَـذا الجَسَـدْ ‏ مَعَــهُ جَــاءَتْ وَمَعَــهُ تَرْجِـــــعُ
لَمْ تكـنْ مَوْجُــودَةً قبـل وُجِــدْ ‏ وَلِـذَا حِيـــنَ يَمْـضِي تَتْبَـــــعُ
فَمِـنَ الـزُّورِ الُمـــوَشَّى وَالْفَنَـــدْ ‏ قَوْلُنَـــا:الأَرْوَاحُ لَيْسَـــتْ تُصــرْعُ

تَلْبَثُ الأَفْيَـــــاءُ مَا دَامَ الْغُصُـــونُ
فَإِذَا مَا ذَهَبَـــــتْ لَمْ يَبْــقَ فَـــيّ

لــوْ تَكُــونُ الـرُّوحُ مَـا لا يَضْـمَحِلْ ‏ مَـا جَزِعْنَـا كُلَّـمَا جِسْــمٌ هَمَــــدْ
لَـوْ تَكُـونُ الـرُّوحُ جِسْـــماً مُسْـتَقِلْ ‏ لَرَآهَــا مَــنْ يَــرَى هَــذا الجُسَــــدْ
كُـلَّ مَـا فِي الأرض مِـنْ عَـيْنٍ وَظِـلْ ‏ سَــوفَ يَنْحَـلَّ كَـمَا انْحَـلَّ الزَّبَـدْ

وَلَئِنْ صَــــــــحَّ بِأَنَّا مُنْشَـــرُونْ

جَازَ أن يَعْقُـــــبَ ذَاكَ النَّشْرَ طَيّ

لَيْـتَ مَـنْ قَـالَ بأَنَّـا كَالزُّهُـورْ      خَبَّـرُونَا أَيْـنَ تَمْضِي الرَّائِحَـةْ

أَتُـرَى تَبْقَـى كَأَلْحَـان الدُّهُـورْ      أَمْ تَلاشَـى قبـلَ صَـوْتْ النَّائِحَـةْ

لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ خُـلْدٍ للبُـذُورْ      بَعْـدَ أن تُلْقَـى بِنَـارٍ لافِحَـةْ

قُلْ لِمَنْ يَخْبِـطُ فِي لَيْلِ الظُّنُـونْ

لَيْسَ بَعْدَ المُوْتِ للظَّـامِئِ رِيّ

مِـثْلَمَا يَـذْهَبُ لَـوْنُ الْوَرَقَـةْ      عِنْـدَمَا تَيْـبَسُ فِي الأرض الأَصُـولْ

مِثْلَمَا يُفْقَـدُ لَـوْنُ الْحَدَقَـةْ      حِينَ أَقْضِـي، هَكَـذا نَفْسِـي تَـزُولْ

كَـتَلاشِي الشَّـمْعَةِ الْمُحْتَـرِقَـةْ      تَتَلاشَى بَيْنَ ضِحْـكٍ وَعَـوِيلْ

أَنَا بَعْدَ المُـوْتِ شَيْئاً لا أَكُونْ

حَيْثُ أَنِّي لَمْ أَكُـنْ مِنْ قَبْـلُ شَيّ

يـهِ أَبْنَـاءَ الثَّـرَى نَسْـلَ الْقُـرُودْ      عَلِّلُـوا أَنْفُسَـكُمْ بِالتُّرَّهَـاتْ

إِلْبَسُوا فِي صَحْوِكِمْ ثَـوْبَ الجُمُـودْ      وَاحْلُمُوا فِي نَوْمِـكُمْ بَالمُعْجِزَاتْ

فَسَـيَأْتِي زَمَـنٌ غَـيْرَ بَعِيـدْ      تَتَهَـادَى بَيْنَـكُمْ فِيـهِ أَيَـاةْ

وَيَحِلَّ اللهُ فِي مَـاءٍ وَطِيـنْ

فَيَرَاهُ الشَّيْخُ والشَّـابُّ الأَحَيّ (١)

والموشحة تقرر أفكاره كما نرى تقريراً لا يحتاج إلي جهد لاستنباطه؛ ولذلك أثبتها جميعها لوضوح انكار البعث فيها، ووضوح سخريته الحانقة علي

---

[1]- ديوان إيليا أبو ماضي الجامع المرتب علي حروف الهجاء – دار العودة بيروت شاعر المهجر الأكبر ص 845 .

المؤمنين به . ولقد حسب الإستاذ زهير ميرزا (1) أن الإيمان بالخلود قد عرض لـه في لمحة من اللمحات مستشهداً، بقوله في احدى رباعياته:

**هات اسقني الخمر جهراً**

**ولا تبال بما يكون**

**أن كان خيراً أو كان شراً**

**إنا إلي الله راجعون**

ظانا أن قوله " **إنا إلي الله راجعون** " دليل علي إيمان بالخلود، وأرى عبارته هذه لا يقصدها بمعناها المنطوق؛ بدليل أنها جاءت ختاماً لمقدمة لا تنبئ عن مذهب يناسب الاعتقاد بالعودة إلي الله ، فهو مقدمة " **نواسية** " يطلب فيها من نديمه أن يسقيه الخمر جهراً،ولا يخشى شيئاً، ولا يبالي بعقاب أو بحساب،أو بملام، فسواء كان ما يفعله خيراً أم شراً فلا خطر هناك؛ فعبارته إذن لا يكون وضعها في المقام الا علي سبيل السخرية؛ وإظهار عدم المبالاة .

وأن الشاعر ليسهل عليه أن ينزل عن الآخره وثوابها في مقابل عودته إلي الوطن، **فيقول** :

**رب هبني لبلادى عودة ولـيكن للغير في الآخرى ثوابي** (2)

وقد سبق (3) أن رأيناه ينكر جهنم إنكاراً واضحاً، ويقول :أن الله لم يخلق لنا إلا السما ، فإذا ذهبنا نسأله عن هذا السماء . ما هى ؟ رأينا اجابات مختلفة في بعضها ما يحمل الانكار.

1- المصدر السابق ص 90 .
2- ديوان إيليا أبى ماضي شاعر المهجر الأكبر ص 763 .
3- أنظر ص 309 .

فتـارة يتنصـل مـن الجـواب القـاطع ويقـول أنهـا تختلـف مـن رؤيـة إلي أخرى؛ فكل يتصورها حسب حاجته؛أي أنها أيضاً من ابتداع الوهم الإنسـانى، فيقول في قصيدته " **السماء**" .

**لاتسـلنى عـن السـماء فـما عنـدي إلا النعـوت والاسـماء**

**هى شئ وبعض شئ وحينـا كـل شـئ ، وعنـد قـوم هبـاء**

فهى عند الراعى مروج فسيحة ، وعنـد الأم الـثكلي وضـع لا ينـال أبناءهـا المفقودين فيه الضيم ، وعند الفقير أرض وراء الأفق فيها ما يشتهى الفقراء ، وهـى عند المظلوم أرض شاع فيها الإخاء، وعند الخليع أرض يجد فيها ملذاته وأهواءه :

**كُلّ قلـبٍ لـه السّماء الـذي يهـوى وأن شـئتَ كـلّ قلـبٍ سـماءُ**

**صـور في نفوسـنا كائنـات ترتـديها الأفعـال والأشـياء**

**رُبَّ شَيءٍ كَالجَـوهَرِ الفَردِ فَذٍّ**
**عَدَّدَتهُ الأَغـراضُ وَالأَهواءُ**

**كـلّ مـا تقصـر المـدارك عنـه كـائن مـثلما الظنـون تشـاء** (1)

لا تتضمن هذه الأبيات إنكاراً صريحاً لعالم السماء – وهو التعبير الـذى آثـره للدلالة علي العالم الأخروى – وإنما هي ترد تصور هذا العالم السماوى إلي حـالات النفوس ورغبتها في تحقيق أمانيها وأهوائها .

غير أنا نراه تارة أخري ينكرها ويستبدل بها لقاء الأصدقاء .

**لا تعـدنى بالسـما يـا صـاحبى السـما عنـدى قـرب الأصـدقاء** (2)

1- الجداول ص 16 .
2- تبر وتراب ص 91 .

ويتفنن أبو ماضي في إقامة الأدلة علي إنكار العالم الأخروى ، ورفض فكرة البعث بعد الموت رفضاً قاطعا؛ حتى تتحول القصيدة عنده إلي نوع من الجدل ، ومن تقليب الفكرة علي احتمالاتها المتعددة، ومن الإلحاح في ضرب الأمثلة، وسرد الشواهد، نرى هذا واضحاً في قصيدة " **الإله الثرثار** "وهو يقصد به " **الإنسان** " الذى زعم نفسه إلها .

ومتى زعم الإنسان ذلك ؟ زعمه حين قال بأن ذاته خالدة بعد الموت مفضلاً نفسه علي سائر الكائنات؛ فهى لا تزعم مثل زعمه !! ويسوى دليلاً سبق أن سمعناه من " **العقاد** " في مرحلة انكاره للبعث (1) ، وهو أنه إذا كانت ذات المرء خالدة في الدنيا فليس هذا الأمر الذى يهواه ، وإذا كانت خالدة في الأخرى فلابد أن يكون شيئاً آخر، وأن يتبدل شخصه، وهذا هو الفناء الذى يخشاه ، ويؤكد أن كل شئ موجود في هذه الدنيا، ولا يخرج منها ، فكل ما أنحل إنما هو كائن بذراته فيها ، يتحول ، ولكنه لا يفنى؛ فالمرء جزء من الكون؛ كالثرى، والنبت، والحصى، والورود، والبعوض؛وهى كلها تتحول إلي ذرات ، وتبقي داخل الكون لتدخل هذه الذرات في كيانات أخرى؛ فهي تكون جزءاً من الثرى ، ومن النبات الذى نأكله ؛والماء الذي نشربه ، وهو بذلك لا يؤمن بوجود نفس منفصلة مستقلة؛ بل هو مادى النزعة كما هو واضح فيقول:

**زعم المرء أنما هو ربّ — كم يلوك الكلام هذا الإله**

**يلفظ البحر و هو ملح أجاج — لؤلؤا يبهر العيون سناه**

**ما ادّعى الدّرّ أنّه صورة البحر — و لا قال : إنّني إيّاه**

**لا ولا قال كلّ شيء إلي المحو — و ما خصّ بالخلود سواه**

---

1- أنظر ص 211 ، 212 .

أن تكـن للخلـود ذاتـك في الـــــد نيــا ، فــما ذا الأمــر الــذي تهــواه
و إذا صرت غــير شخصــك في الأ خــرى فهــذا الفنــا الــذي تخشــاه
في التراب الذي تـدوس عليـــــه ألــف دنيــا، و عــالم لا تـــــــراه
أنت جزء مـن الكيـان و فيــــــه كثــراه ، كنبتــه ، كحصــــــــاه
كالورود التـي تحـبّ شذاهــــــا و البعـــوض الـــذي تخـــاف أذاه
مــا لحــيّ بــالموت عنـه انفصـــــال أن دنيــاه هـــذه أخـــــــــراه (1)

وأسلوب القصيدة يقوم علي الطريقة الجدلية الساخرة ، نلحظ هذا في (**زعم**) التي يستهل بها الأبيات، وفي هذا الفصل البلاغى بـين الشـطرين في البيـت الأول، فالشطر الثانى تعليق مشحون بالسخرية عـلي مضـمون الشـطر الأول (**إلـه يلـوك الكلام كثيرا**) وفي رصد الاحتمالات معتمداً علي الاساليب الشزطية وجوابها، الذى جاء تارة في صيغ استفهام أنكارى تعجبي " أن تكن ... فماذا ... " ،وتارة في صيغة جملة اسمية مقررة ، غدا صرت ... فهذا الفنـاء ، وفي التوكيـد بتكـرار النفـي " مـا ادعى ... لا ولا قال وبالترادف " ألف دنيا وعالم .... " ، والتشـبيهات المتكـررة " كثراه كنبته، كحصاه، كالورود، والبعوض ، واستعمال أدوات التوكيد النحويـة ،أن دنياه هذه اخراه " وفي الإستدلال بضرب الأمثلة في الأبيات الثلاثة الأولي .

وهذا يؤكد مـا سـبق أن ذكرتـه مـن أن الشـاعر حـريص عـلي نشر فكـره، والترويج له أكثر من حرصه علي تصوير مشاعره تصـويراً فنيـاً مجـرداً عـن التحيـز لمذهب فكرى ، أن وجدانه هنا وجدأن " **خطيب** " أو مناظر يواجه خصـوماً لـه في الرأي ، فتحفزه الرغبة في الغلبة الجدلية علي الإسـتعانة بـأدوات الإقنـاع المختلفـة،

[1]- الجداول ص 65 .

لا وجدأن " **شاعر فني** " يتغنى منفرداً بمشاعره واشجانه ولا يعنيه وافقه الجمهور أم خالفه.

ويجب أن نلحظ أن التحول الذى يقصده أبو ماضي يختلف عن تحول التناسخ والتقمص الذى آمن به جبران،وآمن به ميخائيل نعيمة .

فالتناسخ يقتضى بقاء الذوات، واستقلال النفس بالوجود، وأن تلبست في كيأن آخر ، أما التحول الذى آمن به أبو ماضي فهو تحول مادى صرف تزول فيه الذات بعد أن ينحل الكيأن الجسدى إلي ذرات تتبدد ، وتزول عنها وحدتها، ولكنها تبقي داخل الكون ، وتدخل في كيانات أخرى فتكون جزءاً من الثرى، ومن الطعام والشراب ، ومن الحيوان ، والطير والأناسى ، فنحن إذ نأكل من نبات الأرض،ومن لحوم سوائمها؛إنما نأكل أجساد من سبقونا ، وهذه فكرة قديمة سبق أن رددها من أنكروا بعث الأجساد ، وصرح بها أبو العلاء **إذ يقول** :

**فلا يُمسِ فخّاراً من الفَخْرِ عائدٌ　　　إلي عنصر الفخّار، للنفعِ يَضرَبُ**

**لعلّ إناءً منه يُصنَعُ مرّةً،　　　فيأكلُ فيه من أراد ويشربُ**

**ويُحْملُ من أرضٍ لأخرى ومادرى؛　　　فواهاً له، بعدَ البِلى، يتغرّبُ!**

وقد رأينا أمثلة من ترديدها عند شعراء الديوان ، ولكن أبا ماضي كان أكثر الشعراء تشبثاً بها، وإلحاحاً علي ترديدها ، ويفصل هذه العقيدة تفصيلاً في قصيدته " **ريح الشمال**"، فيقول بعد أن ساءلها عن سبب عدوها :

**فجاوبني هاتف في الظلام:　　　غلطت فما هذه الشمال**

**ولكنها أنفس الغابرين　　　تجوس الديار ولا تنزل**

**فقلت: أينهض من في القبور　　　وفوقهم الترب والجندل؟**

**أجاب الصدى ضاحكا ساخرا　　　إلي كم تحار، وكم تسال؟**

وترفــع عينيــك نحــو الســماء وليســـت تبـــالي ولا تحفـــل؟
من البحر تصـعد هـذي الغيـوث وتهطـــل في البحـــر إذ تهطـــل
وفي الجـــوّ أن خفيـــت نســـمة وفي الأرض أن نضـــب المنهـــل
لقـــد كـــان في أمـــس مـــا قبلـــه وفي غــــــده يومـــــك المقبـــــل
عجبـــــت لبـــــاك عـــــلي أوّل وفي الآخــــــر النــــــائح الأول
هم في الشــراب الـذي نحتســي وهـــم في الطعـــام الـــذي نأكـــل
وهـــم في الهـــواء الـــذي حولنـــا وفي مـــــا نقـــــول ومـــــا نفعـــــل
فمن حسب العيش دنيـا وأخـرى فـــذا رجـــل عقلـــه أحـــول (١)

وقد جعل من هذه الفكـرة محـوراً لقصـيدة " **الناسـكة**" عـلي الـرغممن أن القارئ يدرك مدى التكلف والافتعال، وإجهاد الذهن في إلصاق الفكرة بالصـورة الخيالية التي ترسمها القصيدة .

والخيال الذي يمتد في القصيدة خيال كـلي يرسـم لوحـة تظهـر فيهـا سـنبلة القمح عند المغيب ، وهى في الحقل حانيـة الـرأس، فيراهـا الشـاعر كأنهـا سـاجدة للشمس – ولا يخفي ما في تخيل السجود للشمس من نزعـة وثنيـة– ويحسـبها تتلـو صلاة المساء – ولا يخفي أيضاً ما في تلاوة صلاة المساء من خيال مستمد من الـروح المسيحية – فمال عنها يلتقط الحب ويذريه ، ويلقيه في النار لتشـويه ويأكلـه . حتـى غابت الشمس، ولكن النارالتي يشوى فيها الحـب لا تـزال متقـدة يمـرح حولهـا ، ويأكل شواءها. وبينما هو في مرحه ولعبه، **إذ سمع صوتاً يفاجئه قائلا:**

**مـــا الحـــب يـــا هـــذا ولا الســـنبل مـــــا تأكـــل النـــار ومـــا تأكـــل**

[1]- الجداول ص 23 ، 24 .

وإنما أسـلافك الأصـفياء (1)

فيبحث عن مصدر الصوت فلا يجد إنساناً ولا طائراً ، فيأخذه العجب من هذا النطق الذى جاء بدون متكلم، ولكنه ينظر فيجد السنبلة التي كانت مائلة ، قد استوى عودها ورفعت هامتها إلي السماء ، فيترك للقارئ التصور بأن السنبلة هى التي نطقت بذلك القول .

**من الواضح أن الشاعر** ما ساق هذه الحكاية، ولا اصطنع أحداثها بما بث فيها من صور وخيال إلاَّ من أجل أن يضمنها هذا الهدف ذا الصبغة التعليمية الفلسفية ، وقد كان يمكن أن يصوغ هذا الهدف وحده، ولكنه أراد أن يلون فكرته بلون جذاب ، بل قدكان يمكن أن يصوغ هذا الخيال دون أن يضمنه هذا الهدف عينه؛ فكان يمكن أن تنطق السنبلة عن حقيقة أخرى: عن جمال الطبيعة، أوعن الليل المقبل والنهار المدبر، فالصلة بين الخيال والفكرة لم تكن من الحتم في شئ، فهو خيال مصنوع لم ينبعث من عاطفة ، وإنما هو نوع من تخدير القارئ، وتمويه الأمر عليه ليدس إليه فكرته في غمرة اشتغاله بتتبع الحدث القصصي .

وعلي الرغم من أننا لا نلاحظ أدواراً فكرية في موقف الشاعر من المسائل الغيبية، نجد أنه في مشكلة البعث قد ترجح بين الشك والإنكار وكان الإنكار هو الغالب عليه؛ إذ أنه بدأ به، وبه أنتهى، وقد رأينا نماذج الإنكار في ديوانه الثانى، ودواوينه الثلاثة التالية:

**[ الجداول ، والخمائل ، وتبر وتراب ]** .

أما الشك فنجد صوراً منه في الجداول ، نجده في قصيدة" **الدمعة الخرساء** " ، ونجده في قصيدة " **الطلاسم** " وقد سبق أن عرضنا لهما (2) ولحظنا أن الشاعر في " **الدمعة الخرساء** " بعد أن طمأن صاحبته ، وأزال عنها رهبة الموت بما صور لها من

[1]- الجداول ص 77.
[2]- أنظر ص 294 .

فكرة التجدد المادى في أشكال مختلفة ، عاد إلي نفسه ، وأخذ يقلب فكره في الأمر، فاعترته الشكوك التي أزإلها من نفس صاحبته، وسيطر عليه الفزع الذى كان مسيطراً عليها؛بل أشد مما كان؛لأنه شك في فكرة التجدد المادى نفسه ، واحتواه الشعور بالفناء ، وقد سبق أن ذكرنا الأبيات التي صورت ذلك في مناقشة موقفه من **" نشدان المجهول "** (1) .

وأما قصيدة **" الطلاسم "**؛ فالدور الرابع فيها يدور بين المقابر،وقد اشتمل علي تسعة مقاطع ليست إلا تساؤلات حائرة شاكة في البعث ؛ ولكننا نلحظ من سياق شكوكه أنه إلي الإنكار أدنى، فهو لا يسوق في شكه الأفكار التي ترجح البعث؛ بل يسوق التساؤلات التي توحى بعدمه ، ونظراً لما ألحظه ويلحظه النقاد(2) في القصيدة من ترديد ، وتناقض، واسهاب لا ضرورة له، واشتمالها علي خواطر مبعثرة لاتضمها وحدة متصلة نجتزئ ببعض المقاطع الدالة ، **وهى ثلاثة مقاطع يقول فيها :**

**أوراء القبر بعد الموت بعث ونشور ؟!**
**فحياة فخلود أم فناء ودثور**
**أكلام النّاس صدق أم كلام الناس زور**
**أصحيح أن بعض الناس يدري؟..**
**لست أدري!**
**أن أكن أبعث بعد البعث جثمانا وعقلا**
**أترى أبعث بعضا أم ترى أبعث كلاّ**
**أترى أبعث طفلا أم ترى أبعث كهلا**
**ثمّ هل أعرف بعد الموت ذاتي؟..**

---

1- أنظر ص 295 .

2- الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية) الصفحات 168 ، 169 ، 170 .

**لست أدري!**

**يا صديقي لا تعللني بتمزيق الستور**

**بعدما أقضي فعقلي لا يبالي بالقشور**

**أن أكن في حالة الإدراك لا أدري مصيري**

**كيف أدري بعدما افقد رشدي**

**لست أدري**

وهذه التساؤلات واضحة المعنى ، قليلة الخيال بل معدومته ؛ فالعبارات فيها مباشرة دون ظلال ، بل أننا نرى في " **الطلاسم**" تأثراً غير قليل برباعيات الخيام؛ فكما سأل أبو ماضي ما حوله من مظاهر الطبيعة **كان الخيام يسأل** :

**قد سألت الأرض عن سر الوجود    وسألت البحر والريح الشرود**

**والحيا والبرق يسري والرعود    والدراري والسماوات العلى**

**كلها صدت ولم تنصت لداع**

وكان الخيام يرد الكيان الإنسانى عقلا وجسماً إلي الأرض، وظل عاجزاً عن حل مشكلة الموت والبعث.

**من ضمير الأرض عقلي نجما    وأرتقي حتى تذرى الأنجما**

**كم وكم من مشكل حل وما    حل من عيش وموت مشكلا**

**دون ذاك الغيب مسدول القناع**

وكان يسخر أيضاً بأقوال الناس في هذه المشكلة ، ويراها جدلاً لا يوصل إلي حقيقة :

**ثم باب لم أجد مفتاحه    وكتاب لا أعي أصحاحه**

**وقصارى المرء صوت بحه    في " أنا أو " أنت نهذى جدلا "**

و " أنا " أو " أنت " رهن بضياع

وكما زعم **أبو ماضي** : أن فكرة تمزيق الستور بعد الموت قشور كان الخيام يزعم أن تلك الأفكار التي تتعلق بالأخرى ترهات :

**فـل لمـن يسعى وراء العاجله ولمـن يرجو نوال الأجله**

**همتما بالترهات الباطله ليس في المعدوم مأمول ولا**

**كائن داني الأذى فيه انتفاع** (1)

فالتأثر بالخيام فكراً وروحاً ظاهر في شعر أبي ماضي الذى يدور حول قضية البعث والخلود .

## القدر :

من الأقوال التي كثر ترديدهابين بعض نقاد الشعر الحديث أن أبا ماضي هو أنموذج الدعوة إلي التفاؤل ،وأنه أكثر الشعراء إجادة في تصويره (2) وأن صح هذا القول يؤدى بنا إلي القول بأن موقف الشاعر من القدر كان موقف الرضا والإيمان الناشئين عن تأمل وبصيرة ،وموازنة أنتهتإلي الإعجاب بحكمة الأقدار ، والتسليم لها تسليم رضا واستبشار . ولكنه قول لا يؤيده التحليل الشعرى .

صحيح أن لأبي ماضي قصائد عديدة يحث فيها علي النظر إلي جمال الحياة والصدوف عن آلامها ، وتجسيم شرورها في النفس ، وهو في هذه القصائد يتحدث غالباً بضمير المخاطب؛ فتارة يتمثل نفسه مخاطباً لصاحب مكتئب،أو صاحبة مكتئبة مثل " **سلمى** " في " **المساء** " أو يمزج بين ضمير الغائبة، وضمير المخاطبة ، كما في "**الدمعة الخرساء**" وهذا النهج يبعد بفنه عن حديث النفس، والهواجس الذاتية،

---

[1]- رباعيات عمر الخيام التي ترجمها نظما محمد السباعى – مطبعة الاستقامة بالقاهرة ص 58 ، 60 ، 64 65

[2]- من ذلك علي سبيل المثال د . شوقي ضيف في فصول الشعر ونقده ص 66 ص 293 الطبعة الثانية – دار المعارف ، د . نادرة جميل سراج في شعراء الرابطة القلمية ص 330 ، 334 . أما استاذنا الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى في قصة الأدب المهجرى فقد رآه حائراً بين التفاؤل والتشاؤم وكذلك الدكتور أنس داود في " التجديد في شعر المهجر " وهذه نظرة أدق وأدل علي حقيقة موقف الشاعر .

فتأتي عبارته أشبة بمقررات انتهى فيها إلي الرأي الفاصل، فهو يدعو إليها، وينشرها ويمنحها الآخرين، كأنما هى ليست محل شك في نفسه، أو التباس .

فقصائدة في هذا الموضوع تحمل دائما أسلوب التوجيه، كأنما يقف من القارئ موقف الواعظ أو الحكيم المرشد ، فتفقد روح التأمل الذاتي الذى يجوب في دخائل النفس، ويصور الهواجس والصراع الباطنى؛ فهي أشبه بأن تكون خلاصة تجاريب يلقيها إلقاء مدافعاً عنها بالأدلة، مؤكداً إياها بما يسوقه من شواهد وأمثال .

وهذه قصيدة "فلسفة الحياة "، وهى من أكثر قصائده التفاؤلية ذيوعاً وشهرة. تبدأ بهذا الخطاب ،أو النداء القريب :

**أيهذا الشاكى وما بك داء      كيف تغدو إذا غدوت عليلاً**

ثم يسوق الحكم العامة مثل :-

**أن شر الجناة في الأرض نفس      تتوقي قبل الرحيل الرحيلا**

ونرى القصيدة يكثر فيها فعل الأمر في أوائل الأبيات، مما يؤكد روح الوعظ،أو الدعوة مثل فتمتع بالصبح فاطلب اللهوتعلم حب الطبيعة – فتفيأ- وتوقع مطراً قل لقوم – كن هزاراً – كن غديراً – كن مع الفجر .

فهذا التفاؤل الذى يدعو إليه أبوماضي؛إنما هو تفاؤل ذو صيغة عمومية لا تحليلية، فهو لا يزيد علي أن يطلب من القارئ أن يغمض عينه عن الجوانب الكئيبة فى الحياة، وينظر إلي الجوانب البهيجة دون أن يحلل المواقف ، وينفذ إلي بواعث الكآبة فيقتلعها من جذورها ، قد تكون طريقته ذات جدوى علي شعره من ناحية أنها تكسبه الترسل والعاطفية، ولكنها تسمه أيضا بالسطحية ، حتى يبلغ فى حرصه علي التخدير الواهم حد ترديد الأفكار العامية الشائعة،مثل قوله ينهى عن التفكير فى الحياة :

**إن التفكر فى الحياة يزيد أوجاع الحياة (1)**

**أو قوله :**

**وإذا مـــا أظــــل رأســـك وهـــم          قصر البحث فيه كـى لا يطـولا (2)**

**أو قوله :**

**قال : الليالي جرعتنى علقما**

**قلت :** " ابتسم " ولئن جرعت العلقما (3).

وهذا النوع من التفاؤل " **وقتى** " لا يلبث أن يزول أمام قوة الواقع ، وتعـدد مصادر آلامه، شأن كل تأثير ناشئ عن " **الخدر** " أما التفاؤل التحليلي الواعى فهـو أقدر علي منح صاحبه الصبر، والثبات، وبعد النظرةإلي النتـائج البعيـدة ، وموافقـة الأقدار بالسعى والجهاد .

ولذلك نلحظ أن استسلام إيليا أبى ماضي للأقدار سلبى أو استسلام من لا يعرف لم كان ما كان ، بـل كـل شـئ حولـه مكـره مجـبر فى حركتـه ، وأن رآه يسـير متناقض الغاية فيقول فى " **الطلاسم** ":-

**أن هذا الغيث يهمي حين يهمي مكرها**

**وزهور الأرض تفشي مجبرات عطرها**

**لا تطيق الأرض تخفي شوكها أو زهرها**

**لا تسل : أيّهما أشهى وأبهى؟**

**لست أدري!**

**قد يصير الشوك إكليلا لملك أو نبّي**

---

1- الجداول ص 39.

2-ديوان أبى ماضي ( الجامع ) ص 604.

3- الخمائل ص 58.

**ويصير الورد في عروة لص أو بغيّ**
**أيغار الشّوك في الحقل من الزّهر الجنّي**
**أم ترى يحسبه أحقر منه؟**
**لست أدري!**
**قد يقيني الخطر الشّوك الذي يجرح كفّي**
**ويكون السّمّ في العطر الّذي يملأ أنفي**
**إنما الورد هو الأفضل في شرعي وعرفي**
**وهو شرع كلّه ظلم ولكن ...**
**لست أدري!**
**قد رأيت الشّهب لا تدري لماذا تشرق**
**ورأيت السّحب لا تدري لماذا تغدق**
**ورأيت الغاب لا تدري لماذا تورق**
**فلماذا كلّها في الجهل مثلي ؟**
**لست أدري!** (1)

لذلك نرى أبا ماضي يدعو فى شعره إلي الرضا بالأقدار،والاستسلام لها دعوة من هو " **جبرى** " النزعة ، وقد صورت هذا الاتجاه قصيدته الطويلة " **الأسطورة الأزلية** " التي بناها بناء أسطوريا حاول أن يجمع فيه بين طبيعتى القصة والمسرحية ، وفيها يرى أن بنى الإنسان قد ملوا أطوارهم وأحوالهم ، فرفع كل منهم صوته إلي الله بالشكاية واظهار سوء الحال ؛ فالفتى يشكو صباه الذى جعله مظنة الزلات والآثام ، وموضع النقد والملام ، والشيخ يشكو ضعفه وشعوره بفقر الروح، ونضوب الأمانى ، والحسناء تشكو نظرات الخنا ، والجارية تشكو بؤسها ،وسخرية الناس من دمامتها، والفقير يشكو تحكم الموسرين فى نفسه، والغنى يشكو سعيه

[1]- الجداول ص 122 ، 123.

الدائب، وراء المال ورياء الناس له بسبب غناه، والأبله يشكو ضعف عقله وشعوره بالانعزال، والأريب يشكو غربته وما يسببه له عقله من طول التفكر والحيرة، فاستجاب الله لهم **وقال:**

" **كونوا كما تشتهون** " ولكن الكون فى مجموعه لم يتبدل ولم يتغير فحين انجلي الليل، وأشرق الصباح لم يجدوا غير الذى كان ، واصبح كل يشكو حاله الجديد:

**لّا وعى الله شكايا الورى قال لهم : كونوا كما تشتهون**

**فاستبشر الشيخ و سرّ الفتى و الكاعب الحسناء و الحيزبون**

**لكنّهم لّما اضمحلّ الدجى لم يجدوا غير الذي كانا**

**هم حدّدوا القبح فكان الجمال و عرّفوا الخير فكان الطلاح**

**و ليس من نقص و لا من كمال فالشوك في التحقيق مثل الأقاح**

**و ذرّة الرمل ككلّ الجبال وكالذي عزّ الذي هانا** (١)

والقصيدة تؤكد الحكمة العربية ، ليس فى الإمكان أبدع مما كان ولكنها مع ذلك مقتبسة اقتباسا واضحا من مقالة " **جبل الهموم** " للكاتب الأمريكى " **امرسن** "،التي يتخيل فيها أن البشر ذهبوا يشكو كل منهم همه إلي الله سبحانه، فأمرهم أن يلقوا بهذه الهموم، فألقى كل همه الذى يشكو منه حتى صار منها جبل عظيم، وهى هموم متناقضة ، ثم أمرهم أن يأخذ كل منهم هما آخر يحبه، ففعلوا؛ ولكنهم سرعأن ما عادوا إلي ربهم يطلب كل منهم همه الأول ، فهو آلف إلي نفسه من همه الجديد .

وقصيدة " **الحجر الصغير** " تدور علي فكرة أن كل شئ فى الكون صغر أم كبر له وضعه الذى أكره عليه ، ولا يملك الإفلات منه ، فإذا حاول شئ ما ولو كان

---

[1]- الخمائل ص 237.

صغير الشأن، أو الحجم أن يتمرد علي حاله جلب بتمرده الخطر والهلاك علي نفسه وعلي من حوله ، والقصيدة من النوع الرمزى الواضح الذى ينقل الفكرة عن طريق إثارة التشابه الضمني بين حال وحال :

سمع الليل ذو النجوم أنينا ... وهو يغشى المدينة البيضاء
فانحنى فوقها كمسترق الهمس ... يطيل السكوت والإصغاء
فرأي أهلها نياما كأهل الكـ ... ـهف لا جلبة ولا ضوضاء
ورأي السدّ خلفها محكم البنيان ... والماء يشبه الصحراء
كان ذاك الأنين من حجر في السد ... يشكو المقادر العمياء
أيّ شأن يقول في الكون شأني ... لست شيئا فيه ولست هباء
لا رخام أنا فأنحت تمثا ... لا، ولا صخرة تكون بناء
لست أرضا فأرشف الماء ، ... أو ماء فأروي الحدائق الغنّاء
لست درًّا تنافس الغادة الحسـ ... ـناء فيه المليحة الحسناء
لا أنا دمعة ولا أنا عين، ... لست خالا أو وجنة حمراء
حجر أغبر أنا وحقير لا جمالا ... ، لا حكمة ، لا مضاء
فلاغادر هذا الوجود وأمضي ... بسلام ، إني كرهت البقاء
وهوى من مكانه ، وهو يشكو ... الأرض والشهب والدجى والسماء
فتح الفجر جفنه... فإذا الطوفان ... يغشى ((المدينة البيضاء)) (1)

---

1- الجداول ص 25.

ولاشك أن الرضا بالأقدار علي هذه الشاكلة يتوافق مع المزاج الشرقى إسلاميا كان أم مسيحيا؛ فهو ينبع من تراث الحكمة العربية ،والثقافة الدينية العامة، وأن أخذت شكلا جديدا تعليمى الطابع تمثل فى حديث الحجر إلي نفسه واستماع الليل اليه، وتصرف الحجر المتسرع بعد أن اتخذ القرار ناظرا إلي ذاته ،غير ناظر إلي المجموع، وإلي الدور الذى يؤديه فى الوحدة المتفاعلة المتكاملة ، وتأتى عبرة القصة فى النهاية ختاما مترقبا يوافق ما انطبع من قديم فى نفوس المتلقين، أخذا عن تراثهم الثقافى المؤمن بأن : كلا ميسر لما خلق له ، وتأتى القصيدة مؤكدة هذا الوجدأن ولا تضيف إليه رؤية جديدة من ذاتية الشاعر .

ونحن نلحظ نوعا من التناقض بين هذا الاستسلام للأقدار، والدعوة إلي الرضا، وإدراك أن للاقدار حكمة بعيدة فى وضع كل شئ موضعه، فهى تنظر إلي النفع العام لا النفع الفردى فحسب، وبين التشكك الذى أبداه فى " **الطلاسم** " حين يقول بأنه لا يدرى لم تفعل الكائنات ما تفعله ولا هى تدرى ، ولكنه فى الحالين يؤمن بأن الكون مسير ،لا مجال فيه لحرية الاختيار؛ أما نفسه فمذ بذبة بإزاء هذا التسيير ، فتارة يرضى به ويعلن أن له حكمة عامة ، وتارة يتشكك ويقول إنه لا يدرى غاية أو حكمة ، ولو كان رضاه عن الأقدار ناشئا عن عقيدة راسخة، لكان كفيلا بأن يدفعه إلي الرضا بالتشريع والسنن الإجتماعية التي فرضتها الديانات والتقاليد ، ولكننا نلمح تناقض الشاعر مرة أخرى فى سخطه علي تلك التشريعات، واضطراره إلي أن يخضع لها غير مختار؛ كما رأينا فى مقطوعة " إذا " التي سبق أن حللنا موقفه فيها وقد ختمها بقوله :

**إذن فاحى ومت كالناس عبدا غير مختار** (1)

1- انظر ص 308.

# الفصل الرابع [ أ ]
## الموازنات بين شعراء الرابطة القلمية

من خلال التحليلات التى فى الفصول السابقة نصل إلي ملاحظة السمات المشتركة بين شعراء الرابطة القلمية خاصة ثلاثة الشعراء الذين أفردت لهم فصولا خاصة ، كما نصل إلي ملاحظة السمات الفردية لكل منهم.

## أولاً :- السمات المشتركة العامة :-

1- بين الشك والإيمان لم يكن لشعراء الرابطة القلمية أطوار انتقلوا بها من حالة شك إلي حالة إيمان أو العكس؛ وإنما هى تقلبات تراوحهم وتغاديهم ، وأحيانا تلتقى الحالتأن؛ فنجد فى القصيدة الواحدة أبياتا تصورهما ،كما رأينا عند ميخائيل نعيمة فى " **العراك** " **والابتهالات** "، ومن هنا جاز لنا أن نسمهم جميعا بسمة" **الحيرة الدائمةأو التيه** "؛ فكان نفوسهم صورة للبحر الذى وصفه نعيمة بقوله :

**أمـــا تعبـــت ؟ ! عجـــيج كـــــر ففـــــر فكــــــر ؟**

فهم لا يستقرون علي حال، شأنهم شأن هذا البحر فى اضطرابه وتقلبه .

2- جميع شعراء الرابطة القلمية يرتدون إلي الذات ،أو إلي القلب ،ومنه يحاولون أن يستمدوا الوعى بالحقائق المجهولة، ونرى فى شعرهم ازدراء الحواس – ومعطياتها، وضعف الثقة بالفكر؛ بل اتهامه أحيانا بالإضلال . ولكنهم مع ذلك يستخدمون الفكر من حيث لا يشعرون فى اعتناق بعض الآراء التي اعتنقوها بديلة عن المعتقدات الدينية.

3- اتفق هؤلاء الشعراء علي رفض تعاليم الديانات القائمة. وازدراء طقوسها وشعائرها، واظهار النفور من رجال الدين ، واتهامهم بالتناقض بين القول والعمل، وتصويرهم فى صورة الشر، والقسوة واستغلال الدين لتحقيق المآرب الشخصية، وقد خلط هؤلاء الشعراء فى نقدهم للأديان بين الدين ورجاله، كما خلطوا بين الأديان بعضها وبعض، وأن كانوا قد أفردوا المسيحية

وعقائدها وتعاليمها بالنصيب الأكبر، وعرض أحدهم وهو إيليا أبو ماضي بالإسلام فى نقده .

ومع ذلك نرى الروح المسيحية لم تفارقهم فيما ارتضوه من عقائد بديلة كألوهية الإنسان، والتقمص،أو وحدة الوجود، والحلول،أو الإسراف فى ترديد كلمتى " **الحب والمحبة** " شعارا دينيا شاملاأو مذهبا – كما يزعمون – فى الحياة، فهم يستلهمون المسيحية وأن كانوا لا يلتزمون باتباعها.

4- هؤلاء الشعراء يؤمنون بوجود الله ايمانا عاما، ولكنهم يذهبون فى تصور صفاته مذاهب بيناها تحليليا، وليس فى شعرهم ما يفهم منه إنكار، " **وجحود** " لوجود الله أصلا؛ بل ليس فى شعرهم ما يفهم منه مجرد الشك فى وجود الله .

5- يميل شعراء الرابطة القلمية إلي تعظيم الأنبياء وتمجيدهم، ويذكرون عيسى عليه السلام ومحمداً صلى الله عليه وسلم فى محل التوقير، والإجلال؛ ولكنهم يعظمون الأنبياء تعظيمهم لمصلحين أو قادة،أو نماذج للسمو الإنسانى؛ دون الاعتقاد بالوحي السماوي،أو استمداد التشريع من مصدر غيبي .

6- شعراء الرابطة الذين تعرضوا لقضايا الاعتقاد، ينكرون البعث كما صورته الكتب السماوية، ولا يؤمنون باليوم الآخر، ولا بالثواب الأبدى فى الجنة ، أو العقاب الأبدى فى الجحيم ، وقد صرحوا بما لا يدع فرصة للتأويل،أو الاعتذار؛ بأن هذا البعث المرتقب وهم وتأزر نثرهم وشعرهم علي إنكار الدينونة والحساب؛ غير أن بعضهم آمن بنوع من خلود النفس فى حياة أرضية،أو حياة علوية ليس فيها جنة أو نار .

7-كان الهروب إلي الطبيعة،أو إلي الغاب، والتصريح بما سموه " **دين الطبيعة** " بديلا عن الشعائر والطقوس الدينية، ظاهرة عامة بين هؤلاء الشعراء، وقد حاولوا أن يستمدوا من سلوك[1] الطبيعة إيحاء بما يجب أن يكون عليه سلوك

[1]- من المجموعة الكاملة ص 364.

الإنسان ، وكان من أهم ما لاحظوه أن الطبيعة فيها عطاء بدون تفريق، وفيها تبادل للأخذ والعطاء، والحياة والموت ، والنمو والانحلال والتجدد ، بل أن ما توهمه بعضهم من عقائد التقمص والتناسخ كان فى جانب كبير منه معتمداً علي تفسير ظنى لما رأوه فى الطبيعة من تحولات البذور إلي زهور، ثم انحلال الزهور، وعودة البذور كرة أخرى ،كما اقتبسوا من ذلك فكرة دورة الحياة والموت المادية، ورددوها فى شعرهم.

8- مال هؤلاء الشعراء جميعا إلي الإيمان بالقدر، والاستسلام له وأن كان جبران لم يفصل فى شعره فلسفة خاصة بإزاء القدر إلاَّ فى بيت واحد من المواكب، هو البيت الاخير حيث يقول:

**وللتقادير سبل لا تغيرها** **والناس فى عجزهم عن قصدهم قصروا**

وهم يتفقون فى توجيه اللوم إلي الإنسان،أو إلي النفس فى الشكوى من القدر، وحاولوا التأليف بين الخير والشر فى الوجود، وأن اختلفوافى مدى نجاحهم أو فيما تصوروه من اتجاهات لهذا التأليف، وهم يردون الخير إلي الطبيعة، والشر إلي الإنسان، ولكنهم يعترفون بالواقع المزدوج ويرضون به .

9- نزع شعراء الرابطة القلمية إلي نوع من "**التصوف**"، يمكن أن نطلق عليه تصوفا فكريا أو شعريا لا يتعدى حدود الفورات الشعورية المؤقتة إلي المظاهر السلوكية من زهد وتقشف ، وكان هذا التصوف الذى ينزعون إليه يراد لإشباع الفراغ النفسى الذى تحدثه الشكوك والحيرة،وكان بعضهم يقلد أساليب التعبير الصوفى عند متصوفة الشعراء المسلمين، ويحاول أن يلبس كلامه مغازى كلامهم ورموزه ، ولكنهم كانوا قصار النفس فى هذا التقليد ، وكانت المعانيالتي يرددونها قريبة الغور اذا قيست بالمعانى التي كان يعنيها متصوفة المسلمين، وذلك يرجع إلي أن شعراء الرابطة كانوا يخلطون التصوف

بغيره، وتتنازع نفوسهم نوازع شتى ومعتقدات مختلفة؛أما متصوفة المسلمين فكانت معانيهم الصوفية هى محور حياتهم واهتمامهم الأول؛ فلم يخرجوا عنها إلي سواها، وكانوا يعبرون عن " **أحوال** " و " **مقامات** " مرصودة لدى أئمة الصوفية وهم يقطعونها فى " **مدارج** "من أجل" **الوصول**" أو "**الشهود**"، ويرون أن " **الانصراف** " من أكبر المعوقات التي تمنعهم مما يبتغون.

ويجب ألا نغتر بانعزال " **ميخائيل نعيمة** " فى المرحلة الثالثة من حياته، ونحسبه نوعا من التطبيقالصوفى ،أو النسك كما أطلق عليه بعضهم " **ناسك الشخروب** "؛ فهذا الانعزال فيه ما يشبه التصوف من الخلوة التأملية، ولكنه ليس تصوفاً حقيقياً ،فهو انعزال فيه من " **حب الطبيعة** " بل وعبادتها النصيب الأكبر ، وما هكذا انعزال المتصوفة الذين كان انعزالهم بهدف الرياضة الروحية ، وصرف النفس عن شواغل الحس، واهتمامات الدنيا ، للارتفاع بها إلي مدارج الوصول.

## ثانيا:- السمات المشتركة بين بعض منهم دون بعض

قبل أن نحدد هذه السمات الجزئية يجب أن ننتبه إلي ما سبق أن لاحظناه من عدم وجود نظرة بنائية بديلة عن المعتقدات الدينية لدى الشاعرين ندرة الحداد،ونسيب عريضة ؛فقد اكتفيا بالشك الإجمالي من ناحية؛ والتعلق المبهم بقوى غيبية غامضة؛ بغية الوصول أو الراحة من هذه الشكوك ، ورشيد أيوب نأي بنفسه عن ولوج هذا المعترك .

أما الشعراء الذين كانت لهم آراء متميزة، وتصورات اعتقادية محددة، عبرت عنها رؤاهم الشعرية؛ فهم جبران،وميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي ولذلك أقتصر علي السمات المشتركة اشتراكا جزئيا فيما بين هؤلاء الثلاثة فقط .

### ١- ما بين جبران وميخائيل نعيمة دون أبى ماضي :

1- قلة النتاج الشعرى بالقياس إلي النتاج النثرى ، ولكن نسبة شعر الشك والإيمان عالية جدا فى هذا الشعر القليل ، وكل منهما لجأ إلي النثر لتفسير بعض ما غمض من شعرهما فى قضايا العقيدة .

2- اعتناق مبدأ وحدة الوجود، فقد تصوروا أن الله، والعالم، والنفس شئ واحد .

3- كلاهما تصور أن الله هو الروح الكلي الخالد، وردد كلاهما فكرة ألوهية النفس،أو ألوهية الإنسان.

4- آمن كل منهما بعقيدة التقمص، وتناسخ الأرواح ؛ورأي فيها بديلاً عن عقيدة الثواب والعقاب الأخرويين.

5- مال كل منهما فى التعبير الشعرى عن هذه المشكلات العقدية إلي الصوت الخافت، والحديث النفسى الهامس.

6- رأي جبران ونعيمة فى الموت فاتحة عالم جديد، وكانا يرحبان به ولا يخافانه؛ لأنه درجة أعلي من درجات الوعى . ولذلك فهما روحيان بينماكان أبو ماضي مادى النزعة .

**ما يلتقى فيه جبران وإيليا أبو ماضي دون ميخائيل نعيمة** :-

1- رأي كل منهما فى " **الحلم** " أو الخيال " **نوعا من النبوة** " فجبران يسمى الحالم نبياً، وأبو ماضي يجعل " سر النبوة " متجليا فى الشعراء وحدهم .

2- كلاهما صرح بأن عبادة الله طمعاً فى الجنة، أو خوفاً من عذابه، ضرب من التجارة

3- استبدلاً بالأقانيم المعروفة فى المسيحية أقانيم أخرى، ابتدعها كل منهما بحسب تصوره الشعرى .

**ما يلتقى فيه ميخائيل نعيمة وأبو ماضي دون جبران** :-

1- النظرة المتفائلة إلي الواقع، مع اختلاف طبيعة التفاؤل عند كل منهما:

- ✓ فتفاؤل نعيمة يعتمد علي رؤية شمولية لازدواج الخير والشر، وانتهائها أو تلاشيها فى وحدة الوجود.
- ✓ وأبو ماضي يعتمد تفاؤله علي تخدير الحس، وتناسى وجود الشر .

2- كلاهما صور تناقض الإنسان فى امانيه ، فكلإنسان يتمني نقيض حاله ، صور ذلك ميخائيل نعيمة فى " **حبل التمني** " وصوره أبو ماضي فى " **الأسطورة الأزلية** "؛ ولكن نعيمة انتهى إلي أن الكمال هو فى أن يتحرر من الأمانى؛ أما أبو ماضيفانتهى إلي الاستسلام السلبى لحتمية القدر .

3- كلاهما استباح ملذات الحياة ومتعها، بحجة أنها من صنع " **رب السماء** "، ولا حرام ولا دنس فى صنعه .

**ماانفرد به جبران** :-

1- أمل جبران فى حياة مثالية تأتلف فيها المتفرقات فى وحدة واحدة، رمز إليها " **بالغاب** " ،وقد اتخذ من الناي، أو الموسيقى رمزا للحقيقة الكبرى التي تأتلف فيها المتناقضات .

2- تأثر جبران بمصادر شتى كالمذهب الأفلاطونى فى النظرة المثالية والارتداد إلى- الذات، وبابن سينا فى تصويره للنفس، وبالرؤى الصوفية، وبالمذاهب القائلة بوحدة الوجود، وجمع فى تأثره بين مذهب نيتشة فى "**الإنسان الأعلي**"، والمسيحية فى تصوره لصفات هذا الإنسان؛ الذى رأي مثله الأعلي فى شخص " **المسيح** ".

3- اتخذ من " **البحر** " رمزا للأبدية أو المطلق لذى يحتوى كل شئ .

4- يرى جبران أن تعلقه بالخلود مصدر من مصادر معرفته .

5- وأن الانصهار بالآلام مصدر آخر .

6- مزج جبران بين الإيمان ببقاء النفس، وفكرة الإنسان الأعلي عند نيتشة .

7- رأي جبران أن الجسم وعاء للروح،أو رحم تستكن فيه حتى تنضج، وأن يوم الموت هو يوم المخاض؛ حيث يتلاشى الوعاء وتولد الروح بلا عناء؛ فلا خطر عليها من الفناء .

**ما انفرد به ميخائيل نعيمة** :-

1- حقق ميخائيل نعيمة قدرا كبيرا من الانسجام بين قواه الداخلية المتناقضة أو المتصارعة، ونجح فى أن يظفر بنصيب كبيرمن الطمأنينة لم يظفر بمثلها أحد من شعراء الرابطة سوى" **رشيد أيوب** " الذيكانتطمأنينته ناشئة من الهروب،أو البعد عن ولوج مشكلات الشك ، والانصراف إلي معطيات الحياة، ومتعها، أما ميخائيل نعيمة فقد كانت طمأنينته ناشئة عن تحقيق قدر كبير من الصلح بين هذه القوى ، وقد كان أكثر من زملائه قدرة علي الارتداد إلي عالمه الداخلي ، وإعادة السلام النفسى إلي هذا العالم ولكن هذه الطمأنينة لم تكن تامة .

2- تأثر نعيمة بالأدب الروسي خاصة بتولستوى فى نزعته إلي انكار الذات ، ولكنه لم يتأثر بالموجة اللاأدرية ، التهتكية التي أشاعتها رواية " **سانين** " للكاتب أرتزيباشيف؛ هذا إلي جانب تأثره بالأدب الإنجليزى واطلاعه الواسع عليه .

3- اتخذ من الشك قوة دافعة للانطلاق نحو الإيمان ، ولكن الشكوك كثيرا ما زعزعت طمأنينته؛ لأنه لم يستمدها من الدين ، ووحى السماء وإنما من تأملاته الخاصة .

4- علل اعتقاده بأن النفس جزء من الوجود الأكبر باستجابتها لكل ما فى الوجود، ولكنه قفز إلي فكرة ألوهية النفس دون دليل .

5- اعتقد باستقلال النفس عن الجسد ، ومع أنه آمن كجبران بعقيدة التقمص عاد فتشكك فى هذه العقيدة وتساءل عن مصير الروح بعد الموت ، واستبدل بعقيدة التقمص الأرضية حياة علوية فى عالم غير أرضى لكنه عالم لا جنة فيه ولا نار .

6- وصل إلي فكرة الروح السرمدى، وبها رأت شاعريته أنه تحررمن تأثير الحواس، ومن محدودية الزمأن والمكان ، فلا ماضي ولا مستقبل، وإنما هو حاضر أبدى يسميه " **الأن**".

7- اضطرب ميخائيل نعيمة بين " **التأليف بين الخير والشر** " إلي حد تلاشيهما فى الوجود المطلق أو الأبدية ، بين الاعتقاد بالوجود المستقل لكل منهما فى واقع مزدوج ، عبر عن التصور الأول فى قصيدته" **الخير والشر** "، وعن التصور الثاني فى قصيدة " **العراك** " ،وفى كليهما اتخذ من الشيطان رمزا للشر، ومن الملك رمزا للخير؛ولكنه فى الأولي جعل الشيطان هو الذى يبدأ بالصلح، والدعوة إلي السلام، والتذكير بالأصل الواحد !!

8- اتجه ميخائيل نعيمة إلي أن الزمأن ظل للإنسان،وأنه من صنع الفرد ، وأظهر حيرة واضطرابا فى رد الأقدار إلي أسبابها مع استسلامه لها .

9- دفعته هذه الحيرة إلي اللجوء إلي الله، والابتهال إليهأن يكون عونا له وأن يجعل الأقدار فى جانبه، وأرى أن اللجوء إلي الله كان بديلاً عن فكرة اللجوء إلي الذات التي أعلنها فى قصيدة "**الطمأنينة**"؛ ولكنها لم تلبث أن تزعزعت أمام موجات الشك فاحتاج إلي قوة أكبر من ذاته، وهى قوة الله فهي الأقدر علي إنجائه .

## ما انفرد به إيليا أبو ماضي :-

1- أبو ماضي هو أوضح شعراء الرابطة القلمية تعبيرًا عن هذه القضايا، وأبعدهم عن الغموض؛ فهو أقدرهم تمكنا من أساليب التعبير لتأثره بمدرسة البعث والاحياء، وبشعراء الاسكندرية فى مصر ، وقد نجح فى الإحتفاظ بحد

مناسب بين انطوائية شعراء الرابطة وتأملاتهم، وانبساطية شعراء الحياة العامة، كما احتفظ بحد مناسب بين التقليد والتجديد .

2- تأثر أبو ماضي تأثرا واضحا برباعيات الخيام ، كما تأثر بالدعوة المادية التي تبنتها مجلة المقتطف فى مصر وبيروت ، قبل سفره إلي أمريكا الشمالية ، وكانت مواقفه من إنكارالخلود والبعث بعد الموت سابقة علي اتصاله بالرابطة القلمية ، مما يؤكد أنه لم يتلق أفكاره عن جبران ، أو ميخائيل نعيمة علي الرغم من تإثره بهما إلي حد التلمذة ، فى التجديد الشعرى .

3- اضطرب أبو ماضي بين اللاأدرية والذاتية، ولكنه فى شعره " اللاأدرى " كان معبرا عن حالة الشك التي انجرف إليها هؤلاء الشعراء، وكان ممثلا للعجز عن ادراك الحقيقة من أقرب طريق . ويبدو أنه استطاب هذه الحيرة،أو هذه الحالة الشاكة فلم يتخذ من الشك قوة دافعة للوصول إلي الحقيقة، كما فعل ميخائيل نعيمة؛ وإنما جعل من الشك فى ذاته مذهبا جديدا .

4- فى رؤيته الشعرية للألوهية كان له طريقان فى التعبير :

أ – التعبير عن الإله خيالاً شعرياً، وفى هذا النوع نلمح النزعة الوثنية والميل إلي التجسيم، وإضفاء الصفات البشرية علي الذات الالهية، وكسر حاجز " **القدسية** " والتنزيه، بل استدنى صورة "**الإله**" التي فى خياله فجعله "**إنساناً**".

ب– التعبير عن الإله مبدأ اعتقاديا ، وفيه تصور أن الله فكر، وأنه حس وشعور، فهو يتحول بحسب النظر إلي صنعه وإبداعه،أو من حيث الرؤية البشرية له . وهو لا يعرض هذه الأفكار على سبيل التأكيدبل الظن المحوط بسياج من الشكوك .

5-كان أعنف شعراء الرابطة القلمية فى الهجوم علي رجال الدين، وأكثرهم تعدادا للتهم الموجهة إليهم .

6- عرض فى نقده للأديان بالعقيدة الإسلامية،كما أظهر شماتة واضحة بالأتراك أو – بالخلافة الإسلامية حينما انتصر عليهم " **اللورد النبى** " ودخل القدس .

7- أنكر الخلود إنكارا تاما، سواء كان عن طريق البعث أم عن طريق التناسخ والتقمص أو غير ذلك من الصور ، ولم يفرق بين النفس والجسم بل هما عنده شئ واحد إذا فنى أحدهما فنى الآخر .

8-كان أكثر شعراء الرابطة ترديدا لفكرة دورة الحياة المادية، وكثيرًا ما قال بأننا نأكل الموتى ونشربهم ونتنفسهم ، لأن ذرات أجسامهم تدخل فى عناصر الكون المادية وتعود الينا، وهكذا نموت نحن لنعود ذرات فى طعام الآخرين، وشرابهم، وهوائهم .

9- استبدل " السماء " بالآخرة؛ ولكن مفهوم السماء عنده كان غامضا، وأخضعه هو الآخر لتصور النفوس بحسب أحوإلها وحاجاتها .

10- هو أظهر الشعراء، شعراء الرابطة دعوة إلي " **لتفاؤل**"؛ ولكنه هو فى نفسه كان حائرا بين " **لتفاؤل" التشاؤم**" وكان تفاؤله الذى يدعو إليه تفاؤلا سطحيا ذا صبغة عمومية، كما كان وقتيا يعتمدعلي تخدير الحواس، أما فى دعوته إلي الاستسلام للأقدار فقد كان جبرى النزعة، وكان مضطربا بين الإيمان بوجود حكمة عامة وراء القدر. وبين التشكك فى وجود غاية فأعلن أنه لا يدرى لم تفعل الكائنات الطبيعية ما تفعله ؟!

# الفصل الرابع (ب)

## الموازنات بين

## شعراء الديوان وشعراء الرابطة القلمية

**فى هذا الفصل نتناول أربعة جوانب** :

1 – ملامح التشابه العامة بين شعراء الديوان وشعراء الرابطة القلمية

2 – ملامح التشابه الجزئية بين شعراء الديوان وشعراء الرابطة القلمية

3 – ملامح الاختلاف بين شعراء الديوان وشعراء الرابطة القلمية

4 – الأداء الفنى فى تصوير هذه الموضوعات بين المدرستين .

## أولا :- ملامح التشابه العامة بين شعراء الديوان وشعراء الرابطة القلمية في شعر الشك والإيمان

1 – **الإيمان بوجود الله:–**

هذه حقيقة عامة شملت شعراء المدرستين فعلي الرغم من كثرة الشكوك، لم نلمح ظاهرة الإنكار المطلق أو الشك الباتفي وجود قوة علياً يعتمد عليها الكون فى وجوده وحركته وتدبير أموره، وكانوا جميعاً يعتقدون أن فى الكون قوة غيبية مجهولة وهى سر أعظم من أن يحيط به العقل البشرى. وهى حقيقة روحية كبرى وراء الظاهر المادى، وقد التمسوا جميعاً سبلاً غير العقل فى محاولة الوصول إلي هذه القوة الغيبية المجهولة .

2 –**الشك فى البعث الأخروى أو إنكاره:–**

صرحوا جميعاً بشكهم فى البعث وإنكارهم أياه ، وقد سخر شعراء الرابطة الفلمية بمبدأ الثواب والعقاب فى الآخرة، أما شعراء الديوان فمنهم من مر بمرحلة الشك؛ ولكنه تجاوزها إلي تغليب الظن، ثم إلي اليقين بالبعث وهو العقاد، ومنهم تجاوز الشك إلي تغليب الظن ثم توقف وهو عبد الرحمن شكري، وكان فى شكه كما رأينا أقرب إلي أن يكون موقفه موقف رفض نفسى، أما المازنى فقد تجاوز الانكار إلي الشك وتوقف عنده.

ونحن هنا نلتفت إلي الفرق بين " **الخلود** " و " **البعث** " فشعراء الرابطة آمنوا " **بالخلود** " خلود النفس، أو خلود الذرات الجسدية وتداخلها فى كائنات أخرى،

وتصوروا خلود النفس فى التقمص وتناسخ الأرواح، ولكنهم لم يؤمنوا بالبعث الأخروى يوم القيامة الذى يحاسب فيه كل فرد بما قدم .

3 -**الاستسلام للأقدار فى نهاية المطاف** :-

وهذا ملمح مشترك بين شعراء الديوان وشعراء الرابطة القلمية ، مع اختلافهما فى تعليل هذا الاستسلام، وأسلوب تفاعلهم به، أعلن المازنى هذا الاستسلام بعد سخطه وتبرمه فى قصائده " **الإنسان والغرور**"و " **عبث الحياة وباطلها**"، و " **يا أم** " وأعلنه شكري فى" **الإيمان والقضاء، وفى القلق والغفلة** " وفى " **وعظ القدر**" وفى " **مرحبا بالأقدار**" وأعلنه العقاد فى " **الحياة حياة**" وفى " **حانوت القيود**" وفى " **أيها المستحيل**" وفى " **إذا لم تكن متفائلا فكن حجة للمتفائلين** " وأعلنه جبران فى " **المواكب** " وميخائيل نعيمة فى " **حبل التمني** " و " **البحر** " وإيليا أبو ماضي فى " **فلسفة الحياة** " و " **الأسطورة الأزلية** " وقد رأينا أساليبهم فى تعليل هذا الاستسلام .

4 - **فقدان الرؤى الشعرية " حول عقيدة الإيمان بالانبياء والرسل**:-

صمت شعراء الديوان وشعراء الرابطة القلمية عن موضوع الأنبياء والرسل فلا نكاد نرى إلاَّ بارقة واحدة عند عبد الرحمن شكري فى قصيدته " **أقوام بادوا** " **وجعل مفتاحها قوله:**

**" جعلوا لطبع اللؤم كل قداسة وتحرزوا من سنة المختار "**

**ويشرح ذلك بقوله :**

" المختار هو النبى ً" وكل من نبذ سنة الله ورسوله ، لابد أن يصير إلي ما هوموصوف فى هذه القصيدة من الصفات (1)

[1]-ديوان عبد الرحمن الشكري ص 643وقد أخبرنى استاذنا الدكتور محمد رجب البيومى أن عبد الرحمن شكري أوصاه أن يقوم بنشر أعماله ويحذف منها ما يدل علي إلحا د وإنكار أو انتقاد للدين .

وأما العقاد فقد ذكر آل عيسى وآل أحمد " فى مقام استنكار ما يفعله أهل الديانات السماوية من تشويه وطمس لبعض الصور فى معابدالفراعنة .

وشعراء الرابطة القلمية يجعلون من الشعراء أنبياء؛ فجبران يرى أن الحالم هو " **النبى** " وأبو ماضي يزعم أن الشعراء هم الذين يتجلي سر النبوة فيهم .

ولا توجد أعمال شعرية كاملة تدل علي انفعال عميق، أو تجربة نفسية يكون محورها أو مثيرها الانبهار بالجلال السامي لنبوة نبي من الأنبياء .

## ثانيا :- ملامح التشابه الجزئية بين بعض شعراء الديوان وبعض شعراء الرابطة القلمية

1 - محاولة اتخاذ الشك قوة دافعة نحو الاكتشاف أو الاهتداء إلي الحقيقة الكبرى، وهذا ملمح مشترك بين " **شكري**" و " **نعيمة** " فشكري يرى أن الشك هو أول خطوات المعرفة، ومهيئ نفسه للإلهام وهو المبين للنفوس عن وجود الإله، ونعيمة يرى الشكوك نارا أججتها الأقدار،ويتساءل أن كانت هذه النار شعلة الإله، أم شعلة الردى وكل منهما لا يرتاح إلي استمرار حالة الشك إذ يرى شكري أن الشك المستمر يفسد العيش، و " **نعيمة** " يطلب الطمأنينة ، ولكن شكوك " **نعيمة** " كانت أقوى من محاولاته ، فسرعأن ما كانت تقلب عليه موازينه .

2 -الانقياد للأسرار يحقق الوعى بها ، والاعتماد علي التفكير دون الإحساس بالشعوريقطع مابين الإنسان والحياة من وشائج وصلات: فكرة مشتركة بين العقاد و"**ميخائيل نعيمة**" وقد كان الخيال الشعرى فى تصويرها متقاربا بينهما إلي حد كبير؛ فالعقاد صور نفسه سابحا و ترك جسمه يطفو فوق الامواج، فلا يدرى من رآه غريق هو أم سابح بعد أن يئس من الصعود إلي حالة المثل العليا، والهبوط إلي مستوى الحياة المادية السفلي،فلم يحمد النظرة الكلية ولا النظرة

الجزئية ، وميخائيل نعيمة شبه نفسه بدودة بين أسماك فهـى لا تفكـر فى خطـر ، ولا تبالي بمصير ، بل تركت نفسها للأمواج تسيرها كيفما تشاء .

3 -**الحلم بالألوهية** أو تمنيها عند " **شكري** " فى " ليتنى كنت إلها" وطموح الشيطان إلي " **الألوهية** " عند " العقاد " فى " ترجمة شيطان " أي أن " ألوهيـة المخلـوق عندهما تقترب منها فكرة " ألوهية الإنسان " أو " ألوهية النفس " عند جبران ، وميخائيل نعيمةغير أننا نلاحظ فشل هذا الحلم أو هذا الطموح عند " **شكري** " و " **العقاد** " ، وتحقق هذه " **الألوهية** " فى " **السوبرمان**"أو " **الإنسـان الأعـلى** " عند جبران ، وتقرير أن النفس هى والإله شئ واحد عند ميخائيل نعيمة .

وتعليل ذلك يرجع فى نظرى إلي " **الاختلاف** " بين الاساس الثقـافى الـدينى عند الفريقين ، فالثقافة الإسلامية تحتم التفريق بين الخـالق والمخلـوق ولا تعـترف بالكمال المطلق إلا للذات الإلهية ، ولذلك فأن أي محاولة لاقتحام هذا الحاجز تنبـؤ بالفشل، لقد فشل " الإله " البشرى فعزل ، تحطم طموح الشيطان فمسخ الشيطان الطامح حجراً، أما الثقافة المسيحية ففكـرة حلـول " **اللاهـوت** " فى " **الناسـوت** " فكرة أصيلة فى التكوين الوجدانى عند المسيحيين؛ فلم يكن من الصعب علي جبران أن يتصور ألوهية الإنسان الأعلي المنتظر ظهوره ( **متأثرا بمـذهب نيتشـة** )، والـذى كان المسيح أنموذجه في رأيه، ولم يكن من الصعب عـلي ميخائيـل نعيمـة أن يقـول بألوهية النفس البشرية .

4- كذلك يلتقى "**العقاد**" و "**أبو ماضي**" فى ترديد شـعار ديـن الحـب، فالعقـاد فى مراحله الشعرية الأولي يردد أن دينه يقوم علي ثلاثة أقانيم: هـى الحـب والشـعر والحياة ويرى أن "الحب" عوض البـشرعن خلود الآلهة ،وأبو ماضي كان يفضل دين الطبيعة؛ لأنه يعلمه الحب الشامل الذى لا يفرق بين كـائن وآخـر، غـير أن العقاد أضمر وأجمل ما يعنيه بدين الحب ، وأبو ماضي أوضح وبسط وفصل .

5- **وكان العقاد يقول أنه يعبد الإله الذي لا يخافه:-**

**يعبـد الأقـوام مـا يخشـونه وأنا أعبـد مـا لسـت أخـاف**

وشـعراء الرابطـة القلميـة جميعـا انكـروا أن يكـون الله معـذبا لأحـد من البشر ، ورأوا فى " **جهنم** " فكرة تاجر، فالله فى رؤيتهم الشعرية رحمة شاملة، وروح كلي،يستبعدون أن يكون فى فعله قسوة أو انتقام، وقد نسوا جميعا أنهم يعترفون بوجود الألام فى هذه الحياة الدنيا ، وهى من صنع الله وصادرة عن إرادته؛ فكيف يستنكرون أو يستبعدون أن يوجد الألم فى حياة أخرى من صنعه أيضا؟ والألم فى الدنيا للابتلاء، وفى الآخرة للتطهير والجزاء.

6- يلتقى عبد الرحمن شكري ، وجبران خليل جبران، فى القول بأن الآلام وسيلة من وسائل الارتقاء بالنفس ومعرفة الله ، رأي ذلك شكري فى قصيدته " **الحياة والعبادة** " ورآه جبران فى قصيدته " **يا نفس** " فكلاهما مجد الآلام وجعلها وسيلة للقرب من الله .

7- تمجيد دين الطبيعة وتفضيله علي الأديان السماوية ملمح مشترك بين المازنى وأبى ماضي؛فالمازني فى مراحل شكه يقرر أن دين الطبيعة سوف ينتصر فى النهاية، وأن المستقبل فى صالحه ، لأنه سوف يمحو أوهام الدين السماوى وخرافاته، وقد زعم أن الأديان هى مصدر الشكوك ، وأبو ماضي يرى أن الديانات السماوية من صنع الإنسان للإنسان،وأنها مبعث التفرقة ، ومصدر يبث الأحقاد والكراهية ، وأن اتخاذ المرء مذهبا يجعله غلا فى عنقه ولا يغير طبيعته، وهذه الأديان تتحكم فى حرية الإنسان حتى فى حرية حقه فى الانتحار ، ويفضل دين الطبيعة التي تسوى فيما تمنحه من خير بين جميع الكائنات،فلا فرق عندها بين خير وشر، وجميل وقبيح ، وهذه النظرةإلي الأديان السماوية موجودة أيضا عند جبران وميخائيل نعيمة ونسيب عريضة وندرة حداد؛ فهم جميعا فضلوا "

**الغاب "** و **" الروض "** علي الذهاب إلي القداس، واستماع وعظ القسيس؛ لأن دين الطبيعة عندهم أصدق من هذه المبتدعات .

8- كذلك يلتقى المازنى بأبيماضي فى إنكار **" الخلود "** مطلقا وعلي أي صورة من الصور ، فكانت نظرتهما إلي النفس الإنسانية نظرة مادية، يتصور المازنى الموت تصوراً مادياً؛ فاذا انحل الجسد ذهبت معه النفس والعقل، ولا بقاء للذات، وكان يرى الموت راحة أبدية لا نهوض بعدها، ومع هذا الانكار كانت تعتريه حالات يقول فيها :أنه **" لا أدرى "** فيما يتعلق بلغز الموت والحياة ، وتعتريه حالات أخرى يرجح فيها أنه يمكن أن يظل نور العقل متوهجا بعد الموت لا تطفئه ظلمة القبر، ولكنه لم يتصور البعث، فتوهج العقل عنده يرتبط بالحياة الدنيوية، ووعيه لن يخرج به عن حدود تكوين الجسم المادي، ووضعه فى القبر أو التفكير فى البشر علي ظهرالأرض.

**وكان أبو ماضي ينكر أشد الإنكار وجود حياة بعد الموت،** ويرى أن النفس والجسم وحدة واحدة يفنيأن بالموت ، وكانت تعتريه حالات يقول فيها أنه **" لا يدرى "** ماذا يكون من شأن الإنسان بعد الموت ، ولكنه إلي الانكار فى شكه أدنى منه إلي الإثبات ، وكان أكثر شعراء الفئتين تحمسا لإقامة الادلة فى شعره علي انكار الحياة بعد الموت .

9- شعراء الديوان الثلاثة عبروا فى شعرهم عن الترحيب بالموت على اختلاف تعليلهم لهذا الترحيب، وهم فى هذا يلتقون بجبران ونعيمة علي اختلاف التعليل أيضاً .

فالعقاد يرى أن اللحد مهد الموتى، حيث يولدون فى حياة جديدة ويوصى بأن يغنوا عند قبره إذ يشيعونه بدلاً من البكاء، وميخائيل نعيمة أتى بالتشبيه نفسه فقال فى قصيدته – أغمض جفونك تبصر :

" **اللحد مهد الحياة** " وكان جبران يرى أن الموت هو ملاذه ومهربه وأنه فاتحة عالم جديد ، وأنه فجر دائم وكان زميلا العقاد ، " شكري والمازنى " يفضلان حالة الموت علي حالة الحياة .

**أما اختلاف التعليل فى هذا الترحيب فهو فيما يلي :-**

- العقاد يرى فى الموت امتدادا للحياة ، ولكنها حياة فوق العقل وفوق الحواس؛ فهو يرقى بعد الموت غاية تفوق ذرى هذه الحياة الدنيوية كما كان يقول .
- أما صاحباه فيرحبان بالموت؛ لأنهما يريان فيه راحة من صراع الحياة وشقائها .
- وأما جبران ونعيمة فيرحبان بالموت ؛ لاعتقادهما بمبدأ التقمص والتناسخ ، فكل منهما يعتقد أن نفسه بعد الموت سوف تولد فى جسد جديد علي هذه الأرض ، ولكن نعيمة لاح منه ما يدل علي إيمان بوجود حياة عليا غير أرضية بعد الموت .

10- يلتقى عبد الرحمن شكري بجبران وميخائيل نعيمة فى التصور الشعرى لحياة سابقة علي هذه الحياة ، وقد امتزجت عند شكري بفكرة التناسخ القائمة علي تقلب الإنسان بين حيوات متوالية ؛ ولكن شكري كان يعرض هذه الفكرة علي أنها احتمال،أو خيال شعرى فيعرضه فى إطار استفهام حائر يتمادى فيه أحيانا ، ويعرضه أحيانا علي سبيل التمني !

**فياليت أن العيش يخلف ميتة        داركا كما يطوى النهار اللياليا**

أما شاعرا الرابطة القلمية فقد اعتنقا فكرة التقمص والتناسخ اعتناقاً دينياً ، ودافعاً عنها نثرًا ، وعبرا عنها شعرا فى إطار تقريرى لا يحتمل التأويل.

11- يلتقى شكري، والعقاد بجبران،وميخائيل نعيمة ، وإيليا أبى ماضي التقاء بينا فى فكرة استمرار دورتى الحياة المادية بعد الموت عن طريق تحلل الجسد ، وتداخل ذراته فى كائنات حية أو جامدة أخرى غيرأن تعبير شكري وجبران عن

هذه الفكرة كان تعبيراً خاطفاً لا إلحاح فيه علي الرغم من روعة الصورة التي رسمها شكري، أما العقاد ونعيمة وايليا فيبد وأن هذه الفكرة كانت أقوى انغراسا فى نفوسهم ،فعبر عنها العقاد فى " **الحياة والطبيعة** " وفى " **طيور المقبرة** " وفى " **أمنا الأرض**"، وعبر عنها ميخائيل نعيمة فى " **قبور تدور**"، وأما ايليا أبو ماضي فقد عبر عنها فى " **ريح الشمال** " وفى " **الناسكة** " تعبيرا مفصلا.

ومن اللافت للنظر التشابه الشديد فى الصورة بين العقاد، وميخائيل نعيمة فكل منهما يضفى حيوية نابضة علي القبور .

ويحسن أن أعرض مقطعا من قصيدة " **طيور المقبرة** " للعقاد ومقطعا من " **قبور تدور** " لنعيمة يظهر فيهما التشابه الشديد ، وأن كانت موسيقى العقاد أعلي نبرة ، وخواطره أكثر غزارة وتدفقا.

**يقول العقاد فى المقطع الأخير من " طيور المقبرة ":-**

**مغردة الطير أنت " الأسد "**

**وأنت الأجد " وأنت الأبر "**

**عرفت الحياة فحييتها**

**بحيث نما غصنها وازدهر**

**ولم تعرفى الموت بين القبور**

**وماذا عن الموت تحت الحجر ؟**

**ولا موت حيث يضوع الشذى**

**ويسرى الندى ، وتعيش الذكر**

**فغنى فما الأرض إلا حياة**

**تمـــــر ، وأخـــــرى تـــــلي فى الأثـــــر**

-ويقول نعيمة فى المقطع الأول من " قبور تدور ":-

**هلمــــى هلمــــى نحــــى القبــــور**

**ونمــتص منهــا رحيــق الــدهور**

**عســـــــانا اذا رأينـــــــا عظامـــــــا**

**يفتـــق منهـــا الربيـــع الزهـــور**

**عرفنـــــا بـــــأن الفنـــــاء بقـــــاء**

**وأن الحيـــــاة قبـــــور تـــــدور**

12- فى مرحلة العجز عن مواجهة الأقدار ، والاضطرار إلي التسليم لها، فـزع كـل من المازنى، وميخائيل نعيمة إلي الله يستمد عونه علي هذه المواجهة، فيقرر المازنى أن الله هو الذى بيده أمر تقسيم الأرزاق والأقوات ، وهو مفرج الكربات ، وأن لليسر والعسر والولادة والموت ميقاتا علمه الله، ويبتهل ميخائيل نعيمة إلي ربه أن يجعل من الحنان مرهما لقلبه، ويعرض عليه حالته الخاضـعة لتسـيير الأقـدار فيسأله أن يكون هو دليلهإلي السماء التي جعلها وجهته .

13- يلتقى العقاد وميخائيل نعيمة فى رؤيتهما الشعرية لائـتلاف عنـاصر الوجـود المادية والروحية، غير أن العقاد يتميز باكتشاف أن عنصر النور هو القنطـرة بـين المادة والروح،أو أن النور طهر للروح، وأن الشمس روحانية فى جمإلهـا، ويفـرق فى هذا الائتلاف بين وجود الخالق ووجود المخلوق، وهو فى ذلـك منبعـث مـن ثقافته الإسلامية العميقة ، وفكره الفلسفى الـذى لا يخلـط بـين الوجـودين، أو يحسبهما وجودا واحدا . أما ميخائيل نعيمة فيدعى أنه يؤلف بين عناصر الوجود

المادية والروحية، ويؤلف بين الخير والشر ، وينبعث فى تصوره من عقيدة **" حدة الوجود"** ولكن قدرته علي التأليفلا تلبث أن تثبت فشلها، أمام الواقع الذى يتبادل فيه الخير والشر تأثيرهما، فيعترف بوجود كل منهما وجوداً مستقلاً .

14- فى لوم الإنسان علي سخطه، وتبرمه بالأقدار،يلمح العقاد وميخائيل نعيمة وأبو ماضي ظاهرة واحدة هى تناقض الإنسان فى أمانيه ، ورغبته دائما فى نقيض حاله، عبر العقاد عن هذه الظاهرة فى قصيدته القدر يشكو **" التي يقول فى مطلعها "**.

**صغير يطلب الكبرا**

**وشيخ ود لو صغرا**

**وميخائيل نعيمة فى قصيدته " حبل التمني " التي يقول فى بعض أبياتها":-**

**فصغيرا قد كنت أطلب لو كن**

**ت كبيرا ولي صفات الكبير**

**وكبيراً ، لو عدت طفلا صغيراً**

**واستردت نفسى نعيم الصغير**

وإيليا أبو ماضي فى " الأسطورة الأزلية " فى مقطعين من مقاطعها الطويلة تمني الفتى أن يكون شيخا والشيخ أن يكون فتى.

15- <u>**الشيطان" بين شكري والعقاد وميخائيل نعيمة :-**</u>

كان للشيطان فى شعر هؤلاء الشعراء الثلاثة مجال واضح ،وكل منهم رسم للشيطان صورة مختلفة ، وأن كان بينها وبين أختيها بعض التشابه أما شكري فقد كان للشيطان عنده دور جانبى فى قصيدة **" الملاك الثائر "** حيث وقف إبليس من الملاك الثائر موقف الناقد الناصح ،إذ أن هذا الملاك كان يريد أن يمحو الشر من

بين الخلق؛ ولكنه تعرض – كما رأينا فى التحليل للفشل وانتهى الأمر بثورة البشر أنفسهم عليه وصلبه، وإيقادالنار تحته وهو مصلوب بالجزع ، فبدا إبليس أدرى بالامور، واعلم من هذا الملاك ، وأكثر حكمة وخبرة ، فهو يبين له أن الشر ضرورى للخير، وأولي به أن يهون علي نفسه، ولا يبالغ فى التعصب للخير ضد الشر ، ويضرب له من نفسه المثل؛ فهو راض بدوره، ومهمته المقدرة عليه منذ الأزل دون أن يرتكب إثما،أو يجنى فى البدء جناية يعاقب عليها .

تبدو ملامح شبه واضحة بين شيطان شكري، وشيطان ميخائيل نعيمة الذى وقف هو الآخر من الملاك موقف الهادى المرشد، فذكره بما بينهما من إخاء قديم ، وأنهما من جوهر واحد يمتزج فيه الخير والشر ، فيستعبر الملاك ويتذكر، ويعانق الشيطان، ثم يغيبان فى الفضاء؛ فكلا الشيطانين فيهما خبرة وحكمة ، واتزان؛وأن كان شيطان نعيمة أكثر رقة، وفى كلا الشيطانين نزعة خير، وقدرة علي التوافق .

أما شيطان العقاد فهو شيطان مختلف، أنه شيطان ثأئر متمرد طموح إلي الألوهية عنيد فى مطامحه ، لا يتوافق مع الأوضاع القائمة، بل يرضى المسخ والفناء، ويفضلهما علي البقاء فى خلود ناقص ، ولكنه أيضا شيطان خبير بالأمور، يبدو فى حواره مع الملائكة أكثر إحاطة بالأسرار منهم وأقوى حجة ، وأقدر علي المجادلة والتحدى ، وهكذا تبدو جماعة الشياطين فى **" سباق الشياطين"**؛ كل منهم ينافس صاحبه باظهار قدراته عليالإضلال ، ويتفوق شيطان الرياء الذى يقربه إبليس منه، ويمنحه مقاليد الجحيم ، فيبدو إبليس صاحب سلطان،وعزة ،وحكم بين جنود من الشياطين أوفياء.

أن صورةالشيطان عند شكري ونعيمة **" لم تتعد لقطة قصيرة "** فلم يطل موقفها لحظات؛ أما صورة الشيطان عند العقاد فهي ملحمة طويلة النفس، تنقضى في صتها،وتاريخ حياتها الاجيال، وتشمل الحياة عليالأرض،وفى السماء .**ومن الملحوظ أيضا أن**الشعراء الثلاثة اتفقوا فى النزول بقدر الملائكة من ناحية الخبرة

والدراية بالأمور ، وأن كان ملاك شكري وملائكة العقاد أفضل من حيث الطهر والنقاء، أما ملاك ميخائيل نعيمة فليس بأفضل فى خبرته، ونقائه، وطهره من شيطانه بل كان الشيطان هو الأسبق إلي دعوة السلام .

## ثالثا:- ملامح الاختلاف بين شعراء الديوان وشعراء الرابطة القلمية :-

1- أول ملامح الاختلاف أن شعراء مدرسة الديوان قد مروا بأطوار اعتقادية فى رؤاهم الشعرية، وقد دل التحليل الشعرى علي أنهمكانوا يسيرون فى اتجاه طريق الإيمان ، وكان المرجع فى ذلك تواريخ نتاجهم الشعرى، ومراحل صدور دواوينهم ، صحيح أن بعضهم لم يصل إلي اليقين التام فى رؤيته الشعرية لخلود النفس، والبعث، ولكن الواضح أنهم كانوا علي وجه العموم يسيرون فى اتجاه الإيمان ، أما شعراء الرابطة القلمية فليست لهم أطوار واضحة ، وإنما هناك حيرة تدنو بهم تارة نحو الإيمان وتارة نحو الشك والإنكار ، فلا يكاد ميخائيل نعيمة علي سبيل المثال يستقرحين يؤلف بين الخير والشر ، ويصلح بين الملاك والشيطان؛حتى يعود إلي إثارة الصراع بينهما.

وهذه العقائد التي اعتنقوها وحاولوا أن يدخلوا بها الطمأنينة علي نفوسهم لم تكن عقائد مقبولة دينياً، فلا يمكن أن نعد اعتناقهم إياها إيمانا أو استقراراً إلا من وجهة نظرهم هم، وهذا الاعتبار نفسه كان مؤقتا بدليل أنهم عادوا فراودتهم الشكوك فى هذه العقائد نفسها .

**وتعليل ذلك فى رأيى يرجع إلي أن**شعراء الديوان كانت نفوسهم ترتد فى أعماقها شعروا أو لم يشعروا إلي أساس من الثقافة الإسلامية وفى الثقافة الإسلامية ما يكفل اقناع هذه النفوس الحائرة واحتواءها وهم بقدراتهم العقلية كانوا يرجعون إلي المصادر الإسلامية الوثيقة التي كانت تأخذ بأيديهم نحو الهداية ، لأن الإسلام فى أصله دين يقوم علي احترام العقل ، ولا يقيم صراعا بين الوجدأن والفكر ، بل لكل

منهما حظه من التقدير ، وبينهما فى الاسلام مصالحة وتعاون – فكان هؤلاء الشعراء يجدون فى الثقافة الإسلامية ممثلة فى القرأن الكريم ، والأدب النبوى الشريف، ونتاج المفكرين الإسلاميين قدامى ومحدثين كالغزالي ومحمد عبده ، ما يزيل من نفوسهم غشاوة الشكوك ، ويضيق دائرة الصراع شيئا فشيئا بين القلب والعقل ، كلما اقتربوا من رحاب هذه الثقافة ، أما شعراء الرابطة القلمية، فهم " **مسيحيون** " وليس فى " **المسيحية** " هذه المصالحة،أو هذا التوافق بين القلب والعقل، ولذلك نلحظ النقد الحاد الذى وجهه شعراء الرابطة القلمية للعقائد المسيحية، واجتهادهم فى إظهار مناقضتها للعقل، وشدة نقدهم لرجال الدين المسيحى، ورهبانه، واظهار تناقضهم مع انفسهم سلوكياً وفكرياً ، فى الوقت الذى لم يؤثر فيه عن شعراء الديوان أي نقدفى شعرهم أو نثرهم للإسلام ولا لعلمائه، بل علي العكس كان للعقاد فى نتاجه النثرى ما يثبت عظيم إيمانه بالاسلام ، وتوقيره لعلماء الدين وبلغ به التوافق حدا عظيما ، حتى فارق الدنيا وهو أبرز الكتاب فى المجلات الإسلامية كمجلتي الأزهر ، ومنبر الإسلام ، وله من المؤلفات الإسلامية ثلاثة وثلاثون كتابا عدا المقالات المتفرقة فى الدوريات والمحاضرات العامة والاذاعية ، وقد ثبت لنا من خلال تحليل نتاجه الشعرى أن اتجاهه نحو الإيمان كان اتجاها طبعيا صادقا ، وأن قضايا الدين كانت تشغله منذ نشأته الأولي ، ورأينا بالتتبع الدقيق كيف قطع الأطوار حتى بلغ مرحلة الاستقرار الاعتقادى مما يدلنا علي بطلان زعم" **رجاء النقاش** " الذى يقول إنه اتجه للكتابة الدينية من أجل اكتساب ولاء الجماهير بعد أن هجر حزب الوفد وانفض عنه المعجبون ، فاتجاهه إلي الإيمان لم يكن اتجاها ذهنيا مفاجئا ، بل كان اتجاها وجدانيا متدرجا مؤيدا بتأملات العقل ، وملحوظات التفكير ، وهذا ما قطع به تحليل شعره وتتبع مراحل تأليفه.(1)

1- ارجع في تفصيل هذه الحقائق إلي كتابى " شعراء الديوان " من عواصف الشك إلي مرافئ الإيمان" .

2 – اعتنق شاعرأن من شعراء الرابطة القلمية عقيدة الحلول ووحدة الوجود وهما جبران وميخائيل نعيمة ، وعبرا برؤاهما الشعرية عن هذه العقيدة ، أما شعراء الديوان فعلي كثرة شعرهم فى الألوهية وفى تصورهم للوجود لم يذهبوا هذا المذهب، ولم يحوموا حوله هناك بعص القصائد المتسامية فى روحيتها عند عبد الرحمن شكري" **كصوت الله ونجوى المؤمن** " و " **حلم بالأرواح الطليقة** "و " **زورة الملائكة** " ولكنها لا تتخطى مبدأ القرب الإلهى إلي مبدأ الحلول أو وحدة الوجود .

ومبدأ القرب من الله أو قرب الله منا مبدأ إسلامى لا شك فيه قرره القرأن الكريم ، ويتمسك به المتصوفة الذين التزموا بحدود الشريعة .

أما مبدأ الحلول أو وحدة الوجود فهو مسيحى يمكن أن يقبله الشاعر المسيحى فى سهولة ، ففى انجيل يوحنا " **إنى أنا فى أبى** " وأنتم فى ، وأنا فيكم " **وفيه** " ليكون الجميع واحدا ، كما إنك أنت أيها الأب فى وأنا فيك ، ليكونوا أيضا واحدا فينا " وفى رسالة بولس إلي اهل كورنثوس " أما تعلمون أنكم هيكل الله " روح الله يسكن فيكم ، أن كل أحد يفسد هيكل الله، فسيفسده الله لأن هيكل الله مقدس الذى أنتم هو " قد يقال بأن الحلول أو وحدة الوجود قد قال بهما بعض متصوفة المسلمين كالحلاج وابن عربى ،ولكننا يجب أن نفرق بين مفهومه عند متصوفة المسلمين ، ومفهومه عند المتصوفة المسيحيين، أو غيرهم من متصوفة الهند والعقائد الشرقية ، كما يجب أن نفرق بين روح الإسلام فى أساسه ونصه، وشطحات بعض المتصوفة فى عباراتهم الغامضة.

3 – يستدعى هذا الملمح الأخلاقى بين المدرستين الذى ذكرناه فى النقطة السابقة منطقيا أن نشير إلي ملمح آخر، هو النزعة الصوفية عند شعراء الرابطة القلمية ، فشعراء الديوان حين دنوا إلي رحاب الإيمان كان اقترابهم اقتراباً واعياً، لا نلحظ فيه تلك الغيبية،أو الغموض الرمزى ،أو الميل إلي الهروب من واقع الحياة،

شأن شعراء الرابطة فلم يخلطوا بين الخيال الشعرى وغيبوبة التصوف الهارب، بل علي العكس كان الشعر عندهم بابا للحياة **كما يقول العقاد** :-

**الشعر باب الحياة عندى لا مهربي من حياة جدى**

**لم أقصد " الدير " من حماه وإنما" الدار" منه قصدى** (1)

أما شعراء الرابطة فقد عمدوا إلي كثير من لغة الصوفية الرمزية، وحاكى جبران طريقة المتصوفة في قصيدة " **سكوتى إنشاد**"، وزعم ميخائيل نعيمة أنه في طمأنينة المتصوفة، وأنه يستمد هذه الطمأنينة من " **القلب** "، وقلد إيليا اساليب المتصوفة في قصيدتيه العنقاء " **ونار القرى**"؛لكن المتأمل يلاحظ أن تصوف هؤلاء الشعراء ليس بتصوف حقيقي، بل هو تصوف " **أرضى مادى** " أن صح التعبير، فالتصوف الحقيقي يقوم علي تخلية النفس من جميع شواغلها، ولا يبقي بها إلا شاغل واحد هو الله سبحانه وتعالى ولكن ، ما أكثر الشكوك التي كانت تعتريهم فتقتلع حالات تصوفهم هذه من جذورها.

ويبدو لي أن الهجرة كانت عاملاً من عوامل لجوئهم النفسى إلي هذا التصوف الذى لم يكن يتعدى دائرة الفورات الشعورية الموقوتة؛ فاصطدامهم بالحياة الغربية المادية؛ وبخاصة نمط الحياة البراجماتيالأمريكي الذى يقوم علي منطق المنفعة؛ أدى بهم إلي رد الفعل ، والتماس نوع من القوة يستعينون به علي مواجهة التحدى، ومن هنا كان تعلقهم بقيم التصوف الشرقي أحياناً ، هذه القيم التي تؤمن بالروح من خلال المادة، وتسعى إلي عالم مجهول ، تلتهب فيه الأشواق ، وتتفتح البصيرة ،ـ ويوضع الجسد الذي هو صورة في خدمة الروح ، ويكون للإرادة شأن حاسم في انتصار الإنسان علي جسده ، وكان تصوفهم خليطاً من فكرة الحب المسيحي، مضمخة باشراقات أفلوطين فيلسوف الاسكندرية،إلي جانب عناصر التقطوها من

1- خمسة دواوين للعقاد – عابر سبيل ص 439 .

ابن عربي، والحلاج، وابن الفارض ،وابن سينا، ومزجوا بين هذا كله وبين " **طبيعة الخيام** " التي تتمثل فى العزلة، والكأس، والمحبوب – والطبيعة والحيرة الفكرية التي تتأثر بحيرة أبى العلاء ، ودعوته إلي الزهد وهذا يعنى أن تصوفهم رومانتيكية مسيحية ، تؤمن بالروح وتنكر كثيرا من التقسيمات التي وضعتها الشرائع (1).

ولكن هذا التصوف لم يكن عميق الجذور فى شخصياتهم النزاعةإلي متع الحياة وملذاتها، وقد رأينا من سلوكهم وميلهم إلي هذه المتع والملذات ما يتناقض كل التناقض مع روح التصوف الخالص وجوهره.

4- انفرد إيليا أبو ماضي بالمذهب " **الـلا أدرى** " فى نزعته الشكية وربما عرضت هذه اللاأدرية للمازني وشكري ونسيب عريضة احياناً، ولكنها لم تكن لهم مذهبا تستوطن نفوسهم فيه، أما إيليا أبوماضي فقد اتخذ منها مذهبا تنغلق جدرانه عليه ، وكلما حاول الخروج ارتطم بهذه الجدرأن دون أن يعرف منفذا للخروج.

لقد حاول فى عدة قصائد أن يطرح تصورات " **نسبية** " عن الألوهية، والدين، والخير، والشر، والقدر؛ ولكنها كانت تصورات محاطة بالظنون وكان يصرح بأنها مجرد احتمالات يرجحها ، ولا يتيقنها كما فعل فى قصيدة " **أنا وابنى** ".

## رابعاً:- الأداء الفني :-

أعرض هنا للملامح الفنية من حيث توظيفها فى نقل المضامين، وتصويرها تصويراً مؤثراً موحياً.

وأرى أن هذا اللون من الموضوعات يتطلب أطرا فنية خاصة ، وقدرات صياغية لدى الشعراء المعبرين عنه، وذلك لما تتسم به هذه الموضوعات من طابع تجريدى ، فاذا لم ينجح الشاعر فى الاحتفاظ بحرارة عاطفته أثناء معاناة حيرته

[1]- ارجع إلي الشعر العربي فى المهجر ص 251.

إزاءها سقط فى هوة الذهنية الجافة ، وفقد شعره حيويته ، فلم يعد يحمل من الشعر إلا النظم والأوزان .

وقد لحظنا خلال التحليل أن هناك سمات تنفرد بها كل مدرسة فى معجمها الشعرى ، وطريقتها فى التصوير والبناء ، وأساليب التأثير التي تتوخاها؛ بل هناك فروق دقيقة بين كل شاعر وآخر فى دائرة المدرسة الواحدة.

## وهذا ما أقوم بتحديده فيما يلي :-

**السمات الفنية عند شعراء الديوان** :-

1- العواطف المركبة فى شعرهم، فأكثر القصائد التي تناولناها بالتحليل تحتوى علي عدةنزعات عاطفية ،مما يؤدى إلي نوع من الصراع الداخلي بين عاطفتين،أو عدة عواطف، وتتلون كل عاطفة بالفكر المناسب لها ، ومن أمثلة ذلك **" العراك "** – للمازنى،و **" ليتنى كنت إلها "** و **" الملك الثائر "** لشكري،و **" حانوت القيود " وترجمة شيطان"** للعقاد . وهذا التنويع العاطفى فى القصيدة الواحدة يعكس التقلبات النفسية الحائرة إزاء مشكلات الوجود الكبرى ، ويدل علي تساوق العاطفة والفكر فى النظر إلي الأمر الواحد من جوانب متعددة .

2- دلالة مجموع النتاج الشعري فى أزمنته المختلفة علي ذات الشاعر واتجاه شخصيته فى الحياة ، وموقفه من الوجود ، فقد تأتى مقطوعة ما جافة التعبير، خالية من النبض الشعري اذا نظر إليها وحدها فإذا وضعت بين القصائد الأخريات الدالة علي عاطفة ، أو فكرة أصيلة ، متصلة فى حياة الشاعر ونفسه كثيرة التكرار والمعاودة صار لهذه المقطوعة وحيها الشعرى، وصارت لها قيمتها فى الدلالة علي طبيعة اتجاه شاعريته ، ومؤدى هذا وضوح الخط الفكرى والعاطفي .

3- امتزاج التفاؤل بالتشاؤم فى شعرهم علي نسب متفاوتة يزيد فيها التشاؤم زيادة غير طاغية عند شكري، ويمتزج بالسخرية عند المازنى، ويتوازن الموقف بينهما

عند العقاد؛ ولكنهم جميعا يلتقون فى انتصار التفاؤل على نفوسهم فى نتاجهم الشعرى فى المراحل المتأخرة من حياتهم.

4- ظهور أثر الثقافات المتنوعة فى صورهم الشعرية . فقد رأينا انعكاس الأساطير، والمذاهب والنحل المختلفة القديم منها والحديث فيما يرد على نفوسهم من خواطر ، وما يبدعونه من صور شعرية، ومن أمثلة ذلك تصوير شكري للإله في قصيدة "**ليتنى كنت إلها**" تصويرا مستمدا من الخيال اليونانى، فهو إله ذو نزعة أبيقورية يحلو له اللهو، ويغرق فى المتع والملذات. ومن أمثلته الحوار بين إلهى النور والظلام ، "**أورمزد واهرما**" فى قصيدة العقاد المسماة بهذا الاسم،فهو خيال مستمد من الأساطير الفارسية القديمة .

5-إبراز هذه الرؤى الشعرية فى أطر فنية جديدة، كالحوار سواءكان حوارا مع عناصر الطبيعة مثل "**أمنا الأرض**" و "**إلي ربة الحب - الزهرة**" **و"سر الدهر" و" الشجرة والغراب**" أم حواراً بين عاصر الطبيعة مثل "**الثلج والنار**" أم حوارا بين قوى غيبية أو معها مثل "**سباق الشياطين**" و "**ترجمة شيطان**" و "**ليتنى كنت إلها**" و "**العراك**" وكالرواية الملحمية مثل " ترجمة **شيطان**" و "**الملاك الثائر**"، وكصناعة أبنية خيالية يتسم الخيال فيها بالامتداد والتركيب المعقد مثل "**حانوت القبور**" و "**كعبة الأصنام**" و "**الغزال الأعمى**" و"**حلم بالبعث**" و "**الباحث الأزلي**" .

6- الاحكام المنطقى فى بناء هذه الأطر الفنية؛ فلا نشعر أثناء قراءة القصيدة بشئ من الاسترسال الزائد ، أو الثرثرة التي لا حاجة إليها بل تتفاوت النسب بين جوانب العمل الفنى بحسب تسلسل المعانى التي يتطلبها المشهد، سواء أكان قصيرا مثل : أورمزد واهرماأم متوسطا مثل : "**كعبة الاصنام" و" الشجرة والغراب "أم طويلا مثل " ترجمة شيطان " " الملاك الثائر " " العراك** "ومن الإحكام المنطقي البعد عن تكرار المعاني، وتداخل الأفكاروالبعد عن القيام

بتعداد بعض الظواهر إلي حد يتوقع معه القارئ أن الشاعر لا يكـاد ينتهـى عنـد حد ثم يتوقف، فلا ندري لم توقف عند هذه الأشياء التي ذكرها دون غيرها مما لم يذكره ؟ !

7- طول النفس ، وغزارة الخواطر الشعرية وغرابتها ، والعمـق الفلسـفى الناشـئ عن سعة الثقافة ، وقوة التفكير ، ومن الأمثلة علي ذلك **" حـانوت القيـود " " خلود الجسد " و" العراك " و " خطوة عن عالمألحس"**.

8- تتنوع لغة التعبير عن هذه الموضوعاتعند شعراء الديوان،فتارة تميل إلي الجزالـة، والجهارة، وقوة الألفاظ مع غناها بالايحاء، مثل لغة العقاد فى **" أنس الوجـود " و " النار "** وتارة تميل إلي الهمس والرقة والشفافية مثل لغـة شـكري فى **" حلـم بالأرواح الطليقة " و " صوت الله ونجوى المؤمن "**.

وتارة يعتريها الجفاف والذهنية، وهذا يكون غالبا فى بعض المقطوعات التـي لا تتجاوز المقطوعة منها الأبيات الأربعة، **مثل قول العقاد** :

**خذ من الجسم كـل معنـى ، وجسـم**

**مـن معـانى النفـوس مـا كـان بكـرا**

**حبـذا العـيش يبـدع الفكـر جسـما**

**نجتليـــه ، ويبـــدع الجســـم فكـــرا**

**ويـــرى الفـــن كالحيـــاة حيـــاة**

**ويـــرى للحيـــاة فنـــا وشـــعرا**

**ضـل مـن يفصـل الحيـاتين جهـلا**

**واهتـدى مـن حـوى الحيـاتين طـر**

فالمعنى عميق وفريد، ولكن الإطار اللغوي خال من الإيحاء والظلال.

وينفرد العقاد بقدرته علي إبراز المضامين الفلسفية فى لغة حسية تصويرية شديدة الوضوح والإشراق، مثل تصويره للمثل العليا فى الفكر بالقمة الباردة في مقطوعة " **القمة الباردة** "، وتصويره متابعة الاحساس بمن ترك نفسه للامواج، فى مقطوعته "**علي بحر الحياة**" كما ينفرد فى دواوينه الأخيرة بعدة قصائد تعتمد لغتها علي ما سميته بالتعبيرات الخاطفة التي تبدو كأنها من لغة الحياة اليومية، ولكنها مع ذلك غنية بالمعانى، والمشاعر، وفيوض العاطفة ومن أمثلتها " **علي الشاطئ** " و " **مناجاة الدنيا** " و " **القدر يشكو** "، وينفرد شكري فى قصائده التي تعتمد علي الخيال الاسطورى المتصل بسلاسة العبارة، وسماحتها، وتدفقها، فإطار الحكاية يعينه علي التدفق، والبعد عن الغموض، والتواء العبارة، يتجلي ذلك فى قصائده الثلاث " **ليتنى كنت إلها " و " الملك الثائر " و " حلم بالبعث** ".

أما المازني، فلغته ساخرة، وسخريته تمتزج بفكره، فلا يشعر القارئ بمعاناة عقلية وهو يطالع شعره، ومع ذلك فهو يستعين بالصور الممتدة كصورة الغزال الأعمى، وصورة "**الملاح المسحور**" وصورة استئناف الحياة بعد الطوفان ولا يخطئ القارئ دلالات الفكر العميق، والسخرية النافذة بين ثنايا هذا الخيال المتصل.

## السمات الفنية عند شعراء الرابطة القلمية:-

1- الغنى بالمشاعر الوجدانية، والتدفق العاطفى إلي حد يزول معه إحساس – القارئ بالطبيعة العقلية للمشكلات العقدية التي يتناولونها نرى هذا فى جميع الاعمال الشعرية التي قدموها.

2- الاعتماد علي الصورة فى الغالبية العظمى من قصائد هذه الموضوعات، بينما نجد أن مدرسة الديوان تعتمد علي تداعى الخواطر حتى فى إطار الصورة، ومن الأمثلة البارزة عند شعراء الرابطة القلمية علي هذا الاتجاه الفني " **صدى الأجراس** " " **الجبار الرئبال** " " **الناسكة** ".

3- فى ابتكـــارهم للأطـــر الفنيـــة الجديـــدة كـــالحوار، والقصـــة، والأســـطورة قد نجد أن الإحكام غير متكامل، ولكننا نشعر مع ذلك بـأن للقصـيدة محـورا محددا، وأن صاحبها قد أطال النظر فى خطتها قبل أن يبدأ كتابتها يتجلي هذا فى أكثر قصائد ميخائيل نعيمـة ،وبعـض قصـائد أبـيماضي كالناسـكة " **والدمعـة الخرساء** " فالفكرة واحدة محددة وهى غاية القصيدة التي تنتهى إليها .

5- تنامي القصيدة عند شعراء الرابطة يعتمد علي توسيع الصورة الخيالية الكلية وامتدادها، بينما يعتمد تنامى القصيدة التي تمثل خيالا كليا أو اطارا قصصيا عند شعراء الديوان علي الفكر، أو إضافة الأحـداث. كـما رأينـا فى " **ليتنـى كنت إلها** " و " **الملك الثائر** ".

أما عند شعراء الرابطـة فنجـد أن الصـورة فسـيحة ، وأكثـر غنـى بالحركـة الداخلية، والنمو الذاتي، وهذا لحظناه فى " **صـدى الأجـراس** "وفى " **أفـاق القلب** ".

5- شعراء الرابطة أكثر ميلا إلي تنويع القوافى بل والأوزان، والالتجـاء إلي الأوزان الخفيفة، والايقاعات الشبيهة بايقاعات الأغاني الشعبية اللبنانية، وهذا أكسب شعرهم جاذبية وخفة روح علي الرغم من الطابع التجريـدي الفكـري الـذى تتسم به موضوعات العقائد الغيبية ، نرى هذا فى " **المواكب** " التـي تعتمـد فى تنويع القوافى علي صوتين يتجاوبان،احدهما يلتزم إيقاع البسيط، والآخر إيقاع الرمـل ، وفى " **أفـاق القلـب** " و " **أوراق الخريـف** " لنعيمـة "والأسـطورة الأزلية" لأبيماضي.

6- اللغة الشعرية عند شعراء الرابطة القلمية أكثر عذوبة ويسرا منها عند شعراء الديوان ، ومن الأمور التي لحظها النقاد منذ بداية ظهور شـعر هـذا الاتجـاه تساهلهم فى الاستعمال اللغوى إلي حد الوقوع فى الأخطاء اللغويـة ، وعـلي الرغم من تأييد العقـاد للإبـداع الشـعري عنـدهم ، ومناصرتـه لاتجـاههم

النقدى؛ تحفظ فى موقفه من هذا التساهل اللغوي ، وهو موقف صائب من العقاد ، ومن النقاد الذين حرصوا علي ضرورة الالتزام بسلامة اللغة فى التعبير الشعري .

**ولكننا مع ذلك لا ننكر أن**ميلهم إلي الألفاظ السهلة التي تقترب اقتراباً شديداً من اللغة النثرية ، أكسب شعرهم –إلي جانب خفة الإيقاع وتنويع الأوزان والقوافي جاذبية وأزال عنه غموض النزعات الفلسفية، والمشكلات العقدية الشائكة التي يعرض لها هذا الشعر .

7- هناك اختلاف بين الشعراء الثلاثة فى اللغة الشعرية التي يعبرون بها عن هذه الموضوعات العقدية .

فجبران لغته مغلفة بالغموض الصوفى، وتكثر فيها الرمزية الجزئية التي تعتمد علي تراسل معطيات الحواس، والجمع بين المتناقضات وهذا واضح فى "**المواكب**" وفى " **سكوتي إنشاد** " وفي " **البحر**" وفى " **الجبار الرئبال** ".

وميخائيل نعيمة ليس فى لغته الشعرية غموض جبران ، بل أنها عليالعكس تنفرد بقربها الشديد من اللغة النثرية ، واستخدام التعابير المألوفة ، وهذا واضح فى قصائده " **ابتهالات** " " **أوراق الخريف** "" **التائه**" " **الطمأنينة** " أما أبو ماضي فهو أكثرهم ميلا إلي رصانة العبارة وعلو النبرة ، وجهارة اللفظ سواء فى قصائده ، التي اعتمد فيها علي تداعى الخواطر ، إلي حد الخلو من الإبداع الخيالي مثل " **الخلود** " ، أم فى قصائده التي اعتمد فيها علي الرمز،أو الصورة الكلية، مثل الناسكة و " **الدمعة الخرساء** " و " **العنقاء** " و " **نارالقرى** " و" **الأسطورة الأزلية**".

8- خواطر شعراء الرابطة القلمية ليست فى غزارة خواطر شعراء الديوان ، وأفكارهم ليست فى مستوى عمق أفكارهم ، وقد حاولوا رأب هذا الضعف بالاتجاه إلي بسط الفكرة الواحدة ، فأوقعهم هذافى الثرثرة الزائدة، والترديد، والتناقض، وأبعدهم عن التركيز ورشاقة الأصابة؛ وذلك يرجع

إلي ضآلة ثقافتهم بالقياس إلي اتساع ثقافة شعراء الديوان ، فهم يدورون فى حدود ضيقة، وكثيرًا ما كانوا يتجاذبون الفكرة الواحـدة فـيما بيـنهم ، وقـد رأينا كيف تشابهت الأفكار والخواطر بينهم .

# الخــاتمة

**اشتملت الموازنات السابقة علي النتائج النقدية لهذا البحث، أما النتائج الادبية وأوجزها فيما يلى:-**

1) احتلت ظاهرة التردد بين الشك والإيمان مجالاً كبيرًا فى الشعر العربي فى العصر الحديث،وهى تدل علي أن هذه الناحية الفكرية كانت من المؤثرات الوجدانية البارزة التي انعكست ظلإلها علي نتاج الشعراء .

2) تأثر هؤلاء الشعراء بمصادر عديدة: منها القديم كشعر المعري والمتنبي وعمر الخيام وبعض المذاهب والآراء الفلسفية القديمة، واتجاهات بعض الطوائف والنحل والديانات. ومنها الحديثة كالشعر الغربي والآراء الفلسفية فى المذاهب المختلفة إلي جانب التغيرات السياسية والاجتاعية والظروف الشخصية .

3) حقق كل شاعر فرديته الخاصة فى تناول هذه الظاهرة ، وفي مدى اشتغاله الوجداني بها ، تبعا لمزاجه وتكوينه وثقافته ، ومع ذلك نلمح سمات عامة إنفردت بها كل مدرسة ، وسمات مشتركة بين المدرستين وقد بينت هذه السمات فى الموازنات النقدية ،واشتغال المدرستين ـ علي البعد – بقضايا متشابهة يدل علي أن الحياة الأدبية كانت تدور حول محاور فكرية واحدة.

4) أدى هذا التنوع من التجاريب الشعرية إلي اكساب الشعر دورًا ثقافيا فكريا جعل منه مصدرا من مصادر المعرفة إلي جانب دوره الوجداني، فتناول الشعراء لهذه القضايا الاعتقادية من زاوية وجدانية مصطبغة بطابع فكري يلج بالشعر إلي مزدحم الصراع الفكرى بين العقائد والاتجاهات المذهبية .

5) عبر شعراء الرابطة القلمية عن هذه القضايا العقدية فى إطار من الموسيقى المتنوعة والألفاظ التي تنساب فى سهولة، واعتمدوا علي امتداد الصور. وقد أدى ذلك إلي شيوع شعرهم ، أما شعراء الديوان فقد آثروا رصانة العبارة

وتدفق الخواطر ، وعمق الفكرة لما كان لهم من ثقافة فلسفية أوسع، فلم يكتسب شعرهم من الذيوع ما اكتسبه شعر شعراء الرابطة القلمية ، وكانوا هدفا لاختلاف النقاد حول شاعريتهم.

6) بموازنة نسبية الشعر التي تعرض لهذه الظاهرة إلي النتاج الشعري العام عند كل مدرسة من المدرستين، نجد أن هذه الظاهرة قد غلبت علي شعراء الرابطة القلمية أكثر مما غلبت علي شعر شعراء الديوان . أما إذا وازنا بين نسبة نتاج شعر الديوانيين فى هذه الظاهرة وحدها، ونتاج شعر شعراء الرابطة القلمية فيها فإن شعراء الديوان يفوقون شعراء الرابطة القلمية كثيرًا ، اذ أن شعراء الديوان كانوا بوجه عام أغزر نتاجا ، وتنوعا ، فى أغراض الشعر ولم ينحصروا فى دائرة واحدة أي أن هذه الظاهرة غلبت علي شعر شعراء الرابطة القلمية علي قلته فتوارى بجانبها غيرها من الأغراض ، أما عند الديوانيين فهى غرض من أغراض الشعر يتعادل مع الأغراض الأخرى ولا يطغى عليها ، وقد كان تناولهم لها أكثر سعة وعمقا وامتدادا .

7) أما ارتفاع النسبة عند شعراء الرابطة القلمية، فهو ارتفاع بالقياس إليها أنتجوه من شعر عامة . ولكنإذا قيس إلي ما أنتجه شعراء الديوان ؛ فإن النسبة تبدو ضئيلة جدا ، فأين النهير من البحر المحيط ؟!

**والله ولي الهداية والتوفيق**

**د/ محمد أحمد فايد هيكل**